

حل الرموز ومفاتيح الكنوز

في شرح بعض المصطلحات والمفاهيم الصوفية المبهمة

تأليف

الشيخ العارف بالله تعالى

عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي

المتوفى ٦٧٨ هـ

تحقيق

الدكتور محمد بوخنيفي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : HALL AL-RUMŪZ WAMAFĀTĪḤ AL-KUNŪZ
(Explanation of some obscure mystic terms and concepts)
Classification: Sufism
Author : Al-šayḫ ʿAbdul Salām ben Aḥmad ben Ġānim
Editor : Dr. Muḥammad Būḫnayfī
Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiayh
Pages : 224
Size : 17*24
Year : 2011 A.D -1432 H.
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

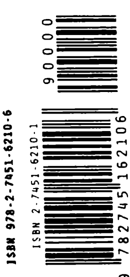
الكتاب حلّ الرّموز ومفاتيح الكنوز
التصنيف : تصوّف
المؤلف : الشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم
المحقق : الدكتور محمد بوخنيفي
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 224
قياس الصفحات: 17*24
سنة الطباعة : 2011 م - 1432هـ
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الأولى



Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6210-6



القسم الأول

- التقديم: التَّعريف بالمؤلِّف وبالكتاب.

الفصل الأول: التَّعريف بالمؤلف.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثَّاني: مولده ونشأته، ورحلته وحجه.

المبحث الثَّالث: شيوخه وتلامذته.

المبحث الرَّابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: شعره.

المبحث السَّادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه واحتفالهم بتصانيفه والنقل عنها.

المبحث السَّابع: وصيته ووفاته.

الفصل الثاني: التَّعريف بكتاب "حل الرُّموز".

المبحث الأوَّل: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته.

المبحث الثَّاني: موضوع الكتاب.

المبحث الثَّالث: منهج الكتاب.

المبحث الرَّابع: أسلوب الكتاب.

المبحث الخامس: النُّسخ المعتمدة والعمل في التَّحقيق.

الفصل الأول: التَّعريف بالمؤلف.

المبحث الأوَّل: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثَّاني: مولده ونشأته، ورحلته وحجه.

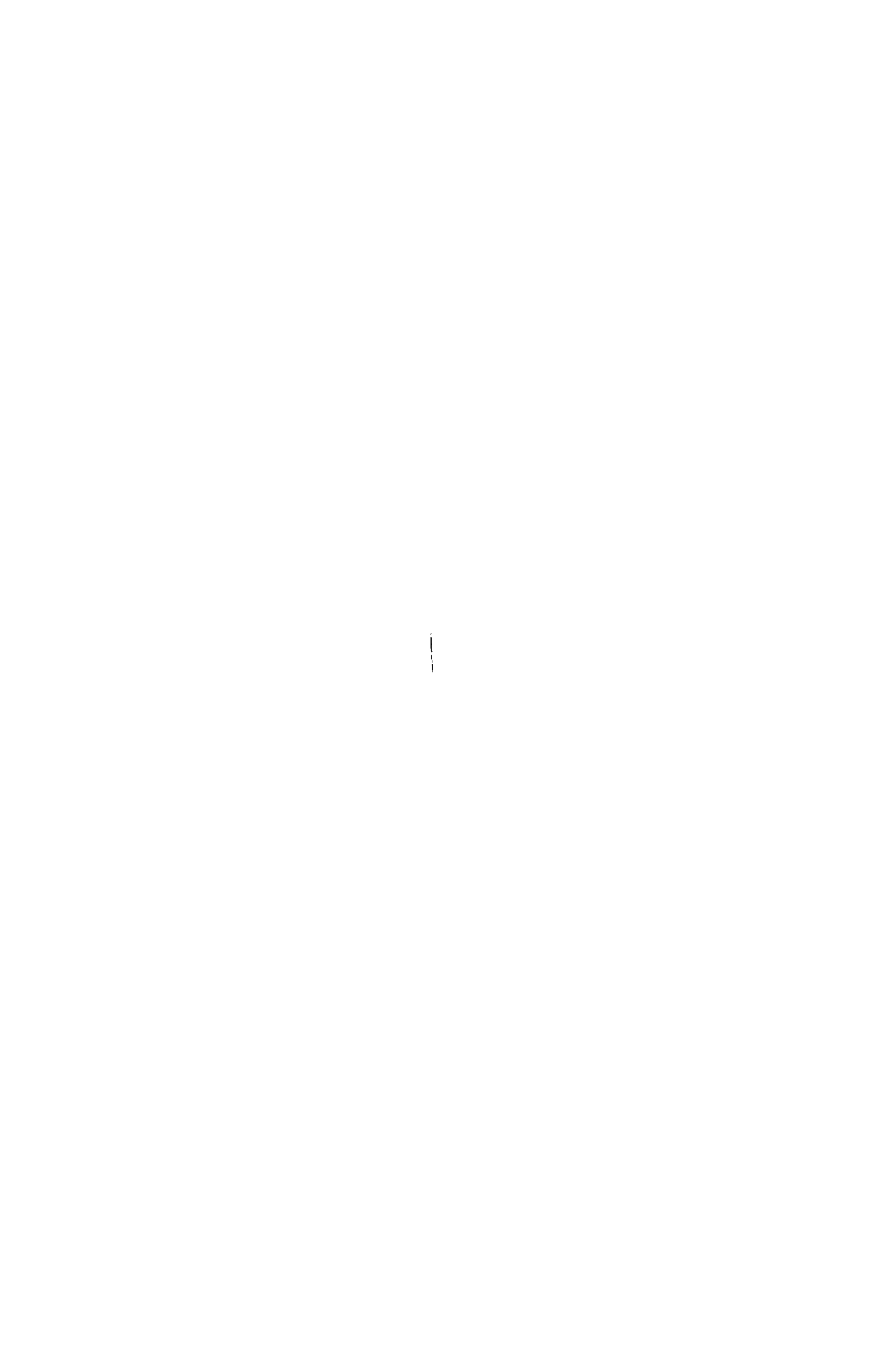
المبحث الثَّالث: شيوخه وتلامذته.

المبحث الرَّابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: شعره.

المبحث السَّادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه وعلى تصانيفه ونقلهم عنها.

المبحث السَّابع: وصيته ووفاته.





التعريف بالشيخ
عز الدين عبد السَّلام ابن غانم المقدسي[1]
(قبل: 628هـ - 678هـ)

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

هو عبد السَّلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين؛ كذا ورد نسبه في: "ذيل مرآة الزَّمان"، و"مرآة الجنان"، و"البداية والنِّهاية"، و"المنهل الصَّافي"، في حين اكتفى غيرهم ممن ترجم مؤلِّفنا بذكر والده وجدِّه. وعلى هذا النَّحو أيضا وقفنا على نسب جدِّه ابن غانم لدى من ترجمه[2] وترجم

(1) تراجع ترجمته في:
- ذيل مرآة الزمان، لليونيني (ت: 727هـ): 2/ 11 - 16. - تاريخ الإسلام للذهبي (ت: 748هـ): 306/50.
- العبر في خبر من غبر، له أيضا: 312/5. - والوافي بالوفيات، للصفدي (ت: 764هـ): 18/ 251 - 253.
- ومرآة الجنان، لليافعي (ت: 768هـ): 190/4. - والبداية والنِّهاية، لابن كثير (ت: 774هـ): 289/13.
- الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ): (في ترجمة عيسى بن أحمد بن غانم) 236/4 - 237.
- عقد الجمان، للعيني(ت: 855هـ): 509 - 510. - المنهل الصَّافي، لابن تغري بردي (ت: 874هـ)، الترجمة: 1422.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة: (ت: 1067هـ) 463/1. - شذرات الذَّهب، لابن العماد (ت: 1089هـ): 362/5.
- هدية العارفين، له أيضا: 301/1. - إيضاح المكنون، للبغدادي(ت: 1339هـ): 416/3، 84/4.
- ومعجم المطبوعات، لسركيس: (ت: 1351هـ) 2/ 196 - 197 - الأعلام، للزركلي: (ت: 1396هـ) 355/3.
- ومعجم المؤلفين، لكحالة: 223/5.

(2) شذرات الذَّهب: 153/5.

ابنيه عبد الله[1] وموسى[2].

وهو أبو محمد الملقب بعزِ الدِّين، وبهذا اللَّقب اشتهر، ولقبه به جلُّ من ترجمه، غير أنَّا وقفنا أيضا على تلقيبه بسلطان العلماء في إحدى النُّسخ المخطوطة لكتابه المسمَّى "بالشَّجرة"، إذ جاء في أوله قول ناسخه: «قال الشَّيخُ الإمام العلَّامة الحافظ الوَرع الزَّاهد أَوحد زمانه وفريد عصره **سلطان العلماء** أبو محمد عز الدِّين بن عبد السَّلام بن أحمد بن غانم المقدسي»[3]، ولقب به أيضا من قبل العلامة محمد الصَّغير الإفراني في كتابه "درر الحِجال" في قوله: «الإمام المجتهد الَّذي لا ينعقد للمسلمين إجماع بدونه **سلطان العلماء**»[4].

أَنصاري النَّسب، مَقدسي المولد، قاهري الوفاة، شيخ واعظ وصوفي عارف، وشاعر صاحب نظم رائق.

وإلى النِّسبة المذكورة رفع كثير ممن ترجم للشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم ولأفراد هذا البيت وأقدم هؤلاء المؤرخ اليونيني(ت: 727هـ) في كتابه "ذيل مرآة الزمان" في التَّرجمة للشَّيخ المذكور[5] ولوالده أحمد[6] ولعمه عبد الله ابن أحمد[7] أيضا، ووافقه على هذه النِّسبة الأنصارية أيضا من علماء القرن الثَّامن ابن كثير (ت: 774هـ) في كتابه "البداية والنِّهاية"[8]، ثم تواطأ على ذلك علماء القرن التَّاسع كالعَيني (ت: 855هـ) في "عقد الجُمان"[9]، وابن تغري بردي (ت: 874هـ) في كتابيه: "المنهل

(1) عقد الجمان: 410.

(2) النَّجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 270/7.

(3) نسخة مخطوطة بالمكتبة الخالدية بالقدس الشَّريف تحت رقم: 111 تصوف، من مصورات معهد المخطوطات العربية تحت رقم: 267 تصوف وآداب. (اطلعنا على صفحتها الأولى من خلال الصورة الواردة في مقدمة تحقيق كتاب "الشجرة").

(4) درر الحجال: 60.

(5) ذيل مرآة الزمان: 11/2.

(6) نفسه: 61/2.

(7) نفسه: 360/1.

(8) البداية والنهاية: 289/13.

(9) عقد الجمان: 509.

الصَّافي"، في ترجمة الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم[1]، وفي "النُّجوم الزَّاهرة" في ترجمة عمِّه موسى ابن غانم[2]. وأيضا أحد علماء القرنين التاسع والعاشر نحو المؤرخ العليمي (ت: 927هـ) في "الأنس الجليل" وهو من أهم وأوسع ما صنف في تواريخ القدس الشريف وبلدة الخليل، ذكر فيه الأعيان والصُّلحاء والزُّهاد الَّذين دخلوا القدس زائرين كانوا أو مستوطنين، ومن ولي فيها المناصب الحُكمية والوظائف الدِّينية، وترجم لجملة كبيرة منهم، ومن هؤلاء أفراد بين أبن غانم الَّذين نسبهم بدوره إلى الأنصار[3].

وإلى هذا أيضا ذهب بعض مؤرخي القرن الثَّاني عشر كالمُحبي الدِّمشقي (ت: 1111هـ) في كتابه "خُلاصة الأثر" في مَوْضعين منه؛ الموضع الأول في التَّرجمة لعبد الباقي أحد ذرية موسى بن غانم[4]، والموضع الثَّاني في التَّرجمة لعلي[5] حفيد آخر من حفدة المذكور، إذ رفع نسبهما إلى الصَّحابي سَعْد بن عُبادة سيِّد الخزرج.

يتحصَّل مما ذكرناه أنَّ الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم وأفراد بيت ابن غانم، بحسب ما ذكره ثلَّة من المؤرخين المذكورين بداية من القرن الثَّامن وانتهاء إلى القرن الثاني عشر الهجري، بيت سَعدي عُبادي خزرجي أنصاري، يرتفع نسبه إلى الصَّحابي سَعد بن عُبادة بن دليم بن حارثة الخزرجي الأنصاري السيد الجَوَاد، وصاحب راية الأنصار في المَشاهد كلِّها، الَّذي دعا له ولذريَّته صلى الله عليه وسلم بقوله كما في "سنن" أبي داود، و"السُّنن الكبرى" للنَّسائي: "**اللَّـهمَّ اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عُبادة**"[6]، فكان من آل الصَّحابي سعد هذا رضي الله عنه

---

(1) المنهل الصافي: الترجمة: 1422.

(2) النجوم الزاهرة: 230/7.

(3) الأنس الجليل: 141/2، ترجم لابن غانم جد مؤلف حل الرموز فقال: «الشَّيخ القدوة المحقِّق الملك غانم بن علي ابن حسين **الأنصاري** الخزرجي المقدسي»، كما ترجم فيه أيضا لعم المؤلف موسى ابن غانم: «موسى بن غانم **الأنصاري**» 264/2.

(4) خلاصة الأثر: 285/2.

(5) نفسه: 180/3.

(6) سنن أبي داود: 347/4، والسنن الكبرى للنسائي: 89/6.

بيت ابن غانم الَّذي قال فيه العلَّامة خير الدِّين الرَّملي: «ما أنجبت بطون العرب كأبي غانم، وما خرج من أَفواه العرب وعقولهم كما خرج من شيوخهم وفقهائهم».

وإلى جانب هذا القول البالغ حدَّ التَّواتر والصَّادر عن علماء أخذ أكثرهم عن أفراد هذا البيت، نُلفي قولا آخر يُعزا إلى المؤرخ المغربي الدكتور عبد الهادي التَّازي في كتابه "الأصول التاريخية للأشراف في الشَّرق" يرفع فيه نسب هذا البيت إلى النَّبي صلى الله عليه وسلّم عن طريق أبي العبَّاس أحمد الغماري بن أبي محمد عبد السَّلام بن مشيش (ت: 622هـ وقيل: 625هـ)، ويذكر أن جدَّه علي قدم من المغرب حاجا واستقر بالقدس.

المبحث الثاني: مولده ونشأته، ورحلته، وحجُّه.

أ. مولده ونشأته:

ليس بين أيدينا في المظان الَّتي احتفت بالتَّرجمة للشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي الشَّيء الكثير عن تاريخ مولده ونشأته، إلا أنَّ الرَّاجح أنَّه ولد بعد سنة 628هـ[1] بالقدس الشَّريف في بيت علم وصلاح وتصوف ودين، من والده أحمد بن غانم الشَّيخ الكبير الجليل المنقطع عن النَّاس، المشتغل بأوراده وأذكاره، والمتوفى بالقدس الشَّريف في شعبان سنة 681هـ وقد تجاوز التِّسعين[2]، وأمَّا جدُّه غانم بن علي فهو «القدوة الزَّاهد أحد عباد الله الأخفياء الأتقياء والسَّادة الأولياء»[3]، كان «من سادات المشايخ وأعيانهم وأعلمهم بطريق القوم»[4]، ولد بقرية نورين؛ من عمل نابلس سنة 562هـ، وله بها زاوية أقام بها عشرين سنة ثم قدم إلى القدس عام أنقذَه السُّلطان صلاح الدِّين الأيُّوبي من الفِرَنج سنة 583هـ[5] واستوطنه، وولَّاه السُّلطان المذكور«المشيخة بالخانقاه الصَّلاحية المنسوبة إليه بالقدس الشَّريف

---

(1) استنادا إلى ما ذكره اليونيني في ترجمة الشيخ أنه توفي ولمَّا يتجاوز سنه الخمسين سنة.

(2) ذيل مرآة الزمان: 61/2.

(3) شذرات الذهب: 153/5.

(4) ذيل مرآة الزمان: 364/1.

(5) شذرات الذهب: 153/5 - 154.

والنَّظر عليها (...) وهو أول من وَلِيَها»[1]، وتوفي بدمشق سنة 632هـ، «وتناسل منه ذُرِّية معروفون مشهورون»[2].

ومن هذا البيت أيضا الشَّيخ الواعظ عيسى بن أحمد بن غانم شرف الدِّين أخو مترجمنا، المتوفى بدمشق في ربيع الأول سنة 749هـ[3].

ومنه أيضا الشَّيخ الصُّوفي موسى عم مترجمنا، كان كبير القدر صدرا، وافرَ الحُرمة، «قرره السلطان الناصر صلاح الدين مشيخة الحرم بالقدس»[4]، وكان كريما وله سُمعة وبعد صيت، توفي بالقدس سنة 668هـ وقد جاوز سبعين سنة.

ومنه أيضا أخوه عبد الله بن غانم الصُّوفي الشَّاعر، كان يتردد إلى بيت المَقدس ويُكثر المُقام به وله فيه زاوية مشهورة وأتباع ومُريدون، ينظم رائق الأشعار، وله «كلام قويٌّ في التَّصوُّف»[5]، توفي بنابلس في شعبان سنة 672هـ.

ومن هذا البيت أيضا ابن عم مترجمنا أبو الحسن بن عبد الله، «كان رجلا صالحاً فاضلا، له شعر لطيف وكلام في الطَّريقة طريف، توفي في يوم الأربعاء رابع ذي القعدة سنة 707هـ»[6].

ومنه أيضا أخوه الشَّيخ محمد بن عبد الله، كان صالحا زاهدا له فقراء مريدون، «قدم دمشق وتفقَّه على الشَّيخ تاج الدِّين الفَزاري وأفتى ببلده مدَّةً إلى حين وفاته»[7]، توفي سنة 693هـ.

في بيت ابن غانم المقدسي هذا، بيت العلم والصَّلاح والتَّصوف والدِّين، وبيت المناصب السَّامية، كمشيخة الحرم القدسي والخانقاه الصَّلاحية وقضاء بيت

---

(1) الأنس الجليل: 146/2. ومما ذكره أيضا قوله: «ورأيت توقيعه بذلك وعليه خطُّ السُّلطان (...) وقد قطع تاريخه لطول الزَّمان». وأما الخانقاه: فرباط الصُّوفية.

(2) الأنس الجليل: 146/2.

(3) الدرر الكامنة: 236/4 - 237.

(4) الأنس الجليل: 264/2.

(5) عقد الجمان: 410.

(6) أعيان العصر، للصَّفدي: 277/1.

(7) الوافي بالوفيات: 292/3.

المقدس، ولد مترجمنا ولازم جدَّه وانتفع به[1] بعد أن اشتغل أوَّل عمره، بحفظ القرآن الكريم[2]، كما هو حال غيره من نظرائه من متعلمي زمانه، بعدها انصرف إلى تحصيل باقي العلوم المتداولة إلى أن حَصَلَت له مشاركة جيِّدة، تصدَّر بعدها للوعظ.

وكان مبدأُ شروع الشَّيخ ابن غانم المقدسي في الوعظ أنَّه طَلب منه ابن عمه أبو الحسن بن عبد الله مجلسَ تذكير في حياة عمِّه الشَّيخ العارف عبد الله بن غانم، فأطربه، فسئل منه الجلوس، فجلس واشتهر وَقُصد لسماع كلامه[3].

ب - رحلته إلى مصر وإقامته بالقاهرة:

رحل الشَّيخ ابن غانم المقدسي من القدس الشَّريف متوجِّها إلى الدِّيار المصرية، فطُلب منه الجلوس بها فجلس وحصل له قَبول، فأقام بالقاهرة وعقد بها مجالس الوعظ، وبنى له بها زاوية وبالغ النَّاسُ في الإحسان إليه، فأقام بها على كُرْهٍ منه لفراق والده وأهله، وصار يتردَّدُ إلى القدس الشَّريف لزيارتهما، ومنه كان يتردد أيضا إلى دمشق للجلوس بها في الجامع الأموي[4]، ويحضر عليه به جماعة من فُضلاء العُلماء والزُّهاد ويُلاقي كلامه استحسانَهم وينتفعون به.

جـ - حجّه:

حجَّ مترجمنا سنة 675هـ، وأثناء حجته هاته اجتمع ببعض أعيان العلماء، وقد حَكى ذلك الشَّيخ شرف الدِّين ابن ضياء الفزاري، ونقله اليونيني في "تذيله لمرآة الزَّمان" وغيره قال؛ قال الفزاري: «حججتُ في سنة خمس وسبعين وست مائة واجتمع في الحجِ من علماء الأقطار ابن العجيل من اليمن، وتقي الدِّين بن دقيق العيد من الدِّيار المصرِية، والشَّيخ تاج الدِّين الفزاري من الشَّام وغيرهم،

(1) ذيل مرآة الزمان: 11/2.

(2) نفسه.

(3) ذيل مرآة الزمان: 11/2.

(4) لأفراد هذا البيت في ما تبينا من تراجم علمائه ارتباط قوي بدمشق يفسر بكون جدهم غانم بن علي تزوج من إحدى بنات أمراء أشراف الشام.

واجتمعوا في الحرم الشَّريف وكان عزُّ الدِّين عبد السَّلام المذكور قد حجَّ من مصر، فجلس تجاه الكعبة المعظَّمة وحضر أمير مكَّة وغيره فارتجل خطبة أوَّلها: الحمد لله ذي القدرة الَّتي لا تتناهى...»[1].

المبحث الثَّالث: شيوخه وتلامذته.

لم تُسعف مصادر ترجمة الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي في مدِّنا بمعلومات عن شيوخه وتلامذته، كما أنَّ البحث في كتب التَّراجم أيضا لم يُفض إلى شيء كثير، خلا أنَّه أخذ عن جدِّه غانم بن علي المقدسي، والغالب أنَّه أخذ أيضا عن بعض أفراد بيت ابن غانم الَّذين نبغ فيهم كثير من العلماء ممن عاصرهم لا سيَّما عمه عبد الله ابن غانم.

وأمَّا تلامذته فلم نقف إلَّا على اسم علم واحد مع طول البحث، ذكره العلَّامة ابن حجر العسقلاني في "درره الكامنة"[2]، وهو محمد بن محمد ابن العنبري الواعظ المتوفى في شوال سنة 710هـ.

المبحث الرَّابع: مؤلفاته.

لابن غانم المقدسي إسهام متميز في حركة التَّأليف لا سيَّما في التَّصوف والوعظ، أوقف كثيرا منها بزاويته بمصر[3]، وهذا ثبت بهذه التَّآليف مع الإحالة على مظانها.

1 - **تفسير القرآن العظيم**. في مجلد.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

2 - **تفسير آيات**. كل آية بمجلس يبنيه عليها ولا يخرج عن حكمها في أول المجلس إلى آخر مجلد.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

---

(1) ذيل مرآة الزمان: 13/2 - 14.

(2) الدرر الكامنة: 459/5.

(3) ذيل مرآة الزمان: 16/2.

3 - **مختصر الشِّفا** للقاضي عياض (ت: 544هـ).

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

4 - **شرح أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.**

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

5 - **خطب**، في مجلد.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

6 - **كتاب في الوعظ**، في مجلَّدين.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

7 - **الرَّوض الأنيق في الوعظ الرَّشيق**[1].

ذكره: البابلي في: "هدية العارفين": (301/1) بعنوان "الرَّوض الأنيق في الوعظ الرَّقيق"، وعمر كحالة في: "معجم المؤلفين": 223/5، والزركلي في: الأعلام: (355/3).

8 - **الأثمار والأطيار.**

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2). لعله "كشف الأسرار".

9 - **اعتذارات**. في مجلد.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

10 - **مسائل في علم الطَّريق وأجوبة.**

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

11 - **مجاميع مختلفة.**

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

12 - **الشَّجرة**، في التَّصوف[2].

13 - **تلخيص العبارة، في نحو الإشارة**[3].

---

(1) توجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987. c

(2) طبع بتحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

(3) طبع بتحقيق: د. خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

14 - **شرح حال الأولياء ومناقب الأتقياء**[1].

15 - **تفليس إبليس**[2].

ذكره: الصَّفدي في "الوافي بالوفيات": (252/18)، وحاجي خليفة في "كشف الظنون" (463/1)، والبابلي في "هدية العارفين" (301/1)، والزركلي في "الأعلام" (355/3).

16 - **الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية**[3].

ذكره: الصَّفدي في: "الوافي بالوفيات": (252/18)، والبابلي في: "هدية العارفين" (301/1).

17 - **الأجوبة القاطعة لحجج الخصوم الواقعة في كل العلوم.**

ذكره: بروكلمان في: "ملحق تاريخه".

18 - **كتاب في طرق الوسائل وتملق السَّائل**[4].

ذكره: البابلي في: إيضاح المكنون" بعنوان: "طرق الوسائل وتملق الوسائل"، وفي: "هدية العارفين" بعنوان: "طرق الوسائل وتملق الرسائل"(301/1).

19 - **كتاب المجاز.**

ذكره: بروكلمان في: "ملحق تاريخه".

20 - **كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطُّيور والأزهار**[5].

---

(1) توجد نسخة منه مخطوطة بالأزهرية تتكون من: 195 لوحة.

(2) طبع باعتناء مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، وتوجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: .1987 c ناسخها بدر الدين محمد بن يوسف، وثلاث نسخ بالمكتبة الوطنية بالرباط الأولى تحت رقم: 44 د، بعنوان: "تفليس إبليس ورميه بالذل والتنكيس وإبطال ما زوره من البهتان والخديعة والتلبيس". والثانية والثالثة تحت الرقمين: 1118 د و1224 د بعنوان: "القول النفيس في تفليس إبليس"، ونسخة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 7602، بعنوان: "تفليس إبليس".

(3) طبع بتحقيق: د. ماجد مصطفى الصعيدي، ط1، دارة الكوثر، القاهرة، 2010م.

(4) توجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987c، ناسخها الحاج سالم سليمان.

(5) توجد نسختان منه مخطوطتان بالإسكوريال الأولى تحت رقم: .1987 c تاريخ نسخها 1188 هجرية، والثانية تحت نفس الرقم، الناسخ عمر بن أحمد الجرهمي، ونسختان في مكتبة =

ذكره: الصَّفدي في "الوافي بالوفيات": (252/18)، وسمَّاه بـ: "الأطيار والأزهار"، وحاجي خليفة في: "كشف الظنون" (1485/2)، وسركيس في: "معجم المطبوعات": (355/3)، وعمر كحالة في: "معجم المؤلفين": (223/5)، والزركلي في: "الأعلام": (355/3) بعنوان: "كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار".

21 - **كشف الأسرار ومناقب الأبرار ومحاسن الأخيار بجميل العبارة ولطيف الإشارة.**

ذكره: عمر كحالة في: "معجم المؤلفين": (223/5).

22 - **مناظرة له مع الشيطان.**

ذكره: الزركلي في: "الأعلام": (355/3)، وسركيس في: "معجم المطبوعات"، بعنوان: "محاوراته ومناظراته التي وقعت له مع إبليس"، وقد يكون هو كتابه: "تفليس إبليس".

23 - **مفاخرة الأزهار والنَّباتات النَّادرات، ومجاهرة الأطيار والجمادات الناطقات.**

ذكره: بروكلمان في "ملحقه التاريخي".

24 - **إفراد الأحد عن أفراد العدد.**

ذكره: الزركلي في: "الأعلام": (355/3)، وأشار إلى أنَّه في جزء لطيف، وقد اقتنى نسخة منه كتبت سنة 778هـ.

25 - **رسالة في شرح حديث السّبعة الَّذين يظلهم الله.**

ذكره بروكلمان في "ملحقه".

= العلامة عبد الله كنون بطنجة تحت الرقمين: 10392، و10476، وأربع نسخ بالمكتبة الوطنية بالرباط، تحت الأرقام: 56 د و1013 د و1548 د و1452 د، وثلاث عشرة نسخة في الخزانة الملكية بالرباط، تحت الأرقام: 1553 و4289 و5713 و5805 و6260 و9986 و12337 و12347 و13552 و13649 و13650 و13961 و14027، ونسخة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم: 1532.

26 - **رسالة في فوائد المحن والفتن والبلايا والرَّزايا**[1].

27 - **رسالة في بيان المصالح والمفاسد**[2].

28 - **كتاب الصَّوم**[3].

29 - **مناسك الحج**[4].

30 - **ديوان شعر.**

ذكره اليونيني في: "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2)، وأشار إلى أنَّه في مجلدين، وذكره الزركلي في الأعلام: (355/3)، وأشار إلى أنه مخطوط يقع في 62 ورقة.

31 - **حل الرُّموز ومفاتيح الكنوز.** وهو كتابنا هذا.

المبحث الخامس: شعره.

للمؤلف نظم رائق[5]، فصيح[6]، لا يخرج عن المَنحى العِرفاني الَّذي انتهجه في منثوره، ولا أدل على ذلك تائياته، ومن ذلك قوله في إحداهن وهي أطولهن:

(الطويل)

شَهِدْتُ بِعَيْنِ القَلْبِ في حَانِ حَضْرَتِي ... حَبِيباً تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ فَحَنَّتِ

سَقَانِيَ كَأْسَ مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ ... فَكَانَ مِنَ السَّاقِي خُمَارِي وَسَكْرَتِي[7]

ويتبدَّى من شعر ابن غانم اقتداره على نظمه ارتجالا من ذلك ما وقع له أثناء كلامه في مجلس وعظ حيث أنشأ في الحبِّ الإلهي والخمرة الصُّوفية قوله:

(الخفيف)

يَا عَذُولِي سَلِّمْ إِلَيَّ قِيَادِي ... ثُمَّ دَعْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي

لا تَلُمْنِي إِذَا سَكِرْتُ فَحُبِّي ... قَدْ سَقَانِي صِرْفاً بِكَأْسِ وِدَادِي

---

(1) لم تذكر في مصادر ترجمته، وتوجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987 c.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) تاريخ الإسلام: 306/50.

(6) مرآة الزمان: 213/2 وشذرات الذهب: 361/5.

(7) الحقائق الإلهية في التائيات الصوفية: 87.

وَحَبِيبِـــــي مُــــوَاعِدِي بِوِصَــــالٍ فَخُمَـــارِي مِــــنْ نَــشْوَةِ المِــيعَادِ

إلى أن يقول:

إِنْ تَلُمْنِـــي أَوْ لا تَلُمْنِـــي فَإِنِّـــي حُــبَّهُ مَذْهَبِــي وَأَصْــلُ اعْــتِقَادِي[1]

وله في المديح النبوي:

(البسيط)

يَـا نَـسْمَةَ الـرِّيحِ بُثِّي أَطْيَبَ الخَبَـرِ وَعَلِّلِيـــنَا بِـــرَيَّا نَـــشْرِكِ العَطِـــرِ

وَحَدِّثِـي عَـنْ رُبَـا وَادِي العَقِيقِ وَعَـنْ أَهْلِ الفَرِيقِ فَكَـمْ فِي ذَاكَ مِنْ غُـرَرِ[2]

ومن شعر المخاطبات الإخوانية ما أنشأه جوابا لقول قاضي القضاة شمس الدِّين أحمد بن خلكان (ت: 681هـ) الَّذي امتدح الشَّيخ في إحدى زياراته لدمشق، بقوله:

(الكامل)

للهِ دَرُّ مُبَــــــشِّرِي بِقُدُومِـــــــــهِ فَلَقَـــدْ أَتَـــى بِأَطَايِـــبِ المَــسْمُوعِ

لَــوْ كَــانَ يَقْــنَعُ بِالخَلِـيعِ وَهَبْــتُهُ قَلْـــباً يُقَطَّـــعُ سَـــاعَةَ الـــتَّوْدِيعِ

فأجابه الشَّيخ بقوله:

(الكامل)

حَاشَـاكَ يَـا قَاضِـيَ القُـضَاةِ بِإِمْرَتِـي حُكْمـــاً تُخَالِـــفُ سُـــنَّةَ التَّـــشْرِيعِ

أَهْــلَ القَــضِيَّةِ إِنَّنِــي عَــبْدٌ لَكُــمْ وَالأَصْـــلُ لا يَـــنْفَكُّ بِالتَّفْـــرِيعِ

القَلْـــبُ يَعْمَـــى كَـيْفَ أَمْلِــكُ رَدَّهُ مِـنْ بَعْـدِ مَـا مَلَـكَ الغَـرَامُ جَمِيعِي؟[3]

وإذا كـان الـشَّيخ عـبد الـسَّلام ابـن غـانم المقدسـي قـد قَـصَر شعرَه على موضوعات التَّصوف من مديح نبوي وخمرة صوفية وما إليها من موضوعات الشِّعر الصُّوفي، فإنَّه قد نوَّع من أشكال الأداء الشِّعري، ومن هذه الأشكال التي وظَّفها الموشح، يقول في مناجاة إلهية:

(1) ذيل مرآة الزَّمان: 13/2.

(2) الوافي بالوفيات: 252/18.

(3) ذيل مرآة الزَّمان: 13/2.

(البسيط)

أَمَنْ أُنَاجِيهِ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي ... وَمَنْ أُرَجّيهِ فِي بُؤْسِي وَفِي حَزَنِي
أَفْرَدْتَنِي عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَا سَكَنِي ... وَأَنْتَ أَنَّى إِذَا اسْتَوْحَشْتُ مِنْ سَكَنِي
وَأَنْت رُوحِي إِذَا جُرِّدْتُ عَنْ بَدَنِي

وَأَنْتَ رَاحَةُ قَلْبِي فِي تَقَلُّبِهِ ... وَأَنْتَ غَايَةُ قَصْدِي فِي تَطَلُّبِهِ
مَنْ لِي مِنْ مُغِيثٍ أَسْتَغِيثُ بِهِ ... إِذَا تَضَايَقَ أَمْرٌ فِي تَكَرُّبِهِ
وَمَنْ أَرَجّي إِذَا أُدْرِجْتُ فِي كَفَنِي

إِذَا ذَكَرْتُكَ زَالَ الهَمُّ مِنْ فِكْرِي ... وَإِنْ شَهِدْتُكَ غَابَ الكُلُّ عَنْ نَظَرِي
وَإِنْ حَضَرْتُكَ لا أَلْوِي عَلَى بَشَرٍ ... وَإِنْ مَرَرْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ السُّمَرِ
فَغَيْرُ ذِكْرِكَ لا تُصْغِي لَهُ أُذْنِي

مَا لِي، وَحَقِّكَ، عَنْ جَدْوَاكَ مُنْصَرَفٌ ... وَلا عَنَانِي إِلَى الأَغْيَارِ مُنْحَرِفُ
فَامَنْ فَإِنّي بِمَا قَدَّمْتُ مُعْتَرِفٌ ... فَإِنْ عَطَفْتَ فَكُلُّ النَّاسِ مُنْعَطِفُ
وَإِنْ وَصَلْتَ فَكُلُّ النَّاسِ يُسْعِدُنِي

بِحَقِّ حُبِّكَ مَا قَلْبِي بِمُنْقَلِبٍ ... إِلَى سِوَاكَ وَلا حَبْلِي بِمُنْجَذِبِ
وَلا أَرَاكَ بِدَمْعٍ فِيكَ مُنْسَكِبٌ ... حَتَّى أَرَاكَ بِطَرْفٍ غَيْرِ مُحْتَجِبِ
فِي حَضْرَةِ القُدْسِ لا فِي حَضْرَةِ الدِّمَنِ[1]

ومن شعره أيضا موشحة خمرية نقلها الصَّفدي من خط الشَّيخ في "وفياته"، أولها قوله:

(المتقارب)

تَجلَّى حبيبي ونَادانِيه ... وَأَغْصانُ وَصلي بِه دَانِيَه
تَجلَّى علينا وكأسُ العقار
تُدارُ وقد طابَ خَلعُ العِذار
فَقالَ وقد جَلَّ ثَوبُ الوَقار:
رِدُوا وَاشربوا الصِّرْفَ مِن كَاسِيه ... فَأنوارُ صَفوتِهَا كَاسِيه

(1) ذيل مرآة الزمان: 15/2.

مُدام مِن الدُّرِّ قد عُتِّقَت
وَفي حَانةِ الذِّكرِ قَد رُوِّقَت
بِها ظُلمةُ الكَونِ قَد أَشرَقَت[1]

وشعره كثير رائق جيد في عمومه.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، واحتفاؤهم بتصانيفه والنَّقل عنها.

أ. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

حظي الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي بثناء أكابر العلماء، فهذا الحافظ الذَّهبي يقول في ترجمته: «الواعظ الكبير عزُّ الدِّين النَّابلسي، قدم دمشق ووعظ بها وأعجب النَّاس، له نظم رائق وكلام حسن»[2]، ويقول عنه اليافعي: «الواعظ أحد المُبرَّزين في الوعظ والنَّظم والنَّثر»[3]، وحَلَّاه الحافظ ابن كثير بـ«الواعظ المُطبق المُفلق الشَّاعر الفصيح»[4]، وكذا قال أيضا العيني في كتابه "عقد الجمان"[5] وأشار إلى احتذائه لأسلوب أبي الفرج ابن الجوزي(ت: 597هـ) وأمثاله والنَّسج على مِنواله، ولعله يعني بذلك الوعظ[6].

ب - احتفاء العلماء بتصانيفه والنَّقل عنها.

حظيت تآليف الشّيخ عبد السّلام ابن غانم المقدسي بعناية العلماء فنقل عن "حل الرُّموز"[7] وكذا عن "كشف الأسرار"[8] العلامة محمد ابن عيسى الديمري

---

(1) الوافي بالوفيات: 252/18. (2) تاريخ الإسلام: 306/50.

(3) ذيل مرآة الزمان: 213/2. (4) تاريخ الإسلام: 306/50.

(5) عقد الجمان: 510.

(6) لابن الجوزي المذكور شهرة في فن الوعظ لما خلف فيه من تصانيف مشهورة منها: "نسيم الرِّياض" و"الوجوه النَّواضر في الوجوه والنَّظائر" و"الأرج"، و"المنثور في الموعظة".

(7) حياة الحيوان الكبرى: 35/2، وسماه: فيه بـ "حكم الطيور والأزهار". ونقل عن "حل الرموز" أيضا ابن عجيبة في إيقاظ الهمم: 31، وفي الفتوحات الإلهية: 52/1، 53.

(8) حياة الحيوان الكبرى: 245/1، وسماه فيه بـ "مفاتيح الكنوز".

(ت: 808هـ) في كتابه "حياة الحيوان الكبرى"، ونقل عن الأول أيضا العلامة عبد الحي الحلبي (ت: 1120هـ)[1]، كما أورد معظم "كشف الأسرار" لويس شيخو في كتابه "مجاني الأدب"[2]، وأما العيدروسي فقد نقل عن "حال الأولياء ومناقب الأصفياء" في كتابه "النُّور السَّافر"[3].

انتهج العلامة عبد السَّلام ابن غانم في منثوره نمطا أسلوبيا غريب المَنزع شكلت المناظرة والحوار أبرز سماته، فصار ميسما له وعنوانا عليه، يقول الغلامي في ترجمة عثمان أفندي: «أديب معدود في سِلك أعيان المُتأدِّبين، ومنار بين أعيان الزَّمان، رَأيتُ له نثراً **ضَاهى بِه ابنَ غَانم المقدسي**»[4]، ولعل هذا أحد الدواعي الَّتي حدت بالمستشرق الفرنسي غارسن دي تاسي (1794 - 1878) (GARCIN DE TASSY) إلى العمل على نشر كتابه "كشف الأسرار" وتحشيته وترجمته إلى الفرنسية سنة 1821م، ولعله أوَّل ما نُشر من تآليف مترجمنا، ثم انصرف العرب بعد ذلك إلى العناية بتراث هذا العالم فتم في سنة 1314/ 1899 نشر كتابه "حل الرُّموز" الذي يعتبر من أشهر تصانيفه وأكثرها ذيوعا وانتشارا.

وأمَّا شعره فيبدو أنَّه كان أكثر حظا من صِنْوه المنثور، إلا أن كثيرا ممن ذكره وانتخب منه لا سيَّما من المتأخرين، للأسف، لم يعزه إلى صاحبه، بل منهم من نسبه غلطا إلى العز بن عبد السَّلام، فممن أورد شعره من المتقدمين نذكر اليونيني وهو أكثرهم من حيث كمِّ الشِّعر الَّذي جلبه للمقدسي في كتابه "ذيل مرآة الزَّمان"[5]، والصَّفدي في "الوافي بالوفيات"[6]، والسّيوطي في

---

(1) الدر النَّفيس: الملزمة 6/31. كما ذكر كتاب "حل الرموز" العلامة عبد الله بن محمد الخياط الهاروشي (ت: 1175هـ) في كتابه "الفتح المبين" في ترجمة شيخه محمد بن جابر النائلي الطرابلسي (ت: 1137هـ) في جملة الكتب التي أخذها عنه.

(2) مجاني الأدب: 1004 - 1035.

(3) النُّور السَّافر: 85/1.

(4) شمامة العنبر: 45.

(5) ذيل مرآة الزَّمان: 12/2، 13، 14. أورد له ست قصائد ومقطوعة وموشح.

(6) الوافي بالوفيات: 252/18 - 253، أورد له قصيدة رائية من 11 بيتا، وموشحة.

"الأزهار"[1]، وقد انتشر شعر مترجمنا إلى أن بلغ أقاصي الغرب الإسلامي، فهذا العلامة أبو المحاسن يوسف الفاسي كان كثيرا ما ينشد في مجالسه شعرَ المقدسي من ذلك إنشاده في شروط طلب الوصول إلى الله قول المقدسي:

[الرمل]

أيُّها العاشِقُ معنى حُسننا مَهرنا غالٍ لمن يخطبنا

الأبيات[2].

وإنشادُه في معنى حيرة الخاصَّة قولَ المقدسي:

(الطويل)

ولمَّا تَجَلَّى من أحب تكرما وأشهدني ذاك الجَناب المُعَظَّما[3]

كما كان للعلامة الحسن اليوسي (ت: 1102هـ)[4] وللعلامة أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت: 1120هـ)[5]، وللعلامة ابن عجيبة التِّطْواني (ت: 1224هـ)[6] وللعلامة الحَجْوي الثَّعالبي (ت: 1376هـ) ولغيرهم من علماء المغرب والغرب الإسلامي اعتناء بشعر المقدسي[7].

المبحث السَّابع: وصيته ووفاته.

أ. وصيته:

لمَّا حان أجل وفاة الشَّيخ عزُّ الدِّين ابن غانم المقدسي خطر له إنشاء وصيَّة

---

(1) الأزهار في ما عقده الشعراء: 18.

(2) ابتهاج القلوب، لعبد الرحمان الفاسي: 282.

(3) نفسه: 283.

(4) زهر الأكم: 339/1، أورد له تائية ونسبها له.

(5) أورد للمؤلف خمسة أبيات في السماع مذكورة أيضا في حل الرموز، أولها:

ما حيلة الساقي إذا طاف على ندمانه بالخمرة المحلله

(الدر النفيس: ملزمة31/ 5 - 6).

(6) إيقاظ الهمم: 6/1 - 7، نقل نونيته: أيها العاشق معنى حسننا، بدون نسبة.

(7) الفكر السامي: 69/3 - 70، أورد لامية المقدسي التي أولها: ذهب الرجال.، ونسبها للعز بن عبد السلام، والغالب أنه نقلها من الطبعة الأولى لحل الرُّموز المنسوب غلطا للعز بن عبد السَّلام.

لا بأس من إيرادها لما لها من أهمية، يقول: «**إلهي** أنت قلت، وقولُك الحقّ: "**أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء**"، فأنت على لُطفكَ دللتني، وفي جَنْب جودكَ أطمعتني، وإلى كرم حَرَمك أوْصلتني، فقد حَسُنَ بك ظنِّي، على ما كان منّي، فحاشاكَ عن بوارد أوليائك تمنعني، وعن موارد نَعْمائِكَ تدفعني، سيِّدي إن أَقْلعني تَخْليطي فعفوُكَ يُنْهضني، وإن رماني تفريطي فجودك يُنْعشني.

إلَهي أنا في أَسْرِ نفسي، ولو شئتَ خَلَّصتني، وفي حَبْس هواي، ولو شئتَ عتقتني، وفي رَقْدة غفلتي، ولو شئتَ أَيْقظتني. **إلهي** فهل لي منك توفيق يُسعفني، وإلى طاعتك يعطفني، ومن هذه الأَوْزار يُنقذني.

إلَهي أسألك رحمةً تشملني، وأسألك مغفرةً تعتقني.

إلَهي إنَّك أمرتنا بالوصيَّة[1] عند حلول المَنيَّة، وقد تهجَّمتُ عليك، (وجعلتُ وصيَّتي إليك)[2]، عند قُدومي لديك، فأوَّل ما تبدأُ به من أَمري إذا نزلتُ قبري وخلوتُ بِوزْري، (وَأَسلمني أَهلي أن تُؤْنِس وَحْشَتي)[3]، وتُوسِّعَ حُفرتي، وتُلْهِمَني جَوابَ مَسْأَلَتي، ثمَّ تكتب (عليَّ منصوب نصيبي)[4] في لَوْحِ صَحيفَتي بقلم: ﴿**يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[5] [يوسف: 92]. فإذا جَمعتَ رُفاتي (وَحَشَرْتَني)[6] يَومَ مِيقاتِي وَنَشَرْتَ صَحِيفةَ سَيِّئاتي وحسناتي، انظرْ عملي فما كان (من حسنٍ)[7] فاصرفْهُ في زُمرة أَوليائكَ وما كان

---

(1) معظم هذه الوصية مقتبس من صِنْوة لها تنسب إلى محيي الدين ابن عربي الحاتمي (ت: 638هـ)، واقتبس منها أيضا المؤلف في كتابه: الفتوحات الغيبية، الفصل الخامس والعشرون. وقد نبَّهني إلى اقتباس المؤلف من الحاتمي، فضيلة العلامة شيخي سيدي عمر بناني حفظه الله.

(2) كذا في وصية ابن عربي، وغير وارد في الفتوحات الغيبية: 78.

(3) في وصية ابن عربي: (وأسلمني أهلي في وحدتي، تؤنس وحشتي)، وفي الفتوحات الغيبية: 78 (وأسلمني أهلي في غربتي، أن تؤنس وحشتي).

(4) في وصية ابن عربي والفتوحات الغيبية: 78 (على ناصية مصيبتي).

(5) في وصية ابن عربي والفتوحات الغيبية: 78 ﴿ **اليوم يغفر...**﴾.

(6) في وصية ابن عربي: (ونشرتني).

(7) في الفتوحات الغيبية: (حسنا).

(مِنْ قَبيحٍ)[1] فَمُدَّ بِهِ إِلَى ساحل عُتَقَائِكَ واغْرقهُ في بَحْرِ عَفوِكَ (وَغُفْرانك)[2]. ثُمَّ (إذا وقفَ)[3] عبدُكَ بين يَدَيك، (ولم)[4] يبق إلَّا افتقارُه إليك، واعتمادُه عليك، فقس بين عفوكَ وذنبه، وبين غِناكَ وَفَقْرِه، بين (حِلْمِكَ)[5] وَجَهْلِه[6]، وبين عِزِّكَ وَذُلِّه، ثُمَّ افعل به ما أنت أَهْلُه.

فهذه وصيَّتي إليك، تطفُّلاً بفضلك عليك، وأنا أشهد (أن لا إله إلَّا الله وأشهد أنَّ)[7] محمَّداً (عبدُكَ ورسولُك)[8]، وأنَّ الموتَ حقٌّ، (وأنَّ الحياةَ باطل)[9]، وأنَّ السَّاعةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبعثُ من في القُبُور»[10].

ب- وفاته:

توفي الشَّيخ ابن غانم شهيدا بالقاهرة ودفن بمقبرة باب النَّصر، فقد ذكر بعض من ترجمه أنَّه وقع من موضع مرتفع فتوجع ولم يلبث إلا قليلا فمات، وذلك يوم الأربعاء ثامن عشر شوال سنة 678هـ/1279م، ولم يبلغ الخمسين من العمر، كما أرَّخه اليونيني في ذيله على "مرآة الزمان"[11]، والذَّهبي في كتابيه؛ "تاريخ الإسلام"[12]

(1) في الفتوحات الغيبية: (قبيحا).

(2) في وصية ابن عربي: (ووفائك)، والفتوحات الغيبية: 78 (ووقائك).

(3) في وصية ابن عربي: (أوقف).

(4) في وصية ابن عربي: (فإن)، والفتوحات الغيبية: 78 (فإذا).

(5) في وصية ابن عربي: (علمك).

(6) إلى هنا ينتهي ما اقتبسه المؤلف من وصية ابن عربي، وتمام الوصية المقتبسة: «أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن سيدنا محمد عبدك ورسولك، وأن الموت حق وأن السَّاعة حق».

(7) في الفتوحات الغيبية: 78 (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن).

(8) نفسه: 78 (عبده ورسوله).

(9) نفسه: 78 (وأنَّ الجنَّة حق وأنَّ النَّار حق وأنَّ البعث حق).

(10) ذيل مرآة الزَّمان: 15/2.

(11) ذيل مرآة الزمان: 15/2.

(12) تاريخ الإسلام: 306/50.

و"العبر"[1]، واليافعي في "مرآة الجنان"[2]، والصَّفدي في "الوافي بالوفيات"[3]، وابن كثير في "البداية والنِّهاية"[4]، والعسقلاني في "الدرر الكامنة"[5]، وغيرهم ممن ترجموه خلا حاجي خليفة في "كشف الظُّنون"[6]، والبغدادي في تأليفَيْه "إيضاح المكنون"[7]، و"هديَّة العارفين"[8] اللَّذين قدَّما وفاته إلى سنة 978هـ، والصَّحيح القول الأول.

(1) العبر في خبر من غبر: 321/5.
(2) مرآة الجنان: 190/4.
(3) الوافي بالوفيات: 253/18.
(4) البداية والنهاية: 289/13.
(5) الدرر الكامنة: 237/4.
(6) كشف الظنون: 463/1.
(7) إيضاح المكنون: 416/3.
(8) هدية العارفين: 301/1.

الفصل الثَّاني:

التَّعريف بكتاب "حل الرُّموز".

المبحث الأوَّل: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته.

المبحث الثَّاني: موضوع الكتاب.

المبحث الثَّالث: منهج الكتاب

المبحث الرَّابع: أسلوب الكتاب.

المبحث الخامس: النسخ المعتمدة، والعمل في التحقيق.

المبحث الأول: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته.

أ. تأصيل عنوان الكتاب.

ورد عنوان كتاب الشَّيخ عبد السلام ابن غانم لدى جل من ترجموه، وفي كلِّ النُسخ المخطوطة التي رجعنا إليها وطالعناها كالآتي: "**حلُّ الرُّموز ومفاتيح الكُنوز**"، وهي الصِّيغة التي اعتمدناها.

ب - تأصيل نسبة الكتاب.

وأمَّا نسبة الكتاب فقد جاء "**حلُّ الرُّموز**" منسوبا إلى الشُّيخ ابن غانم المقدسي لدى كثير ممن ترجموه حين تعرضهم لتآليفه، وكذا أيضا في جلِّ النُّسخ الَّتي طالعناها، إلَّا أنَّه التبس على طابعَيْ هذا الكتاب في طبعته الأولى المؤرخة في سنة 1317هـ/ 1899م السَّيِّدان: أحمد علي الشَّاذلي وحسين فهمي فنسباه للعلامة العز ابن عبد السَّلام (ت: 660هـ)[1]، وتبعهما في هذا الغلط في نسبة الكتاب إلى صاحبه المحقق محمد عبد الرَّحمان الشاغول الَّذي عمل على تحقيقه باعتماده على النُسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية تحت رقم: 62 تصوف، ويظهر من الصُّورة الملحقة بتحقيقه لهذا الكتاب عنوانه وهو كالآتي: "حل الرُّموز ومفاتيح الكنوز"، كما يظهر منها أيضا اسم المؤلف وهو كالآتي: عز الدين عبد السَّلام، وليس العز بن عبد السَّلام كما ذكر، وليس غريبا أن يقع مثل هذا اللبس في نسبة الكتاب بين عالمين متعاصرين، كان الأوَّل خطيبا وإماما بالجامع الأموي والثَّاني واعظا به، وتشابها في المَشرب وفي بعض عناوين كتبهما.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب.

قسَّم المعتنون بتصنيف أنماط التَّأليف وأقسامه إلى سبعة أقسام ذكرها

---

(1) هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السَّلام إمام علامة، لقب من قبل ابن دقيق العيد بسلطان العلماء، سلمي دمشقي ثم مصري، تولى الخطابة والإمامة بالجامع الأموي بدمشق، ثم القضاء بمصر، له تصانيف في غاية النَّفاسة، توفي سنة 660 هـ. (البداية والنِّهاية: 235/13 - 236، الوافي بالوفيات: 318/18 - 320، وشذرات الذهب: 301/5 - 302).

العلامة ابن حزم (ت: 456هـ) ونظمها بعضهم في قوله:

(الطويل)

أَلا فَـــاعْلَمَنْ أَنَّ التَّآلِـــيفَ سَـــبْعَةٌ   لِكُـلِّ لَبِـيبٍ فِـي النَّـصِيحَةِ خَـالِصِ
فَـشَرْحٌ لإِغْـلَاقٍ، وَتَـصْحِيحُ مُخْطِـئٍ   وَإِبْـدَاعُ حَبْـرٍ مُقْـدِمٍ غَيْـرُ نَـاكِصِ
وَتَـــرْتِيبُ مَنْـــثُورٍ، وَجَمْـــعُ مُفَـــرَّقٍ   وَتَقْـصِيرُ تَطْـوِيلٍ، وَتَتْمِـيمُ نَـاقِصِ[1]

ويندرج كتاب "حل الرُّموز" تحت القسم الأول؛ أي شرح المغلق، أو بتعبير المؤلِّف: حلُّ ما أشكل على الأفهام من كلام الصُّوفية العِرفاني، واستخراج كنوزه وأسراره.

ومعنى المُشكل في اللُّغة أي المختلط، لذلك يقال: النَّبيذ المشكل؛ أي المختلط، ويقال أيضا: أشكل العينين؛ أي خالطهما الدَّم، وبهذا المعنى أيضا استعمل في معناه الاصطلاحي، وذلك للدَّلالة على المُلتبس من الكلام الَّذي لا يُفهم حتَّى يدُلَّ عليه دليل غيره، فهو ممَّا يحتاج إلى فضل تأمل ودقَّة نظر لفهم المُراد منه، وتجاوز تناقض ظاهره، وقد عنت حركة التَّأليف عند العرب بالمُشكل بعد أن تم تدوين العلوم، فانصرف أولا إلى التَّأليف في مشكل القرآن الكريم والأحاديث النَّبوية والآثار، ثم انصرف في ما بعد إلى حلِّ مشكل الشِّعر، في حين تأخرت العناية بمشكل التَّصوف لكونه علما حادثا، فلمَّا قويت حركة التَّأليف في هذا العلم، وأفضى ذلك إلى تعبير الصُّوفية عن مواجيدهم وما انقدح من الأنوار الرَّبانية في مشكاة قلوبهم الَّتي انشغلوا بجلاء مرآتها وصفائها، تحامل علماءُ الظَّاهر والفقهاء عليهم بذمهم وتبديعهم والطَّعن عليهم في عقيدتهم إلى حدِّ التَّكفير، فصارت الحاجة إلى هذا الصِّنف من التَّآليف ضرورية لبيان ما اختلف فيه الفهم مما جاء به الصُّوفية مقالا وحالا والذَّبُّ عنهم والانتصار لمذهبهم ومنهجهم.

وقد جالت أقلام المؤلفين في موضوع كتاب "حل الرُّموز"، وتناولته عَرَضاً في ثنايا التَّصانيف، كما أفردته بالتَّصنيف، ومن هؤلاء الذين خاضوا فيه يمكن أن نذكر الإمام الغزالي (ت: 505هـ)، وابن القيسراني (ت: 507هـ)، وعمر السهروردي

(1) أزهار الرياض، للمقري: 246/1.

(ت: 632هـ)، والشَّيخ أحمد زرُّوق (ت: 899هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، والإمام عبد الوهاب الشَّعراني (ت: 973هـ) وغيرهم كثير.

وأمَّا في ما يخص كتاب "حل الرُّموز" فقد أشار مؤلفه في ديباجته إلى موضوعه ومنهجه بقوله: «وإنِّي رأيتُ كثيراً من الألفاظ قد ارتبكتْ في أَغْمَاضها كثيرٌ من أهل الاِعتراض، فمنهم الَّذين يستمعون القولَ فيتَّبعون الأحسن من جوامعه، ومنهم الَّذين يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، وقد عجز كثيرٌ عن حَلِّها لِعِزِّ مَحَلِّها، فمنها ما جاء في الآيات والأخبار المشهورة ومنها ما جاء في الآثار المأْثورة»، ثم قال بعد ذلك: «فلمَّا رأيتُ هذه الأقوالَ الصَّادرة عن أهل الأحوال وقد أُشْكِلَ على الأفهامِ تعليلُها، وعَزَبَ عن الأوهام تأويلُها، أحببتُ أن أشرحَ منها ما انشرح له صدري»، فبيَّن أنَّ مَدار اهتمام الكتاب تأويلُ الأقوال العِرفانية لأهل الأحوال والَّتي أُشكل على الأفهام حَلُّ رموزها.

فالعلوم ما دامت في معادنها فهي واسعة مطلقة ولا تقبل التَّغيير، فإذا ظهرت مقيَّدة بالحروف دخلها ما يدخل الكون من التَّغيير والتَّبديل واختلاف العبارات، فكلام الصُّوفية متفاوت وليس على مرتبة واحدة وإنَّما هو على مراتب مختلفة، فهو وإن كان يُسقى من ماء واحد فإن ثمراته مختلفة، فمنه السَّلس المنقاد القريب المأخذ، ومنه العويص النَّائي المطلب، وبحسب صقل مرآة القلب وتعهدها بالتَّنظيف يكون انعكاس أنوار المعارف، وكذلك أيضا حال مُتَقَبِّله ومُتَلَقِّيه من حيث تفاوتُ فهمه في أخذ المعاني الكامنة في كلام العارفين، فليس كل فهم بمقدوره بلوغ مقاصد الكلام بالتَّأويل، وتجاوز ظاهر دليله الموهم المُشكل لبلوغ بواطن مدلولاته، فإن ذلك أيضا توفيق منه عزَّ وجلَّ يُلهم كلَّ مُدرك بحسب ما يناسب استعداده، ويُمدُّه بحسب صفاء سريرته.

ومنهج التَّأويل الَّذي تبناه الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي، منهج أصيل في الثَّقافة الإسلامية والعربية ولدى الصُّوفية أيضا، وهو منحى الرَّاسخين في العلم، يقول العلامة محمد بن عبد الكبير الكتَّاني: «وَلَعَمري إنَّ هذه القضيَّة لم تُذكر في القرآن أيضاً عَبَثا، ومن وجوه ذكرها التماسُ المَحامل والمخارج الحسنة،

وانتخابُ وجوه التَّأويلات للأكابر، ولذلك قَصَرَ تعالى العلمَ بالتَّأويل على الرَّاسخين في العلم، لا التَّفسير، في قوله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ [آل عمران: 7]»[1].

وتأويل ما أشكل من كلام العارفين منهجُ كثير من أكابر الصُّوفية، أملاه قصور اللُّغة عن الإيفاء بوظيفتها العادية ألا وهي التَّبليغ، وقد عُبِّر عن إشكالية اللُّغة وحجابها اللَّطيف في كون «دائرة المعاني عند العارفين أوسعُ من دائرة الألفاظ، والصَّدرُ أفسحُ من الكتب والمؤلَّفات»[2]، أو كما قيل أيضا «لأنَّ من المَشْهود ما هو أَوْسعُ من أن يدخلَ في ضيق العبارة وألطفُ من أن تَكْتَنِفَهُ الإشارة»[3]، فهذه المعارف عويصةُ التَّحرير ويصعب تخليصها لأنَّه إن عَبَّر عنها الصُّوفي بعبارة اللِّسان فاته الذَّوق والوجدان، وإن أشار إليها بضرب من التَّلميح والرَّمز والإشارة لا يفهمها أهل التَّصريح، فصعب أمرها على كل حال إلا من أسعده الله بصحبة الرِّجال أهل الهِمَّة والتَّربية.

كما أنَّ «في كلامهم من الاستعارات وإطلاق العامِّ وإرادة الخاصِّ، وإطلاق اللَّفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحدٍ من الطَّوائف غيرهم»[4].

ومن ثَمَّ فكما قال أبو المواهب الشَّاذلي الوفائي: «من طلب علمَ الإشارة منَ العبارة فقد طلب المُحالَ وأنكر على الرِّجال وحُرم تمام الكمال»[5]، وتعيَّنَ حملُ هذه الأقوال الموهمة على المحامل السَّديدة بضرب من التَّأويل، يقول الشَّيخ زرّوق في هذا الشَّأن متحدِّثا عن مشكل كلام الشَّيخ أبي الحسن الشَّاذلي: «وما أُشكل من كلامه تعيَّن تأْوِيله كغيره من أئمَّة الدِّين وقادة المسلمين بالوجه القابل له،

(1) خبيئة الكون: 470.

(2) نفسه.

(3) الطبقات الكبرى، للشعراني: 301/1.

(4) مدارج السالكين: 253/2.

(5) الطبقات الكبرى، للشعراني: 303/1.

فإن لم يوجد له سُلِّم له، ولا يُعترض عليه بمجرَّد الإيهام والإشكال الَّذي لا إيهام فيه»[1]، وإلى هذا المنهج أيضا استند الإمام الغزالي حين أعتذر للبسطامي وما صدر عنه من إطلاقات «وحملها كلَّها على محامل حسنة بضرب من **التَّأويل**»[2]، ونحوه أيضا قول ابن عطاء الله السَّكندري: «ما جاء من الأكابر أُوْلي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يُنكر ظاهرُها **أوَّلناها** لهم لما علمنا من استقامتهم وحسن طريقتهم»[3].

وأمَّا مؤلِّف كتابنا الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي فقد ألمح إلى جملة ما ذكرناه وألمَّ به إلمامة لطيفة، ذلك أنَّ ثمرة علم التَّصوف المسماة بعلوم المكاشفة لا تكشف عنها العبارة، وليس يمكن أن توضع لها الألفاظ، فإنَّ طَوْرها وراء طَور العقل، فالألفاظ الموهمة الصَّادرة عن كثير من أئمَّة الصُّوفية كلام لا يقدر على تحصيل مقتضاه أهلُ الظَّاهر لغموضه وانغلاقه، إذ هو حروف مُعربة مفهومة من قبل الصُّوفية الذَّائقين؛ لأنَّ المُخبر عن الشَّيء ذوقا مخبرٌ عن عين اليقين، في حين أنَّها حروف معجمةٌ مُطَلْسَمةٌ عن غير أهلها من أهل الظَّاهر، وعن هذا المعنى عبر ابن غانم المقدسي في قوله:

(الخفيف)

يَا فَقِيهاً إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُ قَوْلِي ... هَاتِ قُلْ لِي مَا سِرُّ كَلَامِي

أَنَا أَقْرَأْتُ بِالمَحَبَّةِ حَرْفاً ... مُعْرَباً، مُعْجَماً عَلَى الأَفْهَامِ

هُوَ مَعْنىً لَيْسَ فِي كُلِّ مَعْنَى ... بِصَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَصِيَامِ

هُوَ سِرٌّ وَأَنْتَ عَنْهُ حِجَابٌ ... فَهُوَ نُورٌ مُسْتَتِرٌ بِظَلَامِ[4]

والمتحصل من جملة هذا الكلام أنَّ مقاصد الخطاب الصُّوفي العِرفاني توجب العُدول عن المعنى الظَّاهر بضرب من التَّأويل لأنَّه غير مقصود، ولأنَّ للُّغة

---

(1) شرح حزب البحر، لزروق: 43 - 44.

(2) وفيات الأعيان: 149/2، في ترجمة الحلاج.

(3) تأييد الحقيقة العلية، للسيوطي: 69.

(4) ذيل مرآة الزمان: 14/2، عجز البيت الأول مكسور، وتقرأ "أنا" في صدر البيت الثاني باختلاس مدها للوزن.

ظاهر واحد وبواطن عديدة، إلى معاني أخر لكون القرائن تؤكد مَقصوديتها.

المبحث الثَّالث: منهج الكتاب.

وأمَّا منهجُ الكتاب وهيكلُه فقد بيَّنه أيضا المؤلف وحدَّده في مكونين؛ **الأول**: تأويل ما جاء في الآيات والأخبار المشهورة، ومراده بذلك تأويل متشابه الآيات القرآنية والأحاديث والآثار النَّبوية المتداولة من قبل الصُّوفية.

وأمَّا **الثاني**: فتأويل ما جاء في الآثار المأثورة، وقصد بذلك تأويل كلام بعض مشاهير الصُّوفية.

ويتبدَّى لنا أنَّ هيكل الكتاب يتكون من أكثر من ذلك وتحديدا من خمسة مكونات، وهي:

1 - تأويل الآيات القرآنية.

وتصدَّى في هذا المكون إلى تأويل الآيات: **﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾**[1]، و**﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾**[2]، وَ**﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[3].

2 - تأويل الأحاديث النبوية والقدسية والآثار.

تناول فيه بالتَّأويل حديث جبريل عليه السَّلام، وأحاديث وآثار أخرى نذكر منها: **"من عرف نفسه عرف ربَّه"**، و**"كن في الدُّنيا كأنَّك غريب..."**، و**"مرضت فلم تعدني..."**، و**"لا زال عبدي يتقرَّب إلى بالنَّوافل.."**، و**"نعم العبد صُهيب..."**.

3 - تأويل ما جاء في الآثار المأثورة؛ أي أقوال الصُّوفية.

تناول بالتأويل في هذا المكون أقوال الصُّوفية نحو: "أنا الحق" و"سبحاني"، و" أنا من أهوى ومن أهوى أنا".

---

(1) طه: 5.

(2) النور: 35.

(3) النور: 31.

4 - تأويل ما صدر عن الصُّوفية حالا. ويتضمن حديثا عن السَّماع والكرامات.

يعد السَّماع أحد أهم ما أشكل على الأفهام فهمه من أحوال الصُّوفية وقد تضاربت الأقوال فيه مما حتَّم على المؤلف تناوله لبيانه يقول: «واعلم أنَّه تحتَّم ذكرُ السَّماع وما هو منه محظورٌ وما هو مباح، وما هو مستحبٌّ مُستحسن، فإنَّ كثيراً من المُتعمِّقين والمتقشِّفين كرَّهوه وأنكروه أصلاً وفرعا، وحقيقةً وشرعا، وهذا غلط منهم لأنَّ ذلك يُفضي إلى تخطئة كثير من أولياء الله وتفسيق كثير من العلماء»، فالسَّماع بحسب المؤلف لا يمكن تحريمه وحضره أصلا، ولا تحليله على الإطلاق أيضا، فإباحته وتحريمه بحسب القلوب كثافة ولطفا فهو:

(البسيط)

نُـورٌ لِمَـنْ قَلْـبُهُ بِالـنُّورِ مُنْـشَرِحٌ　　　نَارٌ لِمَنْ صَدْرُهُ نَاوُوسُ وَسْوَاسِ

وقد سئل عن السَّماع فأجاب كما قال اليونيني بكلام طويل لم يدرجه في كتابه واكتفى بإيراد قصيدة مما جاء فيها قول عبد السَّلام ابن غانم.

(الخفيف)

قُـمْ فَرَدِّدْ فِـي الخَـانِ أَلْحَـانَ ذِكْـرِي　　　فَـسَمَاعُ الأَلْحَـانِ غَيْـرُ حَـرَامِ

وَاسْـقِنِي مِـنْ مُدَامَـةِ الحُـبِّ صِـرْفاً　　　تَمْـحُ عَنِّـي كَبَائِـرَ الآثَـامِ

وَاصْـطَبِحْ وَاغْتَـبِقْ بِهَـا وَتَهَـتَّكْ　　　وَتَمَـرَّدْ تِـيهاً عَلَـى اللُّـوَّامِ

وَإِذَا قِـيلَ مَـنْ أَبَاحَـكَ هَـذَا　　　قُـلْ بِفَـتْوَى الفَقِيـرِ عَـبْدُ الـسَّلَامِ[1]

وممَّا أُشْكِلَ أيضا على الأفهام فهمه من أحوال الصُّوفية فأنكروها عليهم، الكرامات، يقول المؤلف: «واعلم أنَّ طائفةً ممَّن عدِموا العقلَ وخالفوا النَّقلَ عَدَلوا عن الحقِّ وصدُّوه، وعمدوا إلى الباب فسدُّوه، فقالوا بإبطال كرامات الأوليَّاء ومكاشفات الأصفياء».

وتناول في هذا المكون ما يدلُّ على الكرامة عقلا ونقلا من الكتاب والسُّنَّة النَّبوية الشَّريفة، كما أنَّه عرَّج على كثير من الموضوعات الأخرى ذات الصِّلة

(1) ذيل مرآة الزمان: 14/2 - 15.

بالكرامة والولاية، نحو الفرق بين المعجزة والكرامة، وهل الولي من شرطه أن يعلم أنَّه ولي أم لا؟ وهل يجوز أن يكون الولي معصوما أم لا؟

5 - بيان صفات الفقير الصَّادق.

يعدُّ هذا المكون آخر مكونات موضوعات الكتاب، تغيًا منه المؤلِّف النُّصحَ وتقويمَ الحركة الصُّوفية ونقد ما اعتراها وشابها من انحرافات، ويبدو أنَّ هذه الظَّاهرة قديمة شهدها القرن السَّادس ممَّا حدا بالإمام الغزالي لَمَّا شَاهد في هذه الطَّائفة الخلل في عصره إلى النُّصح لمن يرغب في الاهتداء فأورد في"إحياء علوم الدين" أمورا شبيهة بما ذكره أيضا عبد السَّلام ابن غانم المقدسي، من ذلك قوله عن المتصوِّفة: «اغترُّوا بالزِّيِّ والهيئة، وشاركوا الصَّادقين من الصُّوفيَّة في زِيِّهم وهيئَتهم وفي ألفاظهم، فلمَّا تكلَّفوا هذه الأمور... ظنُّوا أنَّهم صوفية، تكالبوا على الحرام والشُّبهات...»[1].

- موضوعات فرعية أخرى.

تناول كتاب "حل الرُّموز" فضلا عن تأويل ما أُشْكِل من أقوال وأحوال الصُّوفية، باعتباره موضوعه الأساس، مفاهيم عِرفانية وحقائق علوية من رقائق التَّصوف من قبيل شرح كلمة التَّوحيد، ولأنَّ الكلام في الحقائق ومتشابه التَّوحيد في الآيات تحديدا وفي بعض الأحاديث التي تناولها المؤلف يوهم التَّشبيه والتَّجسيم فقد عرَّج المؤلف على التَّنزيه لرفع هذا الالتباس ولبيان سلامة عقيدتهم من البدعة، فاعتقادات أكابر مشايخ الصُّوفية ابتداء بإمام الطائفة ومن تلاه في ما بعد موافقة لأصول السَّلف الصَّالح وأهل السُّنَّة والجماعة، فالثَّابت كما قال الشَّيخ ابن تيميَّة «عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السَّلف»[2]، فهم «أقربُ إلى مذهب سلف الأمَّة وأَبعدُ عن البدعة والهوى»[3].

ومُجمل القول في ذلك كما يتبين من الكتاب أنَّ الصُّوفية أثبتوا الصِّفة لله

---

(1) إحياء علوم الدين: 404/3.

(2) الاستقامة: 82/1.

(3) نفسه.

باسمها من غير تشبيه، ونفوا التَّشبيه عنها من غير تعطيل لصفات الخالق عزَّ وجل، وآيَسُوا من إدراك كُنْهها، فالعجز عن الإدراك إدراك كما قيل، واستيفاءِ تأويلها، فلا مبالغة في التَّنزيه المفضي إلى التَّعطيل.

ولعل هذا يبين أحد أهم مقاصد الكتاب الضِّمنية غير المعلن عنها، فضلا عن مقصده الأساس المصرَّح به في الدِّيباجة، لا سيَّما إذا وضعناه في سياقه التاريخي الفكري وما شهده القرن السَّابع والَّذي قبله من تيارات فكرية من قبيل الجمود على ظواهر النَّص الَّذي أفضى إلى التَّجسيم والتَّشبيه والتَّعطيل، في حين يُظهر هذا التَّأليف عدم جمود الصُّوفية على رسوم وظواهر النَّص وتوسلهم بالتَّأويل كمنهج لفهمه من غير تعسف مع الانضباط لأحكام الشَّريعة ودونما وقوع في ما وقع فيه خصوم التَّأويل.

والكتاب وإن صنَّفناه في تصوف العِرفان فإنَّه لم يخل أيضا من تناول كثير من موضوعات تصوف التَّربية والسُّلوك نحو المقامات والأحوال وشرحها؛ كالمحبة وأقوال القوم فيها، والسُّكر والفناء والتَّلوين والتَّمكين، والتَّوبة وشروطها وأقسامها، والفرق بين الرَّحمة والرِّضا وغيرها، مما يجعله كتابا شاملا أحاط بموضوعات عِرفانية وسلوكية.

المبحث الرَّابع: أسلوب الكتاب.

سبق أن بيَّنا أنَّ مقصد كتاب "حل الرُّموز" الذَّب عن التَّصوف العِرفاني بتأويل ما صدر عن الصُّوفية مقالا وحالا، فبديهي من ثمَّ أن يكتسي أسلوبه أبعادا حجاجية وإقناعية كثيرة من خلال المناظرة والجدال، فللحوار ثلاثة أبعاد تتباين بتباين المتحاوَر، فلأهل الصِّدق الدُّعاءُ إلى الله بالحكمة، ولأهل الاعتقاد والتَّسليم الدُّعاءُ بالموعظة الحسنة، ولأهل الانتقاد الجدالُ بالَّتي هي أحسن، وقد ذكرت هذه الأساليب مجتمعة في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1].

(1) النحل: 125.

ولمَّا كان الكتاب متوجها إلى أهل الانتقاد فإنَّ أنسب أساليب الحوار لهذا المقام الجدالُ. من ثم فقد نافح المؤلِّف عن الصُّوفية وانتصر لمذهبهم وما صدر عنهم مقالا وحالا باستعمال أساليب الجدل، أي البرهان والدَّليل والاستدلال العقلي، وتنزَّل في الخطاب على قدر أفهام المخاطَبين لا على ما هو الأمر عليه في نفسه، تفاديا لتأويل مُشكل الكلام بكلام مشكل، كما تنزَّل أيضا في العبارة بتوخي الوضوح، وببيان وجوه من التَّأويل وعدم الاقتصار على وجه واحد قصد الإفهام وتحقيقا لمقصدية الخطاب الصُّوفي في الكتاب والمتمثلة في الإقناع.

ومن هذه الأساليب الحِجاجية الَّتي يستدعيها توخي بيان حقيقة علوم المكاشفات لأهل الظَّاهر التَّمثيلُ والتَّشبيه والمُخاطبات الشِّعرية. فأما التَّمثيل والتَّشبيه فأسلوب قرآني ومن أساليب الوعاظ أيضا، ويعتبر من أبرز ملامح الحِجاج في الكتاب، ومن أمثلته نذكر قوله:

- «فما مثالُ فناء المُحبِّ في بقاء المحبوب إلَّا مثال النَّار...»

- «ومثالُ كُمون المحبَّة في ذات المُحبِّ وسلْب ذاتيَّة المحبِّ عن صفاتها ككُمون النَّار في ذاتيَّة الماء الحار...»

- «وما مثال ذلك إلَّا مثال رجل بيده سراج».

- «ويتنزَّل القلبُ بمنزلة المرآة في لطيفها وكثيفها».

بل لقد ينحو المؤلف إلى استمداد عناصر التَّمثيل من مرجعية ذات قوة حِجاجية كبيرة، لا سيما وأن طرفي عملية الجدال؛ أي المُنكِر والمجادِل له تنتظمهما معا مرجعية عقدية واحدة، ونعني بهذا استمداد التَّمثيل من القرآن الكريم، نحو قوله:

- «ونظيرُ هذا قصَّة زليخا...».

وأما المخاطبات الشِّعرية فتعدُّ أيضا من أساليب الجدل الإقناعية الَّتي توظف لاستمالة المتلقي وحمله على تغيير منظومة أفكاره واعتقاداته، وقد وظَّفها المؤلف لهذا الغرض أيضا فذيَّل بها مجمل فصول الكتاب، وأتى بهذه الأشعار، وهي في أغلبها من إنشائه، في آخر منثور كل فصل يلخِّص بها مجمل ما تناوله،

وإلى وظيفة كل من التَّمثيل والمُخاطبات الشِّعرية واستنادُ كل من رام تفهيم العلم العِرفاني وعلوم المُكاشفات إليهما أشار الإمام الشَّعراني في قوله: «ومن هنا كان من يريد تفهيمَ العلم لهذا الغير لا يقدرُ أن يُوصلَ ذلك العلم إلى الأفهامِ الضَّعيفة إلَّا بضرب الأمثلة والمخاطبات الشِّعريَّة»[1].

ومن أساليب الجدل أيضا الموظفة في الكتاب؛ أسلوب الفَنْقَلَةِ والمراجعة، ونمثل للأول بقول المؤلف:

- «**فإن قال لك قائل**: فكيف تصحُّ دعوى من ادَّعى الأَنانية؟ وكيف تُؤَوَّل؟...

فَأَقُول: اعلم أنَّ المحبَّة لطيفةٌ روحانيةٌ تستولي بلطيف روحانيَّتِها على كثيف جُثْمانية المحب...».

وأما المراجعة فنمثِّل لها بقوله:

إنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ قُلْ: كَيْفَ شَاءَ ... وَلا تُصْغِي إِلَى كَيْف تُضْحِي تَنَم نَدْمَانَا
أَوْ قِيلَ: أَيْنَ؟ فَقُلْ حَيْثُ اتَّجَهْتَ تَجِدْ ... مَوْلاكَ مَا غَابَ طَرْفاً لا وَلا بَانَا

ولا غرو أنَّ القراءة المتأنِّية لهذا الكتاب تكشف عن توفُّق المؤلِّف في تناولِ علوم الحقائق والمُكاشفات ومسائلها الَّتي تَدِقُّ عن النَّظر العقلي، ومناظرةِ أهل الجدال بأساليب الجدل، ومُحاجَّة خصوم العِرفان والحقيقة بأساليب الشَّريعة، فَتَتَحَصَّلُ من نصِّ الكتاب لذَّة عقلية ناشئة بسبب معرفة الأشياء والوقوف عليها بضرب من التَّحقيق والتَّدقيق، كما تَمَكَّنَ أيضا المؤلِّف من إيصال هذا الخطاب بلُبوس أدبي بديع رائق متوسلا بأساليب بلاغية ذات أبعاد جمالية وإقناعية في ذات الآن، مما تتحصل عنه لذة فنِّية متميزة، الأمر الَّذي يمنح هذا الكتاب قيمة مزدوجة معرفيَّة وأدبيَّة.

(1) اليواقيت والجواهر: 27/1.

المبحث الخامس: النُسخ المعتمدة ومنهجنا في التَّحقيق.

أ. النُسخ المعتمدة.

اعتمدنا في تحقيق كتاب "**حل الرُّموز**"[1] على خمس نسخ مخطوطة وهي:

الأولى: نسخة خاصة من مكتبة الفقيه العلامة سيدي عبد الحي العمراوي، حفظه الله، بفاس، أمدني بصورة منها العلامة الحاج سيدي عمر بناني.

نسخة جيدة، مقابلة على نسخة أخرى في ما يتبين من طررها، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 20 سطرا، مقياسها: 29×20 سم. مجموع صفحاتها: 119.

أوَّلها: « بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

قال الشَّيخ الإمام العلَّامةُ الصُّوفي أبو محمَّد سيِّدي عبد السَّلام بن محمَّد ابن غانم المقدسي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمِين.

الحمد لله...».

وآخرها: «تَمَّ حلُّ الرُّموز ومفتاح الكنوز بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجليل ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل».

رمزنا لها في التحقيق: بـ: (ع).

النسخة الثانية:

نسخة خاصة بحوزة أحمد بن قاسم البادشي بفاس، أمدَّني بصورة منها العلَّامة الحاج سيِّدي عمر بناني حفظه الله.

---

(1) لهذا الكتاب خلا النُسخ الخمس الَّتي اعتمدناها نسخ كثيرة نذكر منها: نسخة بخزانة الإسكوريال تحت رقم: c1987، ناسخها: شهاب الدِّين، ونسخة بمكتبة العلامة عبد الله كنون بطنجة، تحت رقم: 10434، وإحدى عشرة نسخة بالخزانة الملكية بالرباط، تحت الأرقام: 325 و981 و1558 و3205 و5144 و6328 و7445 و8871 و9922 و10163 و11983، ونسخة بخزانة ابن يوسف بمراكش، تحت رقم: 236، ونسخة بخزانة القرويين بفاس، تحت رقم: 1512، ونسخة بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، تحت رقم: مج99/2.

نسخة لا بأس بها من حيث جودة الخط، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 23 سطرا، مقياسها: 26.5×20 سم. مبتورة الآخر نحو صفحة، مجموع صفحاتها: 87.

أوَّلها: « بسم الله الرحمن الرحيم. وصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

هذا كتابُ حلُّ الرُّموز ومفاتيح الكنوز تأْليف الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة ابن الشَّيخ الإمام سيِّدي عزّ الدِّين بن سيِّدي ابن غانم المقدسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به وأفاض علينا من بركاته، آمين.

الحَمْدُ لِلهِ...».

آخرها: البيت الشِّعري: «مُتفاوتون بقربهم...».

رمزنا لها في التحقيق: بـ: (ب).

النُّسخة الثَّالثة:

نسخة المكتبة الوطنية بالرباط تحمل رقم: 74د /1، أول مجموع (من: اللوحة 1 إلى: اللوحة 39).

نسخة جيدة، مقابلة في ما يتبين من طررها، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 23 سطرا، مقياسها: 21×17 سم، مجموع صفحاتها: 78.

أولها: « بسم الله الرحمن الرحيم، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا ومولانا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

كتابُ حلّ الرُّموز ومفاتيح الكنوز تأْليف الشَّيخ الإمام العالم العلَّامة الهمام عزُّ الدِّين بن الشَّيخ سيِّدي عبد السَّلام ابن غانم المقدسي رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به.

الحمد لله...».

آخرها: «انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليما».

رمزنا لها في التَّحقيق: بـ: (و).

النسخة الرَّابعة:

نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، تحمل رقم: 4802 ف، أول مجموع (من: اللوحة 1، إلى: اللوحة 66). عليها تمليك في اسم: محمد أمين الخانجي.

نسخة جيدة، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 22 سطرا، مقياسها: 24.5×16 سم، مجموع صفحاتها: 132.

أولها: « بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي.

الحمد لله الذي فتح...»

آخرها: «تَمَّ الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وجوده وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد».

رمزنا لها في التحقيق: بـ: (س).

النُّسخة الخامسة:

نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، تحمل رقم: 5509.

نسخة جيدة، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 17 سطرا، مقياسها: 24.5×16 سم، مجموع صفحاتها: 88.

أولها: « بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشَّيخ الإمام العالم العامل المحقِّق الموصل المسلِّك العارف الشَّيخ عز الدين ابن عبد السَّلام ابن العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن الشيخ غانم المقدسي قدس الله روحه ونفعنا بعلومه.

الحمد لله الذي فتح بمفاتيح...»».

آخرها: «والحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا محمد النَّبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم، تمَّ الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه»».

رمزنا لها في التَّحقيق: بـ: (د).

ب: عملنا في التَّحقيق.

بعد النَّظر المتأني في النُّسخ التي ارتأينا اعتمادها في التَّحقيق اتخذنا النُّسخة (ع) أصلا وقابلناها على النُّسخ الأربع الأخرى وأثبتنا الصَّواب الرَّاجح في المتن في حين وضعنا الرِّوايات الأخرى في الهامش.

كما قمنا أيضا بما يلي:

- تخريج الآيات القرآنية.
- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مظانها.
- توثيق المادَّة العلمية ومقابلتها بأصولها وعزوها إلى مصادرها.
- التَّعليق على ما يستوجب ذلك وتِبيانه بما يُشاكله في المعنى من أقوال المؤلِّف في تصانيفه الأخرى، أو ما قاله غيره لا سيَّما من أئمَّة القوم وأكابر الصُّوفية.
- التَّرجمة لبعض الأعلام الواردة في المتن.
- شرح ما يحتاج إلى الشَّرح من الألفاظ المستغلقة والاصطلاحات الصُّوفية.
- ضبط الشَّواهد الشعرية ووزنها وتقويمها.

واستيفاء لخدمة النَّص المحقق قمنا بالتقديم له بمقدمة اشتملت على التَّعريف بالمؤلف وبكتابه، ثم أخيرا ذيلنا الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية تُيسِّر للقارئ الوقوفَ على مُراده بأدنى جهد من البحث.

وختاما فهذا جهد العبد الفقير العاجز، المنشغل باله بما امتحن به، المتشوِّف ناظره إلى رحمة مولاه وكريم فضله وجزيل منحه وعطاياه، المتقدِّم إليه بفقره بتضرع وابتهال:

مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيكَ وَسِيلَةٌ فَبِالافْتِقَارِ إِلَيْكَ رَبِّي أَجْزَعُ

مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ

أقدِّمه للقارئ وحسبي أنِّي بذلت فيه الجهد مخلصا لله تعالى متوخيا تيسير

الكتاب وتصويب ما اعتوره من أخطاء في طبعاته السَّالفة، آملا أن يعمَّ به النَّفع، سائلا منه تبارك وتعالى أن يثيبني وجميع من أعانني على إنجازه لا سيَّما الشَّيخ العلامة الحاج سيدي عمر بناني حفظه الله، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربِّ العالمين.

كتبه: محمد بوخنيفي

يوم الاثنين 26 رمضان 1431 هـ

الموافق: 6 شتنبر 2010 م.

في: الجديدة / وسيدي بنور

d.m.boukhanifi@gmail.com

صور من النّسخ المعتمدة في التَّحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العلامة الصوفي أبو محمد
سيدي عبد السلام بن محمد بن غانم المقدسي
رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين

الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب أقفال القلوب ورفع
حجب السرائر ونور أبصار البصائر وأظهر ما كان محجوبا وجلا
عرايس الوجود في مرآة الشهود فمن يعرف المقصود بلغ
المطلوب ودنى من شاء من عباده بجاذبية الله حتى جعلها دأبه
بما سبق له في المكتوب ثم هداه بعدما أبى له هداه ثم رضاه
بعدما أغضاه من العيوب ثم والاه بعدما تولاه ثم أولاه نعما
لا يحصيها حسيب ثم شغله بالمنعم عن النعم ثم أقامه
على قدم الخدمة في الحرم ثم خلع عليه خلعة من خلعة القدم
والواهب الكريم لا يسترد الموهوب فما زال قربه من داره ولكنه
وضعه في دار ملكوته ثم أشرفه على عرصات جبروته
فاختطفته هناك خطفات هيبته فبعد ما ذلك مجذوب
ثم أخذته يد اللطايف الربانية من الكثايف الجثمانية
فهو هناك مشهود مسلوب فلما أخذه من نفسه
وسلبه عن حسه وأشهده من أبناء جنسه رجعه إليه

ثم

صورة الصفحة الأولى من النسخة: (ع).

(نسخة خاصة بحوزة العلامة عبد الحي العمراوي بفاس)

لا ينظرون الى سوى محبوبهم * شغلوا به عن سائر الاشغال
فبهم اليك وسيلتي يا سيدي * الا وصلت حبالهم بحبالي
واخيبة الآمال ان اقصيتني * عن بابهم واخيبة الآمال
ثم الصلاة على النبي محمد * وكذا السلام عليه ثم الآل
وارض عن الصحب الكريم جميعهم * والتابعين والمقتفين منوال
تم حل الرموز ومفتاح الكنوز بحمد الله تعالى
وحسن عونه وتوفيقه الجليل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ع

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة: (ع).

(نسخة خاصة بحوزة العلامة عبد الحي العمراوي بفاس)

صورة الصفحة الأولى من النسخة: (ب)

(نسخة خاصة بحوزة أحمد بن قاسم البادشي بفاس)

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة: (ب)

(نسخة خاصة بحوزة أحمد بن قاسم البادشي بفاس)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام

عز الدين بن الشيخ الإمام العالم شيخ الشيوخ

ابن غانم المقدسي رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به

صورة الصفحة الأولى من النسخة: (و).

(نسخة المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 74 د)

انتهى

بحمد الله تعالى وحسن

عونه وتوفيقه

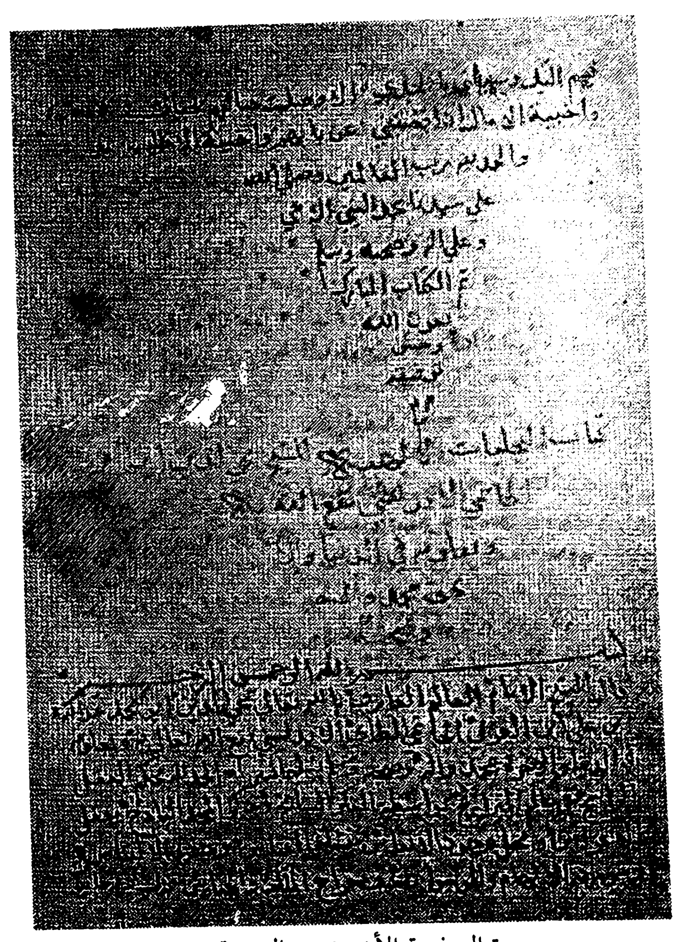
الجميل

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة: (و)

(نسخة المكتبة الوطنية بالرباط رقم: 74 د)

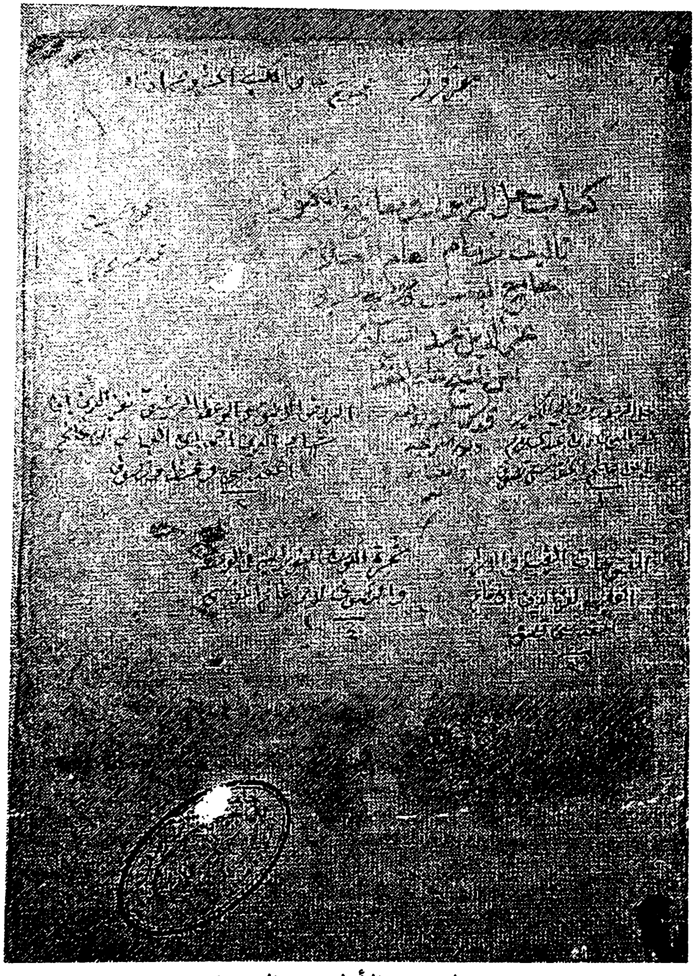
صورة الصفحة الأولى من النسخة: (س)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 4802ف)



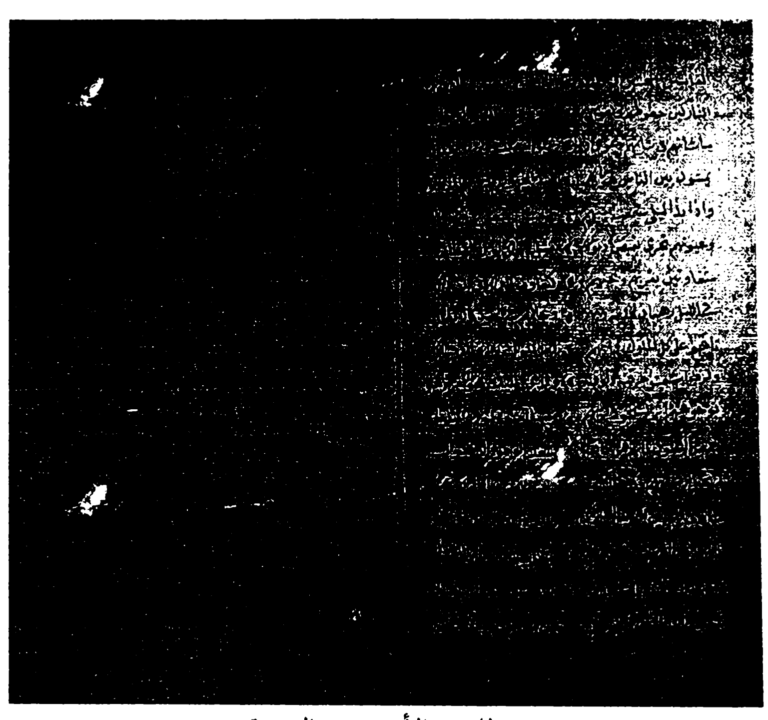
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة: (س)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 4802ف)



صورة الصفحة الأولى من النسخة: (د)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 5509)



صورة اللوحة الأخيرة من النسخة: (د)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 5509)

القسم الثَّاني:
النَّص المحقق

[افتتاح]

بسم الله الرحمن الرحيم، وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحمَّدٍ وَعلى آلِهِ وصَحبِهِ وسَلَّم

قال الشَّيخُ الإمامُ العَلَّامَةُ الصُّوفي أَبو مُحمد

سَيِّدي عَبد السَّلامِ بن (أَحْمد)[1] بن غَانِم المَقْدِسي

رَضِيَ اللهُ عَنهُ وَنَفعَنا بِبرَكاتِه، آمين.

الحمدُ للهِ الَّذي فتح بمفاتيح الغُيوب أَقْفالَ القلوب، ورفع (حُجبَ)[2] السَّرائر ونوَّر أَبصار البصائر فظهر ما كان (محجوب)[3]، وجلا عرائسَ الوجود في مرآة الشُّهود فمن فهِم المقصود بلغ المطلوب، ووَفَّق من شاء من عباده فجاهد في الله حقَّ جهاده[4] بما سبق له في المكتوب، ثمَّ هَداه بعدما بيَّن له هُداه ثمَّ رقَّاه بعدما نقَّاه من العيوب، ثمَّ ولَّاه[5] بعدما تولَّاه ثمَّ أولاه نعما لا يُحصيها حَيْسوب، ثمَّ شغله بالمُنعم عن النِّعم، ثمَّ أقامه على قدم الخدمة في الخَدَم، ثمَّ خَلَعَ عليه خِلْعَةً من (خِلَعِ)[6] القدم، والواهب الكريم لا يَستردُّ الموهوب، فأوَّل قدم (رفعه)[7]

---

(1) في (ع): (محمد)، والصواب ما أثبتناه، يراجع ما ذكرناه في ترجمته.

(2) كذا في: (ع) و(س) و(د)، وفي (و): (حجاب)، وفي (ب): (حجوب).

(3) كذا في جل النسخ، والصواب النصب؛ أي: (محجوبا)، وقد ارتكب هذا مراعاة للتناسب بين سجعتي القسيمين (القلوب) و(محبوب).

(4) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: 78].

(5) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: 6].

(6) في (ع): (خلعة)، و(ب): (خلاع) والمثبت من: (و) و(س) و(د).

(7) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د).

من دار مُلكه وضعه في دار مَلكوته، ثمَّ أشرفَه على عَرَصات جَبَروته فاختطفته هنالك خَطَفات هَيْبته فهو مُخْتَطَف مجذوب، ثمَّ (أخذته)[1] يد اللَّطائف الرَّبانية عن الكَثائف (الجُثْمانية)[2] فهو هناك مُنْتَهَبٌ[3] مسلوب، فلمَّا أخذه من نفسه وسلبه عن حسِّه، وَانْتَهَبَهُ من (بين)[4] أبناء جنسه، رفعه إليه/1/ ثمَّ ردَّه عليه، وقرَّبه لديه، فهو حينئذ مُراد[5] ومخطوب، فلمَّا اصطفاه لقُربته، واجتباه لحضرته، لم يكن غير محبّ ومحبوب، ثمَّ رَوَّقَ[6] له من كَرَمِ كرمه شراباً (مستخرجا)[7] من رَاوُوقِ[8] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[9] (فسكِرَ قبل أن يتناول المشروب)[10]، ثمَّ تجلَّى له في ساعة سُعوده، فغاب بشُهوده عن وجوده، فما أفاق إلَّا بمُذَكِّرِ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[11]، (فلمَّا (صاح)[12] بذكره وصحا من سُكْره، (أفصح)[13] لسان عشقه الطَّروب (يقول)[14])[15]:

---

(1) كذا في (ع) و(ب)، وفي (و) و(س) و(د): (أعرته).

(2) وكذا في (ب)، (س) و(د)، وفي (و): (الجسمانية).

(3) **منتهب**: مأخوذ. (القاموس المحيط، للفيروزآبادي: 179/1).

(4) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(5) **المُراد**: «هو الَّذي يجذِبه الحقُّ جذبةَ القُدرة ويُكاشفُه بالأَحوال فيثير قوَّة الشُّهود منه اجتهادا فيه وإقبالا عليه وتحمُّلاً لِأثقاله» (التعرف، للكلاباذي: 158).

(6) **روق**: صفا، والتَّرويق: التَّصفية، وروَّق الشَّرابَ صَيَّره صافيا. (أساس البلاغة، للزمخشري: 259 - 260).

(7) غير وارد في: (و).

(8) **الرَّاوُوق**: آلة تصفية الخمر (المصباح المنير، للفيومي: 246/1)، ويقال له أيضا: النَّاجود (لسان العرب، لابن منظور: 419/3)، والكِرباس (نفسه: 195/6).

(9) المائدة: 54.

(10) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب)، وفي (س): (يدي)، وفي(د): (بني).

(11) الرعد: 28.

(12) في (ع): (صح)، و(س) وكذا في(ب) إلا أنه صحَّحها في الطرة بالمثبت، وهو الوارد أيضا في: (و).

(13) في (ع): (صاح)، و(س)، والمثبت من: (و).

(14) غير وارد في: (و).

(15) غير وارد في: (د).

[الكامل]

أَنَا فِي المَحَبَّةِ خَاطِبٌ ومَخْطُوبُ وَهُوَ المُحِبُّ (لِقَائِي) وَالمَحْبُوبُ[1]

لَوْلا قَدِيمُ الحُبِّ مَا أَخْلَصْتُ فِي حُبِّي فَهُوَ الطَّالِبُ المَطْلُوبُ[2]

أَبَداً يُصَافِينِي الهَوَى/1/ فَكَأَنَّمَا أَنَا فِي الحَقِيقَةِ صَاحِبٌ مَصْحُوبُ[3]

أَحمدُه حمدَ من إليه يؤوب، ومِن ذنبه يتوب، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادة (أدَّخرها)[4] لتفريج الكروب، (في)[5] يوم لا شُروق لشمسه ولا غُروب، وَأَشهَدُ أنَّ (سيّدنا)[6] محمَّدا (صلَّى الله عليه وسلَّم)[7] عبده ورسوله الَّذي اختاره من الأنام محبوباً فنعم المحبوب، وجعل حبَّه على خليقته مفترضا لا مندوبا، وكلّهم إليه مندوب، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم (الدِّين يوم)[8] وعده غير مكذوب.

وبعدُ، فإنَّه لمَّا كانت المعاني جواهر والألفاظُ أصدافُها، والحِكَمُ معادن والقلوبُ أهدافُها، وجب على كلِّ من فتحت اليَقَظَةُ عينَ بصيرته، وجلَّت الموعظةُ مِرْآةَ (عَين)[9] سَريرته، أن يتَّبع من (أجلِّ)[10] الكلام معانيه، ومن الحِكم ما يبلغ (به)[11] أمانيه، ولا يقنع من المعدن بدون كنزه، ولا من اللَّفظ إلَّا بفهم رمزه، وإنِّي رأيتُ كثيرا من الألفاظ قد (ارتبك)[12] في أغماضها كثير من أهل الاعتراض،

(1) كذا في: (ع) و(س)، و(د)، وفي (و): (لقاء)، وينكسر بها الوزن. وتقرأ (أنا) و(لقائي) باختلاس المد للوزن.

(2) في (خ) و(و): (حبه)، وينكسر بها الوزن.

(3) تقرأ أنا في عجز البيت باختلاس المد للوزن.

(4) كذا في: (ع) و(س)، و(د)، وفي (و): (أذكرها).

(5) غير وارد في: (و).

(6) غير وارد في: (ع) و(س)، والمثبت من: (و) و(ب) و(د).

(7) غير وارد في: (ع) و(س) و(د)، والمثبت من: (و) و(ب).

(8) غير وارد في: (ع) و(س) و(د)، والمثبت من: (و) و(ب).

(9) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د).

(10) غير وارد في: (ع) و(س) و(د)، والمثبت من: (و).

(11) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د).

(12) في (ع): (ارتبط)، وفي (ب): (ارتبكت)، والمثبت من: (و) و(س) و(د).

فمنهم الَّذين يستمعون القول فيتَّبعون الأحسن[1] من جَوامعه، ومنهم الَّذين يحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه[2]، وقد عجز كثير عن حلِّها لعِزِّ محلِّها، فمنها ما جاء في الآيات (والأَخبار)[3] المشهورة، ومنها ما جاء في الآثار المأْثورة.

فمثال ما جاء في صريح الخبر الصَّحيح، كقوله عليه السَّلام حاكيا عن الله سبحانه: "**ما وَسِعني سماواتي ولا أرضي ووَسِعني قلبُ عبدي المؤمن**"[4].

ومنها: "**لا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً**"[5]، وفي حديث: "**وفؤاداً**"، وفي حديث: "**ولساناً ويداً فبي يسمع وبي يُبصر وبي يَبطش**"[6].

ومنها ما جاء في الحديث: " **أنا جليس من ذكرني**"[7].

وفي الحديث: "**من تقرَّب إليَّ شِبراً تقرَّبتُ منه ذراعاً ومن تقرَّب منِّي ذراعاً تقرَّبتُ منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته (هَرْولة)**[8]"[9].

---

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18].

(2) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: 46]، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13].

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(4) إحياء علوم الدين: 15/3. وفيه برواية: " ما وسعني أرضي ولا سمائي. المؤمن اللين الوادع".

(5) نوادر الأصول، للترمذي الحكيم، عن أنس رضي الله عنه: 139/1، وأخرجه البخاري، الحديث: 6021 عن أبي هريرة بلفظ: "**قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّ الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذَنْتُهُ بالحرب وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أُحِبَّهُ فإذا أحببته كنتُ سمعه الَّذي يسمع به وبصره الَّذي يبصر به ويدَه الَّتي يبطش بها ورجلَه الَّتي يمشي بها.**" الحديث.

(6) نوادر الأصول: 382/1.

(7) بحر الفوائد: 23/1، 252، 273، 274.

(8) في (ع): (أهرول)، والمثبت من: الصحيحين وكذا من: (و) و(ب) و(س) و(د).

(9) صحيح البخاري، الحديث: 6856، وصحيح مسلم: الحديثان: 4832 و4851، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها ما جاء بلفظ العِنْدِيَّة: "(تجدني)[1] عند المنكسرة قلوبهم من أجلي"[2].

وبلفظ المَعِيَّةِ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[3].

وبلفظ الاتِّحاد كقوله لعبده في القيامة: "يا ابنَ آدم مرضتُ فلم تعُدْني، واستطعمتُكَ فلم تُطعمني"[4] الحديث.

ومن ذلك ما أخبر به النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم عن نفسه/2/: "لستُ كأحدكم (إنِّي)[5] أظلُّ عند ربِّي يُطعمني ويَسقيني"[6]، وكقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "لي وقتٌ لا يسعني فيه غير ربِّي"[7].

---

(1) كذا في (ع) و(ب) و(س) و(د): (تجدني)، وفي (و): (أنا).

(2) الهم والحزن لابن أبي الدنيا: 56، وفي حلية الأولياء، لأبي نعيم: (32/4) «عن وَهْب بن مَنبه قال، قال: داوود عليه السَّلام إلهي أين أجدك إذا طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي»، ومرقاة المفاتيح، للقاري: 252/7. ومن الأحاديث الواردة أيضا بلفظ المعية ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، قال صلى الله عليه وسلم قال تعالى: "أنا مع عبدي حيثما ذَكرني وتحرَّكت به شفتاه".

(3) الحديد: 4.

(4) في صحيح مسلم، الحديث: 2569، "عَن أَبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول يومَ القيامة يا ابنَ آدَمَ مَرِضتُ فلم تَعُدْني، قال: يا ربِّ كيف أعودُك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: أما علِمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُده، أما علِمْتَ أنَّك لو عُدْتَه لوجدتني عنده. يا ابنَ آدَمَ استطعمتُك فلم تُطعمْنِي، قال: يا ربِّ وكيف أُطْعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالَمِين؟ قال: أما علمتَ أنَّه استطعمكَ عبدي فلانٌ فلم تطعمه أما علمتَ أنَّك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي. يا ابنَ آدَمَ استسقيتُكَ فلم تسقني، قال: يا ربِّ كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلم تسقه أما إنَّك لو سقيته لوجدتَ ذلك عندي".

(5) في (و) و(س): (فإنما).

(6) مسند الإمام أحمد: الحديث: 4752، عن ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث: 23133، عن عبد الرحمان ابن أبي ليلى عن بعض الصحابة.

(7) الرسالة القشيرية: 40.

وأمَّا مثال ما/3/ جاء في الأثر، إمَّا فتحاً[1] وإمَّا شَطْحاً[2] كقول القائل: «**أنا من أهوى ومن أهوى أنا**»[3]، (وقول الآخر: «**أنا الله**»)[4]، وكقول الآخر: «**ما في الجُبَّة إلَّا الله**»[5]، وكقول الآخر: «**سُبحاني**»[6]، وكقول الآخر: «**ما أعظم شَاني**»[7]، فهذا كلُّه وما شاكله وماثله (من الألفاظ)[8] القولُ فيها واحد لأنَّها وإن اختلفتْ ثِمارُها وتنوَّعت أزهارُها لكنَّها تُسقى بماء واحد، تُشير إلى مَحو الاثنين وثبوت الواحد. فقوم تلقَّوه بالتَّسليم وقابلوه بالقلب السَّليم وحَمَلوا ذلك على معنى قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "**إنَّ من العلم كَهَيئة المَخزون لا يعلمه إلَّا العلماءُ بالله فإذا (نطقوا به لا يُنكره إلَّا أهلُ الغِرَّة بالله)**[9] "[10].

وقد بلغني عن قضيب البان[11]، وكان عظيم الشَّأن بالموصل، وكان قد برز

(1) الفتح: كل ما يفتح على العبد من الله تعالى من المعارف والمكاشفات، ومنه الفتح القريب والفتح المبين والفتح المطلق. (اصطلاحات الصوفية: 62).

(2) الشَّطح: قال ابن عربي: «عبارة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين»، (اصطلاحات الصوفية: 170)، وقيل: «عبارة تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب، وهو من زلات المحققين، فإنه دعوى حق يفصح بها العارف، لكن من غير إذن إلهي، بطريق يشعر بالنَّباهة». (التعريفات، للشريف الجرجاني: 167).

(3) شطر بيت للحلاج (ت: 309هـ)، وعجزه قوله: نحن روحان حللنا بدنا (ديوانه: 166).

(4) غير وارد في: (ع) و(ب)، والمثبت من: (و) و(س) و(د)، والكلام لأبي يزيد البسطامي (ت: 261هـ)، وله أيضا: «أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْن»، وينسب أيضا للحلاج.

(5) لأبي يزيد البسطامي، وينسب أيضا للحلاج.

(6) لأبي يزيد البسطامي.

(7) نفسه.

(8) غير وارد في: (ع) و(س)، والمثبت من: (و) و(ب).

(9) في (و) و(س): (تكلموا به أنكره أهل الغرة بالله).

(10) في الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، الحديث: 802، عن أبي هريرة.

(11) هو أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم بن الحسين الموصلي من أولاد موسى الجون رضي الله عنه، لا يعرف إلا بقضيب البان، قال عنه ابن الوردي في تاريخه (83/2): «أحد الأولياء المشهورين والنبلاء المذكورين له كرامات ظاهرة وأحوال فاخرة». وقال عنه الإربلي في تاريخ إربل (371/1): «له كرامات تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافي العقل والشَّرع»، صحب الشَّيخ عبد القادر الجيلاني وصاهره على بنته خديجة، توفي سنة

للنَّاس بالوله والاختلال وترك الصَّلوات، (وكان)[1] لا يأْوي إلَّا إلى المزابل ولا يتوقَّى النَّجاسات، والنَّاس مُتَحيِّرون في أمره ومختلفون في حاله، فقوم يقولون: زنديق، وقوم يقولون صدِّيق، فبينما قاضي المدينة يوماً من الأيَّام مارّاً إلى داره إذْ رآه على مزبلة وقد بال على ساقَيْه، فقال القاضي في نفسه: تَبّاً لمن جعلك صدِّيقاً (إنَّما أنت زِنْديق)[2]، فما اسْتَتمَّ القاضي الخاطِرَ حتَّى قال قضيب البان: يا قاضي هل أحطت (بجميع علم)[3] الله؟

(فقال)[4]: لا والله.

قال: فأنا من ذلك العلم الَّذي لم تعلمه، وما عليك إن كنتُ صِدِّيقاً أو زِنْدِيقا.

فلمَّا رأيتُ هذه/4/ الأقوال، الصَّادرة عن أهل الأحوال، وقد أُشْكِلَ على الأفهامِ تعليلُها، وعَزَبَ[5] عن الأوهام تأويلُها، أحببتُ أن أشرح منها ما انشرح له صدري، وسَنَحَ به فكري، وبلغ إليه قدري، وذكرتُ فيه من العبارة، ما ليس فيه استعارة، وقدَّمت (ذكر)[6] هذه الأحاديث والآي وما معها من الألفاظ المأثورة عن الرِّجال، وجعلتها (أُسّاً)[7] للكلام، وبَيِّنَةً لثبوت الأحكام، لتكون منوالا أنسج عليها ما كان حالا لا مُحَالا، وسمَّيتها: **حَلُّ الرُّمُوزِ وَمَفَاتِيحُ الكُنُوز**.

وإنَّما سمَّيتها بهذه التَّسمية لأنَّها تشير إلى المقام الأشرف المعروف منه:

=

573هـ، وأقبر بظاهر الموصل. (تاريخ إربل: 1/371 - 372).

(1) غير وارد في: (و)و(ب).

(2) غير وارد في: (ع) و(ب) و(س)، المثبت من: (و).

(3) في (ع) و(ب) و(س): (بعلم الله)، والمثبت من: (و).

(4) في (و): (قال له القاضي).

(5) عَزَب: غاب وفات، فكل شيء يفوتك حتى لا تقدر عليه فقد عزب عنك. (لسان العرب: 1/595).

(6) غير وارد في: (ع)، المثبت من: (و) و(س).

(7) في (و): (أساسا)، والأس: الأصل؛ أي الأساس.

"كنتُ كنزاً لا أُعرف فأحببتُ أن أُعرفَ"[1] ثمَّ قدَّمتُ لحلِّ هذه الأَشكَال مقدّمة يزول بها الإشكال إذ النَّتائج لا تظهر إلَّا بالمقدِّمات، والنِّهايات لا تصحُّ إلَّا بتصحيح البدايات[2]، فمن صدق في بدايته أطلعه الله على حقائق نهايته، كما أنَّ من بنى على أساس ثَبَّتَ عملَه بالكتاب والسُّنَّة والقياس، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ﴾[3].

فأقولُ وبالله التَّوفيق:

(مقدمة)[4]

اعلَم أنَّ العلمَ مقدِّمةٌ نتيجتُها العمل، والعملَ مقدِّمةٌ نتيجتُها الحال[5]، فالعلم والعمل (كَسْبيان)[6] والحال وَهْبي، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[7] فالمجاهدة على كسب العبد بالعلم والعمل، والهداية مواهب الله

---

(1) في التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي (136/1): «الحديث العشرون "كنتُ كنزاً لا أُعرفُ فأحببتُ أن أُعرفَ فخلقتُ خلقاً فعرَّفتهم بي"». والحديث مشهور عند الصُّوفية اعتمدوه وبنوا عليه أصولهم.

(2) يقول الهروي: «واعلم أنَّ العامَّةَ من علماء هذه الطَّائفة والمشيرين إلى هذه الطَّريقة اتَّفقوا على أنَّ النِّهايات لا تصحُّ إلَّا بتصحيحِ البدايات، كما أنَّ الأَبْنيةَ لا تقوم إلَّا على الأساسات» (منازل السَّائرين: 4، ويراجع شرحه للمناوي: 57). ونحو هذا أيضا قول ابن عطاء الله السكندري في حكمه: «من أشرقت بدايته أشرقت نهايته» (الحكم الصوفية: الحكمة رقم: 27)، وأما معنى تصحيح البدايات فالمراد منه: «هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص، ومتابعة السُّنَّة، وتعظيم النهي على مشاهدة الخوف»، وإلى هذا أشار المؤلف في قوله: «كما أنَّ من بنى على أساسٍ ثبَّت عملَه بالكتاب والسُّنَّة والقياس».

(3) التوبة: 109.

(4) لم ترد في جل النسخ عدا (س).

(5) ونحو هذا قول الكلاباذي: «اعلم أنَّ علومَ الصُّوفيَّة علومُ الأحوال، والأحوالُ مواريثُ الأعمال، ولا يَرِثُ الأحوالَ إلَّا من صحَّح الأعمال». (التَّعرف: 97).

(6) في (ع) و(س) و(د): (كسبي)، والمثبت من: (و) و(ب).

(7) العنكبوت: 69.

سبحانه وتعالى في الأحوال/5/، وهذا (كقوله)[1] صلَّى الله عليه وسلَّم: "**من عمل بما علم ورَّثَه اللهُ علمَ ما لا يعلم**"[2] والَّذي (أورثه)[3] الله لعبده لم يكن من كسبه بل بفضل الله ورحمته، وبذلك منَّ الله تعالى على نبيِّه فقال: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾[4].

ثـمَّ اعلـم أنَّ مـراتب السُّلوك إلـى مـنازل الملوك ثلاثـة: **الإسـلام والإيمـان والإحسان.**

فَالإِسْلَامُ أَوَّل مراتب الدِّين لعامَّة المؤمنين، ثـمَّ **الإيمانُ** أَوَّل مَدارج القلب لخاصَّة المؤمنين. ثمَّ **الإحسانُ** أوَّل معارج الرُّوح لخاصَّة المُقَرَّبين.

وقـد فسَّر ذلـك رسـول الله صـلَّى الله علـيه وسـلَّم فـي الحـديث المـشهور الـصَّحيح وهـو مـا رواه عمـر بـن الخطَّـاب رضـي الله عـنه قـال: "**بيـنما نحـن عـند رسول الله صلى الله عليه وسلم جُلوسٌ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثِّياب شديدُ سواد الشَّعر لا يُرى عليه أثر السَّفر ولا يعرفه منَّا أحد، حتَّى جلس إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم فأَسند رُكبتَيْه إلى رُكْبتَيْه، ووضع كفَّيْه على فَخِذَيْه، وقال: يا محمَّدُ أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن تشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، وأَنْ تُقيم الصَّلاة وتُؤتِيَ الزَّكاة وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلا، فقال له: صدقتَ. فعجبنا منه يسأَلُه ويُصدِّقه.**

ثـم قـال: /6/ **(فَأَخبرني)**[5] **عَنِ الإِيمـان، قَـال: أَنْ تُـؤمن بـالله وملائكته وَكُتبه ورسُله واليوم الآخر وبالقَدَر خيره وشرِّه.**

قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبُد اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فَإِنَّه يراك". الحديث

(1) في (و) و(ب) و(س): (معنى قوله).

(2) حلية الأولياء: 15/10، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(3) في (ع): (يورثه)، وفي (د): (ورثه)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س).

(4) النساء: 113.

(5) في (ع): (أخبرني)، والمثبت من صحيح مسلم الحديث: 9.

ثَمَّ بيَّن في آخر الحديث، فقال: "**يا عمر أَتدري من السَّائل؟**

قال: اللهُ ورسولُه أعلم.

قال: ذلك جبريل أتاكم يعلِّمَكم معالم دينكم"[1].

فَأَوَّلُ ما يُفتح من الكنوز ما في هذا الحديث من السِّرِّ المَرموز والمعنى المَلغوز، وهو أنَّ جبريل كان هو الفاتح لهذا الباب، والسَّائل عن هذه الأسباب، والمُتأدِّب بهذه الآداب، ففي ذِلَّة سؤاله إجلال لعزَّة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذ هو بين يديه كالمتعلِّم بعد ما كان مُعلِّما، ولا عجب إذ أتاه جبريل يتأدَّب بآدابه ويقف وقوف السَّائل على بابه، وكيف لا يكون كذلك وقد خلَّفه عند سِدْرَةِ المُنْتَهَى[2]، وانتهى إلى حَضرة ليس لها مُنتهى، وجلس حيث لا أين على بساط قاب قوسين، وتعلَّم من معلِّم ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾[3]، ثمَّ انصرف من مكتب: "**أَدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي**"[4]، فتلقَّاهُ سائق الرُّوح الأمين قائماً على باب "**لو تقدَّمتُ قدر أنْمُلة لاحترقتُ**"[5]، فناداه بذِلَّة السُّؤال: يا محمَّد كنت أظُنُّ أنِّي عرفتُ الله

---

(1) صحيح مسلم، الحديث: 9، وصحيح ابن حبان، الحديث: 168، وهذا الحديث كما قال الهروي: «فيه إشارة جامعة لمذاهب هذه الطائفة» (منازل السَّائرين: 5).

(2) **سدرة المنتهى**: شجرة عظيمة في الملأ الأعلى عندها ينتهي علم الخلائق. وكلام المؤلف عن المقام الذي خص به صلى الله عليه وسلم، مقام رؤية المعبود جلا وعلا، وهو المقام الرَّابع الذي سماه بمقام قاب قوسين أو أدنى. (الشجرة: 360).

(3) النجم: 10.

(4) التذكرة في الأحاديث المشتهرة: 160/1، وقال: «معناه صحيح»، والإمتاع، للعسقلاني: 97/1.

(5) مشكاة المصابيح، للتبريزي، الحديث: 5729، ويراجع شرحه في مرقاة المفاتيح للقاري (10/ 410)، وقصة اختراقه صلى الله عليه وسلم للحجب ليلة الإسراء والمعراج وتخلف جبريل عليه السلام متداولة كثيرا لهج بها القصاص والوعاظ، ومن الحديث والقصة استمد المؤلف حين قال: «المركبُ الرَّابع؛ وهو جناح جبريل عليه السَّلام إلَى سِدْرة المُنْتهى فتخلَّف عنه جبريل عليه السَّلام عندها، فقال: يا جبريل نحن اللَّيلة أضيافُك فكيف يتخلَّف المضيف عن ضيفه، أَها هنا يترك الخليلُ خليله؟
قال: يا محمَّدُ، أنت ضيف الكريم ومدعوُّ القديم، لو تقدَّمتُ الآن بقدر أُنمُلة لاحترقتُ وما منَّا إلَّا له مقام معلوم». (الشَّجرة: 366).

قبلك، وأنِّي أُقاس في الرُّتبة مثلك، وقد عرفتُ قدرَكَ عند ربِّي من قدري وإلى/7/ الله عُذْري، فأنت في الحقيقة مُتقدِّمٌ وها أنا بين يديك مُتَعَلِّم، أخبرني ما الإسلام؟ أخبرني ما الإيمان؟ أخبرني ما الإحسان؟

فجبريل في الحقيقة عَرِيفُ[1] هذه الأمَّة، في مكتب التَّعليم من نبيِّ الرَّحمة.

❁❁❁

فصل

وقد لمع لي من هذه النُّكتة لمعة باهية وأنا أدلُّك ما هي:

اعلم أنَّه لمَّا أدخل اللهُ عباده مكتب التَّعليم فتقدَّم آدم من زمن تقادم فطالع لَوْحَ الوُجودِ وقرأ: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[2]، وطالع (سيِّدنا)[3] محمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم)[4] لَوْحَ الشُّهُود، فقيل له: (يا محمَّدُ ما لك ولأسماء الخلائق وأنت صِفوةُ الخالق ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾[5]، فلمَّا كتب وَأُدِّب وهُذِّب قيل)[6]: يا محمَّدُ قد تعرَّفت إلينا بالأسماء والصِّفات فتعرَّف إلينا بالذَّات ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾[7]، فلمَّا غاب عن الاسم وجد المسمَّى، ولمَّا أعرض عن الفعل قرأ الحرف المُعَمَّى، فلمَّا عرَّفه الله تعالَى بحقِّه رفعه على سائر خلقه ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[8]، فجاءهم بمثال: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ**﴾[9]، فقال أطفال التَّعليم بلسان الاستسلام: يا محمَّدُ ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟

فبيَّن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الحديث أنَّ آدابَ السُّلُوك في

---

(1) **عريف**: فعيل بمعنى فاعل، وهو النَّقيب والخبير. (لسان العرب: 236/9).

(2) البقرة: 31.

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(5) العلق: 1.

(6) غير وارد في: (و).

(7) العلق: 3.

(8) الأنبياء: 107.

(9) آل عمران: 19.

خدمة الملوك ثلاثة: (الإسلام والإيمان والإحسان)[1]؛ **فَالإسلامُ** قيامُ البدن بوظائف الأحكام، **والإيمانُ** قيامُ القلب بوظائف الاستسلام، **والإحسانُ** قيامُ الرُّوحِ بمشاهدة العلّام، ألا تراه يقول/**8**/:

"**الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأَنَّك تراه**" فتكون قائماً بوظائف العبوديّة مع شُهودِكَ إيَّاه، "**فإن لم تكن تراه فإنَّه يراكَ**" فتكون قائماً بوظائف العبوديَّة مع شُهوده إيَّاك، فأنت في الأوَّل مُراد وفي الثَّاني مُريد؛ لأنَّه حين أرادك أشهدَكَ إيَّاهُ وحين أردته كانت الإرادة منك له فلذلك حجبك، فلو كانت الإرادة منه لك لما حجبك، فإنَّه لا يُوصَل إليه إلَّا به.

(يُروى عن داوود عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه قال)[2]: يا ربِّ أين أطلبك؟

قال: يا داوود أنت من أوَّل قَدَم فارقتني.

قال: يا ربِّ وكيف؟

قال: لأنَّك جعلت الطَّلب منك إليَّ، ولو جعلته منِّي إليك لوجدتني.

قال أبو يزيد[3]: «**تهتُ في بدايتي في ثَلاثة أشياء، كنت أظنُّ أنِّي أحببته وأنِّي طلبتُه وأنِّي ذكرتُه فرأيتُ ذكرَه لي قد سبق ذكري له وطلبَه لي سبق طلبي له وحبَّه لي سبق حبِّي له فالكلُّ** (بمنِّه)[4] **وبفضله**».

ثمَّ في الحديث معنىً (آخر خفي)[5] يظهر لمن قلبُه زكي في قوله: "**فإن لم تكن تراه فإنَّه يراكَ**"، فقوله: "**فإن لم تكن**" هذا كلام تامٌّ وشرط تامٌّ، ثمَّ قوله: "**تراه**" جزاء هذا الشَّرط، فمعناه: إن لم تكن أنت في البَين ولا (بقي)[6] لك أثر في العين **فإنَّك** تراه.

---

(1) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(2) في (و) و(س): (قال داوود عليه السلام).

(3) هو أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي، من أكابر الزهاد والعباد، توفي سنة 261 هـ. (الرسالة القشيرية: 28 - 29، وطبقات الأولياء لابن الملقن: 41).

(4) في (ع): (به)، والمثبت من: في (و) و(ب).

(5) غير وارد في: (ع)، وفي (س): (خفي)، والمثبت من: (و).

(6) غير وارد في: (ع) و(س)، والمثبت من: (و).

ثـمَّ اعلـم أنَّ هـذه مـراتب ثلاثـة لا تـصل إلـى واحـدة مـنها حتَّـى تُحكِـمَ مـا قبلها[1]،

ولكلِّ واحدة منها طريق معلوم وسلوك مقسوم، وأصل ذلك كله ومِلاكُه التَّوبة[2] لأنَّ التَّوبةَ تَجُبُّ ما قبلها، كما أنَّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله[3].

وصحَّة التَّوبة مبنيَّة /9/ على ثلاثة شروط[4]:

الأوَّل: النَّدم على ما فات من المخالفات.

الثَّانِي: القيام في الحال على أحسن الحالات.

الثَّالث: العزم على أن لا يعودَ إلى (قبيح)[5] العادات.

فإن أخلَّ بشرط من هذه الثَّلاثة فهو تائب نكَّاث.

وَأَمَّا قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "**النَّدَمُ تَوْبَة**"[6] فإنَّه إنَّما نصَّ على معظم أركان التَّوبة لأنَّ النَّدم وحده كاف في التَّوبة، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحجِ: "**الحَجُّ عَرَفَة**"[7]، فما أراد به إلَّا معظمَه لا إنَّه لا ركن في الحجِ إلَّا عرفة،

---

(1) يتبين من كلام المؤلف عن التَّدرج في المقامات أنَّه على مذهب الهروي، في حين أنَّ الجنيد يرى إمكان انتقال السَّالك من حال إلى حال وإن بقي عليه من الَّتي نقل عنها بقية يصلحها في الحالة الثانية. (منازل السَّائرين: 4). وقد سار على هذا أيضا ابن الجوزية في مدارج السَّالكين.

(2) يراجع مقام التَّوبة في: منازل السائرين، للهروي: 7، والتَّعرف: 39، وإحياء علوم الدين: كتاب التوبة 2/4 - 60.

(3) فيه تلميح إلى حديث إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، الحديث: 18069، "**عن حبيب بن أبي أوس قال حدَّثني عمرو بن العاص رضي الله عنه، فذكر الحديث في قصَّة إسلامه، قال: ثم تقدمت فقلت يا رسول الله أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم أذكر ما تأخر فقال لي يا عمرو بايع فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبله وإن الهجرة تجُبُّ ما كان قبلها فبايعته**".

(4) يقول الهروي: «شرائط التوبة ثلاثة أشياء: الندم والاعتذار والإقلاع» (منازل السائرين: 7).

(5) في (ع): (أقبح)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د).

(6) إحياء علوم الدين: 3/4، و40.

(7) صحيح ابن خزيمة، الحديث: 2822 عن عبد الرحمان بن يعمر.

وإنَّما ذكر معظم أركان الحجِّ وهو الوقوف بعرفة، ولا شكَّ أنَّ النَّدم معظم أركان التَّوبة لأنَّ النَّدم أمر متعلِّق بالقلب والجوارح تبع للقلب، فإذا ندِمَ القلبُ رجع عن المعاصي فرجعَتْ برجوعه الجَوارح، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: **"ألا إنَّ في الجسد مُضْغةٌ إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ بها الجسدُ كلُّه، وإذَا فسَدَتْ فَسَدَ بها الجسدُ كلُّه ألا وهي القلب"**[1].

ثمَّ اعلم أنَّ التَّوبة على ثلاثة أَقسام:

أوَّلها: التَّوبة، **ووسطها** الإنابة، **وآخرها الأَوْبَة.**

فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب **توبة**، ومن تاب رجاء المثوبة فهو صاحب **إنابة**، ومن تاب حفظا وقياما بالعبودية لا رغبة في الثَّواب ولا رهبة من العقاب فهو صاحب **أوْبَة**، فالتَّوبة صفة المؤمنين، قال تعالى: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[2] **/10/.**

وفي هذه الآية إشارة خاصَّة وبشارة عامَّة؛ أمَّا البشارةُ العامَّة فإنَّه عمَّ العُصاة والطَّائعين والموافقين والمخالفين بلفظ الإيمان، وسمَّاهم مؤمنين لئلَّا تتمزَّق قلوبهم من خوف القطيعة.

وأمَّا الإشارةُ الخاصة ففيها أمر بالتَّوبة فأمرهم بالتَّوبة مع طاعتهم لئلَّا يُعجَبوا بطاعتهم فيصير عُجبهم حُجبهم فأمرهم بالتَّوبة فتساوى في ذلك الطَّائع والعاصي، (ولذلك)[3] قال صلى الله عليه وسلم: **"توبوا فإنِّي أتوب إلى الله في اليوم**

---

(1) صحيح البخاري الحديث: 52 "حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ وبينهما مُشتبهات لا يعلمها كثير من النَّاس فمنِ اتَّقى المُشتبهاتِ استَبْرَأ لدينه وعِرضه ومن وقع في الشُّبهات كراعٍ يرعى حول الحِمى يُوشك أن يُوَاقِعه ألا وإنَّ لكلِّ ملك حِمىً ألا إنَّ حِمَى الله في أرضه مَحارمُه ألا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه وإذَا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب"**.

(2) النور: 31.

(3) في (ع): (وكذلك)، والمثبت من: (و) و(ب).

مائةَ مرَّة "[1].

وأمَّا الإنابة فهي صفة الأولياء والمقرَّبين، (قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[2].

وأمَّا **الأَوْبَةُ** فهي صفة الأنبياء والمرسَلين)[3]، قال الله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[4].

ثُمَّ اعلم أَنَّ توبة العوامّ من الذُّنوب، وتوبةَ الخواصِّ من (غَفَلاتِ)[5] القُلوب، وتوبة خاصَّة الخواصِّ من كلِّ شيء سوى المحبوب، فشتَّان بين التَّائب من الزَّلَّات وبين التَّائب من الغَفَلات، وبين تائب من رؤية الحسنات، وهذا معنى قولهم: «**حسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقرَّبين**»[6] لأنَّ من عبد اللهَ استحقاقاً لربوبيته

(1) السنن الكبرى، للنسائي الحديث: 10265، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وله ألفاظ أخرى في السنن.

(2) ق: 40.

(3) غير وارد في: (و).

(4) ص: 30، و44.

(5) في (ع) و(س): (غفلة)، والمثبت من: (و).

(6) ورد في صفة الصفوة (437/2): «عن علي بن حفص الرَّازي قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول ذنوب المقربين حسنات الأبرار»، ونسبه ابن الحاج في المدخل 1(/66، و277) للإمام للجنيد، ويقول ابن الجوزي في معناه: «إن حسناتهم التي يأتون بها سيئات بالنِّسبة إلى مقام الخاصَّة فإنَّ حسنات الأبرار سيِّئات المقرَّبين فهم محتاجون إلى التَّوبة من هذه الحسنات، فلغفلتهم باستكثارها عن عيوبها ورؤيتها وملاحظتها هم جاحدون نعمة الله في سترها عليهم وإمهالهم كستره على أهل الذُّنوب الظَّاهرة تحت ستره لكن أهل الذُّنوب مقرون بستره وإمهاله وهؤلاء جاحدون لذلك لأنَّهم قد توفرت هممهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النَّفس والعمل والتَّفتيش على دسائسهما وأنَّ الحامل لهم على استكثارِها رؤيَتُها والإعجابُ بها ولو تفرغوا لتفتيشها ومحاسبة النَّفس عليها والتَّميز بين ما فيها من الحظِّ والحق لشغلهم ذلك على استكثارها ولأجل هذا كان من عدم الحضور والمراقبة في العمل خف عليه واستكثر منه فكثر في عينه وصار بمنزلة العادة فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشَّوائب وتنقيتها من الكدر وما في ذلك من شوك الرِّياء وشبرق الإعجاب وجمعية القلب والهم على الله بكليته وجد له ثقلا كالجبال وقلَّ في عينه ولكن إذا وجد حلاوته سهل عليه حمل أثقاله والقيام بأعبائه والتَّلذذ والتَّنعم به مع ثقله» (مدارج السَّالكين: 257/1).

وقياماً بعبوديته لا رغبة في جنَّته ولا خوفا من ناره، فعنده مُلاحظةُ الثَّواب ورُؤيةُ العقاب نقص؛ لأنَّه خاف ما سوى الله وترجَّى غير مولاه، وإنَّما خوفُه هيبةً منه ورجاؤه ثقةً به، وقد جاء في الإسرائيليات أنَّ الله تعالى أوحى إلى داوود عليه السَّلام: «يا داوود إنَّ أحبَّ/11/ الأحبَّاء إليَّ من عبدني لغير نَوالٍ بل ليُعطي الرُّبوبية حقَّها، ومن أَظلم ممَّن عبدني لجنة أَو نار، يا داوود إنَّما خلقتُ النَّارَ سياطا لأسوأ عبادي أسوقهم (بها)[1] إلى خدمتي، وخلقتُ الجنَّةَ لمُتوسِّلي عبادي أُوصِلهم إلى جواري وقربي، يا داوود لو لم أخلق جنَّة ولا ناراً ألم أكن أهلا أن أطاع وأعبد محبَّة لي؟».

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا يكون أحدُكم كالعبد السُّوء إن خاف عمل أو كالأَجير السُّوء إن لم يُعطَ لم يعمل"**[2].

ويظهر من هذا المعنى سرُّ قوله صلى الله عليه وسلم: **"نِعم العبدُ صُهَيب لو لم يخف اللهَ لم يَعصه"**[3]، فهذا في لفظه إِشْكَال، وتفسير ذلك وتحقيقه أنَّه أثنى عليه بقوله: **"نِعم العبد"**، فلو كان عصى ما استحقَّ المدح، وقد علَّق وجود المعصية على وجود الخوف، فقد ثبت أنَّه ما عصى فعلمنا أنَّه ما خاف، فتَرْكه للمعصية لم يكن خوفا من عقوبته بل رعايةً لمحبَّته.

ووجه آخر في تفسيره؛ وهو أنَّ الهاء في **"يَعْصِهِ"** ضمير عائد على **"صُهَيْبٍ"**[4] فمعناه: لو لم يخف الله لم يعص نفسه.

❁❁❁

---

(1) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(2) قوت القلوب: 455/1، وإحياء علوم الدين: 306/4.

(3) قال السَّخاوي في المقاصد الحسنة (235/1): «اشتهر في كلام الأوَّلين وأصحاب المعاني والعربيَّة من حديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه». وذكره محمد بن قتيبة في "مشكل الحديث" بدون إسناد وقال: «أراد أنَّ صُهَيْباً إنَّما لم يَعْصِ الله حباً لا مخافة عذابه».

(4) هو صُهَيب بن سنان الصَّحابي رضي الله عنه، من متقدمي الإسلام شهد بدرا وباقي المَشاهد توفي بالمدينة في شوَّال سنة 38 للهجرة ودفن بالبَقيع. (الاستيعاب لابن عبد البر: 726/2 - 733، أسد الغابة للجزري: 3/ 38 - 41).

فصل

واعلم أنَّ السَّالك إذا صدق في توبته لزِمَته المُجاهدة واستعمال جوارحه في (الطَّاعات)[1]، فإذا داوم العبد على المجاهدة أثمرت له حركات ظاهرة وبركات باطنة، فإنَّ حركاتِ الظَّاهر توجب بركاتِ الباطن؛ لأنَّ الله تعالى جعل بين الأَجساد والأَرواح رابطة ربَّانية/**12**/ و(علاقة)[2] روحانية؛ فلكلٍّ منهما ارتباط بصاحبه وتعلُّق به يتأثَّر بتأثُّر صاحبه.

فإذا عَمِلت الجوارح بالطَّاعات (أثَّر)[3] ذلك على قلبه فيخشع قلبه وتصفو روحه وتزكو نفسه، وإذا أخلص القلب بالطَّاعة (أثَّر)[3] ذلك على جوارحه فاستعملها في مصالحه. ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول لذلك الرَّجل الَّذي رآه يعبث في صلاته: **"لو خشع قلبُ هذَا لخشعتْ جوارحُه"**[4]، وَقال صلى الله عليه وسلم: **"من أخلص لله أربعينَ صباحاً تفجَّرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه"**[5].

فلزوم المجاهدة يوصل إلى حضرة المشاهدة. ألا تراه يقول سبحانه وتعالى لنبيِّه وحبيبه صلى الله عليه وسلم: **﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾**[6].

فإذا كان مقصودُ الوجود[7] لا يصل إلى المقام

(1) في (ع) و(ب) و(س): (الطاعة)، والمثبت من: (و).

(2) كذا في (ع) و(س)، وفي (و): (علامة).

(3) في (ع) و(س): (أثمر)، والمثبت من: (و) و(ب) و(د).

(4) السنن الكبرى، الحديث: 3692، عن سعيد بن المُسيب رضي الله عنه.

(5) أخرجه ابن المبارك في (الزهد: 359) «عن مكحول، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مَن أخلصَ لله العبادةَ أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**"»، وبهذا اللفظ أيضا أخرجه أبو نُعيم في الحلية: 349/2.

(6) الإسراء: 73.

(7) نحو هذا أيضا قول المؤلف: «هو المقصودُ من كلِّ الوجود لأنَّ الوجودَ لمَّا كان شجرةً كان ثَمَرتها، وكان هو جوهرتها» (الشجرة: 357). وقوله أيضا: «وكلُّ ما يحدث في شجرة الكون من نموٍّ وزيادة وأزهار وأَثمار وأفكار (...) كلُّ ذلك من لقاء الغصن المحمَّدي مُتوقِّد، من نوره مستمَد، من نماء نهر كوثره مُغذى بلِبان بَرِّه» (الشجرة: 343)، وقوله: «أنت مُرادُ الإِرادة

المحمود[1] إلَّا بالرُّكوع والسُّجود، فكيف يطمع في الوصول من ليس معه مَحصول؟ قال أبو عثمان المغربي[2]: «كلُّ من ظنَّ أنَّه يُفتحُ عليه بشيء من هذه الطَّريقة أو يُكشفُ له عن شيء منها بغير لزوم المُجاهدة فَهو في غرور وغلط»[3].

وقال أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه: «مكثتُ اثنتَيْ عشرة سنة حَدَّادَ نفسي وخمس سنين كنت مرآةَ قلبي وسنة أنظر في ما بينهما، فإذا في وسطي زُنَّار فعمِلتُ في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فقطعته فكُشف لي فنظرتُ إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبَّرتُ/**13**/ عليهم أربعَ تكبيرات»[4].

ومعنى هذا الكلام والله أعلم: أنَّه عَمِلَ في مجاهدة نفسه وإزالة أَدْغَالِها[5] وخبثها وما حُشيت به من العُجب والكِبر والحِرص والحقد والحسد وما شابه ذلك ممَّا هو من مألوفات النَّفس. فعمد إلى إزالة ذلك بأن أدخلَ نفسه إلى كِير[6]

ومقصودُ المشيئَة، فالكلُّ مُراد لأجلك، وأنت مُراد لأجله» (الشجرة: 362).

(1) **المقام المحمود**: هو الذي أراده الله عز وجل في قوله: ﴿**وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾ [الإسراء: 7]، وهو مقام الشَّفاعة يوم القيامة. وهو مقامه الثاني صلى الله عليه وسلم بعد ظهور جسمانيته إلى الوجود، وبعد أن نُقل من المقام الأول مقام الوجود في الدنيا، ثم نقل من المقام الثَّاني إلى المقام الثَّالث وهو مقام الخلود في الجنة، ثم المقام الرَّابع مقام الشُّهود، مقام قاب قوسين لرؤية المعبود. (الشجرة: 357).

(2) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي من كبار الزُّهَّاد في عصره، توفي بنيسابور سنة 373 هـ. (طبقات الأولياء: 40/1).

(3) الرسالة القشيرية: 98 - 99.

(4) نفسه: 99.

(5) **أدغالها**: الدَّغَلُ، مُحرَّكةً دَغَلٌ في الأَمْرِ مُفْسِدٌ.جمعه أدْغالٌ ودِغالٌ. ومَكانٌ دَغِلٌ. وأدْغَلَ في الأَمْرِ أدْخَلَ ما يُفْسِدُهُ. (القاموس المحيط: 93/3).

(6) **الكير**: زق ينفخ فيه الحداد، يجمع على أكيار وكِيَرَة. (القاموس المحيط: 3/2). وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث: 2451 قال: "**إنَّ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال يأتي على النَّاس زمانٌ يدعو الرَّجل ابنَ عمِّه وقريبه هلمَّ إلى الرَّخاء هلمَّ إلى الرَّخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والَّذي نفسي بيده لا يخرجُ منهم أحد رغبة عنها إلَّا أخلف اللهُ فيها خيراً منه ألا إنَّ الْمدينةَ كالكيرِ تخرجُ الْخبيثَ لا تقوم السَّاعة حتَّى تَنْفي الْمدينةُ شِرارها كما يَنْفي الكِيرُ خَبَثَ الْحديد**".

التَّخويف ثـمَّ طَرَّقَها بمطارق الأَمر والنَّهي حتَّى أجهده ذلك وظنَّ أنَّها قد تنظَّفت وتخلَّصت، ثـمَّ نظر في مرآة إخلاص قلبه فإذا بقايا ما فيها من الشِّرك الخفي وهو الرِّياء والنَّظر إلى الأعمال، وملاحظة الثَّواب والعقاب، والتَّشوُّف إلى الكرامات والمواهب، وهذا شرك في الإخلاص عند أَهل الاختصاص، وهو الزُّنَّار[1] الَّذي أشار إليه فعمل في قطعه؛ يعني قطع نفسه وفطمها عن العلائق والعوائق والإعراضِ عن الخلائق حتَّى أمات من نفسه ما كان حيّاً، وأحيى من قلبه ما كان ميّتاً حتَّى ثبّت قدمه في شُهود القدم وأنزل ما سواه منزلة العدم. فعند ذلك كبَّر أربع تكبيرات على الخلق وانصرف إلى الحقِّ.

ومعنى قوله: «**كبَّرتُ على الخلق أربعَ تكبيرات**»؛ لأَنَّ الميِّت يكبَّر عليه أربعا ولأنَّ حجاب الخلق عن الحق أربع: **النَّفس والهوى والشَّيطان والدُّنيا**[2] فأمات نفسه وهواه ورفض شيطانه ودنياه؛ فلذلك كبَّر على كلِّ واحد ممَّن فنى عنه تكبيرة/ **14/** لأَنَّه هو الأكبر، وما سواه أذَّل وأَصغر.

❁❁❁

فصل

ثُمَّ اعلم أنَّك لا تصل إلى منازل القربات حتَّى تقطع ستَّ عقبات.

---

(1) **الزُّنَّار**: الحزام، خيط يشده الذِّمي على وسطه. (أساس البلاغة: 277).

(2) قال ابن الجوزي: «جاء في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم. أودع قلبه أربعة أشياء وهي: المعرفة والعقل والأسماء واليقين، . وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم: إبليس والهوى والنَّفس والدُّنيا» (بستان الواعظين: 24)، وهي ذاتها ما سمي في التَّصوف الشَّاذلي بالقواطع عن الولاية، وتناولها ابن عطاء الله في حكمه، قال ابن عجيبة: «اعلم أنَّ الحقَّ تَعالى جعل بحكمته الشَّيطانَ والنَّفسَ والنَّاسَ حرَّاسُ الحضرة فلا يدخل الحضرةَ حتَّى يخرق فيهم ويجوزَ عنهم لأَنَّهم واقفون بالباب وكَلَهم الله بباب حضرته وقال لهم: لا تتركوا أحداً يدخل إلَّا مَنْ يغلِبكم، فوقفوا بالباب فإذا جاء مَنْ يريد الدُّخولَ تعرَّض له **الخلقُ** فيعيبون له الطَّريقَ ويُنكرون من يعرفُها فإذا غلبهم جاءه الشَّيطانُ **يُطَوِّلُ** عليه مدَّةَ الفتحِ ويُخوِّفه من الفقر ويقول له: متى يفتح الله عليك قيل يكون وقيل لا يكون فإذا غلبه وزاد تعرَّضتْ له **النَّفسُ** تقول له: كيف تترك دنياك وجاهك وعزَّك إلى شيء يكون أو لا يكون، فإذا غلبها قال له الحقُّ تعالى مرحباً بك وأهلاً». (إيقاظ الهمم: 235/1).

العَقَبَةُ الأُولى: قَطْم الجوارح عن المخالفات الشَّرعية.

العَقَبَةُ الثَّانية: قَطْم النَّفس[1] عن المألوفات العادية.

العَقَبَةُ الثَّالِثة: قَطْم القلب عن الرُّعونات[2] البشريَّة.

العَقَبَةُ الرَّابعة: قَطْم النَّفس عن الكُدورات الطَّبيعيَّة.

العَقَبَةُ الخامسة: قَطْم الرُّوح عن البُخارات الحسِّيَّة.

العَقَبةُ السَّادسة: قَطْم العقل عن الخيالات الوهميَّة.

فتُشرف من العقبة الأُولى على ينابيع الحكم القَلبيَّة.

وتطَّلع من العقبة الثَّانية على أَسرار العلوم اللَّدُنيَّة.

وتلوح لك في العقبة الثَّالثة أَعلام المناجاة الملكوتية.

وتلمع لك في العقبة الرَّابعة أَنوار المنازلات القُرْبية.

وتلمع لك في العقبة الخامسة أقمار المشاهدات الحَبيبية.

وتَهبط من العقبة السَّادسة على رياض الحضرة القُدسية، فهنالك تغيب بما تشاهد من اللَّطائف الأُنْسيَّة عن الكثائف الحسِّيَّة، فإذا أرادك لخصوصية الاصطفائية سقاك بكأس محبَّته شربة فتزداد بتلك الشُّربة ظمأً وبالذَّوق شوقاً وبالقرب طلبا وبالسُّكون قلقا، وقلت في ذلك:

---

(1) للمؤلف إطلاقات أخرى للنَّفس منها: "الكعبة" و"خضراء الدِّمَن" (الفتوحات الغيبية: 68، 70)، يقول: «فأنا أدلُّكَ على كعبةٍ إن طهَّرتَها حَصَلَتْ لك القُربة، ومن عرفها عرف ربَّه. فإن أَذِنَ لك بالدُّخول إلى بيته المَعمور فقدِّم نيةَ الحُضور، وطهِّره منَ المَيْن والزُّور، وصفِّه منَ الشَّيْن والكُدور، ونقِّه من الرَّيْن والفُجور، وعمِّره بالذِّكر فإنَّك تجد المذكور، وَاخْلِه من غيره فإنَّه غيور واحْجُبْه عن كلِّ رائح وغاد».

(2) الرُّعونات: مفردها رعونة وهي الحُمْق. (لسان العرب: 13/821)، وفي اصطلاح القوم: «الرُّعونة الوقوف مع حظوظ النَّفس ومقتضى طباعها» (اصطلاحات الصوفية: 32).

[الطويل]

يَـــــزِيدُ ظَمَـــــاهُ كُلَّمَـــــا ازْدَادَ شُـــــرْبُهُ
مِـــنَ الحـــبِّ فَاعْجَـــبْ مِـــنْهُ ظَمْـــآنٌ فـــي شُـــرْبِ
وَأَعْجَـــــبُ مِـــــنْه قُـــــرْبُهُ لِحَبِيـــــبِهِ
وَيَـــزْدَادُ بِالقُـــرْبِ اشْـــتِيَاقاً إِلَـــى القُـــرْبِ /15/
فَـــلَا الـــشُّرْبُ يَـــرْوِي لا وَلا القُـــرْبُ يَـــشْتَفي
بِـــهِ القَلْـــبُ بَـــلْ يَـــزْدَادُ كَـــرْباً عَلَـــى كَـــرْبِ
وَلَـــــيْسَ شِـــــفَاءُ القَلْـــــبِ إِلَّا فَـــــنَاءَهُ
لأَحْـــــبَابِهِ فَاسْـــــلُكْ بِـــــهِ سُـــــنَّةَ الحُـــــبِّ

فإذا تمكَّن منك هذا السُّكر أدهشك، فإذا أدهشك حيَّرك، فأنت ها هنا مُريد فإذا أدام لك تحيُّرك أخذك منك وسلبك عنك فتبقى ثمَّ مسلُوباً مجذوباً فأنت حينئذ مُراد إذ أَنت معه بلا أَنت وعنده بلا أين مشاهده بلا كيف.

فإذا فَنِيَتْ ذاتك وذهبت صفاتك قام بصفاته عن صفاتك، وببقائه عن فنائك وخلع عليك خلعة " **فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِر وبي يَبْطِش**"، فيكون هو مُتولِّيك ومُوَاليك، فإن نطقت فبأذكاره، وإن نظرت فبأنواره، وإن تحرَّكت فبأقداره، وإن بطشتَ فباقتداره، فهناك ذهبت الإِثْنِينِية واستحالت البَيْنية، فإن رسخ قدمُك وتمكَّن سرُّك حال سكرك، قلت: «**هُوَ**»، وإن غلب عليك وجدك وتجاوز بك سكرك عن حدِّ الثُّبوت، قلتَ: «**أَنَا**»، فأنت في الأوَّل مُتَمكِّن، وفي الثَّاني مُتَلَوِّن.

ومن هنا أُشْكِلَ على الأفهامِ حلُّ رمز هذا الكلام فقائل يقول: زنديق فيُقتل. وقائل يقول: صدِّيق فيُحمل، وقائل يقول: مغلوب عليه فيُهمل، فهو من حيث تحقيقُ حاله متحقّق في علمه وأَفعاله، والَّذي حكم بقتله مصيب في حكمه/16/ إذ الشَّريعة لها حدود، فمن تعدَّاها أُقيمت عليه الحُدود، قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا**﴾[1].

والحقيقةُ لها شهود خارج عن طَوْرِ هذا الوجود. وما مثال ذلك، من غير

(1) البقرة: 187.

رواية، ولله المثل الأعلى، إلّا مثال مَلِكٍ أَوْقَفَ أحد عبيده على بابه وأَمره بلزوم مقامه وأن لا يتجاوز حدَّه المَحدود له وأمره أنَّ من تعدَّاه وأراد الدُّخول إلى المَلِك والتّجاوُز عن ذلك الحدِّ أن يقتله أو يُؤَدِّبه ويمنعه الدُّخول. ثمَّ اختصَّ عبدا آخرَ وأذِنَ له أن يدخل عليه ويتجاوز إلى حَرَمه ويطَّلع على سرِّه بغير إذن ولا مُشاورة من هو واقف على الباب، فلمَّا أَراد الدُّخول منعه ذلك المأمور له بالمنع، فلمَّا دخل بغير إذنه وتجاوز الحدَّ قتله، فالقاتل في الحقيقة مجتهد مُصيب بإمضاء أمر المَلِك والوقوف عند حدوده، والمَقتول شهيد مرحوم مقرَّب غير مُتعدٍّ في فعله بما خصَّه به المَلِك وأَذِنَ له في الدُّخول عليه بغير إذن والإطِّلاع على سرِّه ومُشاهدة جميل معانيه.

فهذا شأن هذه الشَّريعة في إقامة الحُدود ومحافظة العهود، وهذا شأن أهل الحقيقة في خصوصية الشُّهود ومشاهدة المعبود.

فالشَّريعة إقامة بوظائف العبودية، والحقيقة مشاهدة الرُّبوبية، فالشَّريعة مجاهدة والحقيقة مشاهدة ولا تباين بينهما إذ هما متلازمان، إذ الطَّريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشَّريعة وباطنها/17/ الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشَّريعة كبُطون الزَّبَدِ في لَبَنِهِ والكَنز في معدنه، فبدون مَخْضِ اللَّبَنِ أو حفر المعدن لا يظفر من اللَّبن بزبده ولا يفوز من المعدن ببلوغ قصده.

فالمراد من الشَّريعة والحقيقة إقامةُ العبودية على الوجه المُراد منك، وكلُّ شريعة لا حقيقةَ لها فهي عاطلة، وكلُّ حقيقة لا شريعةَ لها فهي باطلة. ومصداق ذلكَ قوله صلى الله عليه وسلم لحارثة: " **يَا حَارِثَة كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قال: أصبحتُ مؤمناً بالله حقّاً، فقال: إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقةً فما حقيقةُ إيمانك؟ فقال: يا رسولَ الله عَزَفَتْ نفسي عن الدُّنيا، فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري وكأنِّي أنظرُ إلى عرش ربِّي بارزاً وكأنِّي أنظرُ إلى أهل الجنَّة يَتزاوَرون وإلى أهل النَّار يَتعاوَوْن. فَقال عليه السَّلام: عرفْتَ فَالزَم**"[1].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة، الحديث: 30425، وشعب الإيمان، الحديث: 10195، والمعجم الكبير: 3289، عن الحارث بن مالك الأنصاري.

فالشَّريعة حق والحقيقة حقيقتها، فالشَّريعة القيام بالأَوامر، والحقيقة مُشاهدة الأَمر، فالحقيقة والشَّريعة يجمعهما كلمتان وهو قوله تَعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾[1]، فَ ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ شريعة، و﴿**إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ حقيقة.

ثُمَّ اعلم أنَّ العلم علمان علمُ الظَّاهر للشَّريعة، وعلمُ الباطن للحقيقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **العلمُ علمان؛ علمٌ باللِّسان وعلمٌ بالقلب، فأمَّا علمُ اللِّسان فهو حجَّةُ الله على العباد، وأمَّا علمُ القلب فهو العلمُ الأعلى الَّذي لا يخشى اللهَ العِبَادُ/18/ إلَّا بِه**"، فعلم القلب هو العلم اللَّدُنِّي الَّذي لم يُسطَّر في الطُّروس، ولم يُحفظ في الدُّروس، وإنَّما هو تلقين من الله تَعالى بغير واسطة مَلَك ولا سِفارة رسول[2].

كما أنَّ الخَضِر عليه السَّلام علِمَ بالعلم اللَّدُنِّي ما لم يَعلمْه موسى بالعلم الوَحْيِي، فقتل تلك النَّفس الزَّكيَّة بغير نفس هذا على ظاهر الشَّرع عُدوان محض لكن ظهر تحقيق فعله بعلم آخر لَدُنِّي لم يُنقل من الكتب والأوراق، وإنَّما جاء وحياً من المَلِك الخلَّاق، فوجب على موسى إنكار ذلك واستقباحه قياماً بالحُدود وعملا بالشَّريعة إذ هو (مُشرّع)[3] ومُقتدىً به فلو سكت عن الإنكار لاستحقَّ الإنكار؛ ولذلك تأدَّب الخَضِر عليه السَّلام معه بقوله: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا**﴾[4]، وهذا غاية الأدب من الخَضِر لأنَّه علِم أنَّه يَرى منه ما لا تُقِرُّه الشَّريعة فقال: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا**﴾ على ما يخالف الشَّريعة.

ثمَّ لمَّا أعلمه الخَضِر بما لم يدخل في علم الشَّريعة علِم موسى عليه السَّلام أنَّ الشَّريعة جسد والحقيقة روحها، وإذا لم يكن للشَّريعة سفينة غَرِقَ ملَّاحها.

فإن قال لك قائل: فكيف تصحُّ دعوى من ادَّعى الأَنانية؟ وكيف تُؤوَّل؟

---

(1) الفاتحة: 5، وقد ألفت انطلاقا من فهمهما المذكور تآليف في غاية النَّفاسة، من أهمها: "منازل السائرين" للهروي، وشرحه: "مدارج السالكين" لابن القيم الجوزية.

(2) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ**﴾ [البقرة: 282].

(3) في (ع): (متشرع)، والمثبت من: (و) و(س) و(د)، وفي (ب): (متبوع).

(4) الكهف: 67، و72، و75.

وعلى أيِّ شيء تُحمل؟ وما نظير ذلك في الخارج؟ وأمثاله في المحسوس لتقبله العقول وتُسلِّمه النُّفوس؟

فأقول: اعلم أنَّ المحبَّة لطيفةٌ روحانيةٌ تستولي بلطيف روحانيَّتها على كثيف جُثْمانية المحب، فيُذهب اللَّطيف الكثيف، وتتلاشى الجُثْمانية بالرُّوحانية/**19**/ لقوة سلطان المحبَّة، وذَوْب المحبِّ تحت قَهرها، فإنَّ لنارها احتكاما، ولسلطانها اصْطِلاما[1]، فإذا آذنت بحربها، تُدمِّر كلَّ شيء بأمر ربِّها، فمُحال أن يَثْبُتَ مع المحبَّة سواها، أو يَثْوي مثواها. وما مثال فناء المحبِّ في بقاء المحبوب إلَّا مثال النَّار إذا استولت بلطافة روحانيتها على كثافة جُثْمانية الخشب والحطب فتفنى بَشَرِية الحطب وتبقى روحانية اللَّهب فالَّذي تشاهده من الدُّخان الصَّاعد من الخشب في بداية استلاء النَّار عليه، فإذا استحكمت النَّار ذهبت ذاتية الخشب وانقطع الدُّخَّان، فكذلك ما يتصاعد من بخارات حسِّك وخيالات نفسك في بدايتك، فإذا دام لك استيلاء نار المحبَّة ذهبت ذاتية صفاتك، وقامت بصفاتها عن صفاتك، وبوجودها عن وجودك.

ومثال كُمونِ المحبَّة في ذاتية المحِبِّ وسَلْب ذاتية المحبِّ عن صفاتها ككُمون النَّار في ذاتية الماء الحارِّ فأنت تظنُّه في الصُّورة ماءً يُغرق، وهو في الحقيقة نار تحرق فلو أدنيت منه شيئا لأحرقه.

فإن قلت: إنَّ المحرق هو النَّار فأين الماء؟

وإن قلت: إنَّ المغرق هو الماء فأين النَّار؟ ولقد أشرتُ إلى ذلك فقلتُ:

[الكامل]

نَارُ المَحَبَّةِ أَحْرَقَتْ أَحْشَائِي ... وَمَدَامِعِي تَنْهَلُّ كَالأَنْوَاءِ

فَأَنَا الحَرِيقُ بِأَضْلُعِي وَأَنَا الغَرِيـ ... ـقُ بِأَدْمُعِي يَا مُنْقِذَ الغُرَقَاءِ /20/

وَمِنَ العَجَائِبِ أَنَّ نَارَ (تَحَرُّقِي)[2] ... تَزْدَادُ وَقْداً عِنْدَ فَرْطِ بُكَائِي

---

(1) اصطلم: قال ابن عربي: «الاصطلام: نعتُ وَلَهٍ يَرِدُ عَلى القلبِ فيسكن تحت سلطانه» (اصطلاحات الصوفية: 175، ويراجع في رشح الزلال للقاشاني: 238).

(2) في (ب): (محبتي).

فَالــــنَّارُ وَالمَــــاءُ القَــــرَاحُ تَآلَفَـــا هَـــذَا لَعَمْـــرِيَ أَعْجَـــبُ الأَشْـــيَاءِ[1]

فـإن قلـت: فكـيف ينبغـي للقـديم أن يَحُـلَّ فـي الحـادث؟ وكـيف يجـوز للمخلوق أن يتَّصف بصفات الخالق؟ وما وجه قوله تعالى: "كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً، فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِر"؟

فأقولُ: ألا ترى أنَّ النَّار كيف كست صفتها للماء بواسطة الحجاب حتَّى عاد الماء في الصُّورة ماء، وفي المعنى عادَ نارا يفعل فعل النَّار في إحراقها من غير أن تتحيَّز النَّار في ذات الماء، ولا اتَّصلت به ولا مازجته ولا جانسته، فهي متَّصلة بالصِّفات، منفصلة بالذَّات، وإنَّما بواسطة قُرب الماء من النَّار كسته صفتها النَّارية فصار محرقا. وكذلك الحقُّ سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه وإقباله عليه كساه سبحانه وتعالى صفة الباقية من غير تَحَيُّزٍ ولا اتِّصال ولا انفصال، ويضرب الله الأمثال[2].

❁❁❁

فصل

واعلم أنَّ المحبوب أبداً يَسلُبُ بلطافة خاصيَّته خاصية محبِّه، ويجذِب أجزاءها إليه بقوَّة سلطانه عليه، كما أنَّ المِغْناطيس تعلَّقت به أجزاء الحديد وانجذب إليه بذاته فهو يدور معه كيف ما دار، وينجذب إليه حيثما سار، فمن أوصاف المحبِّ الميل الدَّائم بالقلب الهائم، ومخالفة اللَّائم. وقلتُ في معنى ذلك:

[الرمل]

أَيُّهَـــا العَاشِـــقُ مَعْنَـــى حُـــسْنِنَا مَهْـــرُنَا غَـــالٍ لِمَـــنْ يَخْطُبُـــنَا /21/

جَـــسَدٌ مُـــضْنىً وَرُوحٌ فـــي العَـــنَا وَجُفُـــونٌ لا تَـــذُوقُ الوَسَـــنَا

وَفُـــؤَادٌ لَـــيْسَ فـــيهِ غَيْـــرُنَا فَـــإِذَا مَـــا شِـــئْتَ أَدِ الثَّمَـــنَا

فَـــافْنَ إِنْ شِـــئْتَ فَـــنَاءً سَـــرْمَداً فَالفَـــنَا يُدْنِـــي إِلَـــى ذَاكَ الفِـــنَا

وَاخْلَـــعِ النَّعْلَـــيْنِ إِنْ جِـــئْتَ إِلَـــى ذَلِـــكَ الحَـــيِّ فَفـــيهِ قُدْسُـــنَا

(1) الماء القَراح: الذي لا يخالطه شيء يطيب به. (لسان العرب: 557/2).

(2) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25]، و﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

وَعَـنِ الكَوْنَـيْنِ كُـنْ مُـنْخَلِعاً ... وَأَزِلْ مَـا بَيْنَـنَا مِـنْ بَيْنِـنَا
وَإِذَا مَـا قِـيلَ مَـنْ تَهْـوَى؟ فَقُـلْ: ... "أَنَـا مَـنْ أَهْـوَى وَمَـنْ أَهْـوَى أَنَـا"[1]

ثمَّ اعلم أنَّ من أراد كشف هذا السِّرِّ الخفي، بالكشف الجلي، فليتدبَّر سرَّ قوله صلى الله عليه وسلم مخبراً عن ربّه عزَّ وجلَّ: " **لا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَفُؤَاداً**"[2].

ففهمنا من ذلك أنَّ علاقة وصل المَحبّيَّةِ لمَّا اتَّصلت بِها لطافة وُصلة المحبوبِيَّة واستمسكت بعُروة "**حَتَّى أُحِبَّهُ**" قَوِيَ سلطان المَحبوبِيَّة على سلطان المَحَبِّيَّة فأفناه عن ذاته، وأنفاه عن صفاته ثمَّ أقام ببقائه عن فنائه، وخيَّم بصفاته في فنائه، تبدَّلت الصِّفات بالصِّفات، وقام الوجود بالوجود، فجاءت خِلَعُ الجود على يد "**فَبِي/22/ يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ**" فصحَّت هنالك الأنانية (من قولهم: أنا الحقُّ أنا الله)[3]، وذهبت الإِثْنَيْنِيَّة، واستحال تقدير البين في البين، وتعذَّر أن يصير الواحد اثنيْن، وذلك لاستحالة بقاء رؤية المحبِّ مع المحبوب، وهذا المعنى مُودَع في سرِّ هذه الأبيات:

[المتقارب]

وَمَخْطُـوبَةُ الحُـسْنِ مَحْجُـوبَةٌ ... وَلا تَـأْلَفَنَّ سِـوَى إِلْفِهَـا
إِذَا مَـا تَجَلَّـتْ عَلَـى عَاشِـقٍ ... وَأَهْـدَتْ إِلَـيْهِ شَـذَا عَـرْفِهَا
تَغِـيبُ الـصِّفَاتُ وَتَفْنَـى الـذَّوَاتُ ... بِمَـا أَبْـرَزَ الحُـسْنُ مِـنْ لُطْفِهَـا
فَـإِنْ رَامَ عَاشِـقُهَا نَظْـرَةً ... وَلَـمْ يَـسْتَطِعْ لعُـلَا وَصْـفِهَا

---

(1) في عجز البيت تضمين لصدر بيت للحلاج سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه. وورد عقب الحديث: (لأنَّ المحبَّةَ إذا صفت وتكمَّلت لا تزال تجذِب بوصفها إلى محبوبِها ثمَّ تجذِب صفةَ المحبوب تعطُّفاً على المحبِّ فيكتسب الصِّفاتِ من المحبوب فيقول:

أَنَـا مَـنْ أَهْـوَى وَمَـنْ أَهْـوَى أَنَـا ... فَـإِذَا أَبْـصَرْتَهُ أَبْـصَرْتَنِي)،

ولم يرد في باقي النسخ المعتمدة.

(3) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

أَعَارَتْـــهُ طَـــرَفاً رَآهَـــا بِـــهِ (فَلَـــمْ يَـــرَهَا بِـــسِوَى طَـــرْفِهَا)[1]

وإلى هذا المعنى أشار من غلب عليه سكره فقال في شطحاته: «أَنَا اللهُ»، وذلك أنَّه متكلِّم لا بلسانه، ناظر لا (بعيانه)[2]، سامع لا بآذانه، بل هو متكلِّم بلسان الحقِّ سامع بسمعه ناظر ببصره بإشارة: "**فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِر**". وما مثال ذلك إلَّا مثال رجل بيده سراج في ليلة مظلمة وهو يهتدي بنور ذلك السِّراج ليصل به إلى منزله إلَّا أنَّه بين خوف هبوب الرِّياح تُطفيه أو تنقص مادَّة دُهْنه أو تفرغ فتيلته فيبقى في ظلمة طريقه قبل أَن يصل إلى تحقيقه، فبينما هو بين خوف القطيعة ورجاء الوصل إذ طلعت عليه الشَّمس فنظر فإذا هو في المنزل، فأمِنَ هنالك طَرْفُه أن يَضِل، وقَدَمُه أن تَزِل، ونوره أن يَقِل/23/. وكذلك طلوع شمس أَنوار المعارف، على ظلمة ليل العارف، تَذهب بظلمة الأشباح، وَتغلِب ضياء سراج الأرواح، إذ الأرواح قد استولى عليها الاستغراق، في أَشعَّة ذلك الإشراق، فالعارف بنور العرفان يسير، وبحكمه يُشير، وفي فضاء أشعَّته يطير، "**فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِر**".

ثُمَّ اعلم أَنَّه ظهر (لي من)[3] سرِّ هذا المعنى سرُّ قوله: "**ما وَسِعَنِي سماواتي ولا أرضي وَوَسِعَني قلبُ عبدي المؤمن**"، فذلك الوُسْعُ في الحقيقة لمن تدبَّر أو تفكَّر أو تبصَّر إنَّما هو وَسِعَ نفسه وما وسِعَه غيره؛ لأَنَّه وسع كلَّ شيء وما وسعه شيء، وذلك أَنَّه ثبت أنَّ العبد لمَّا انخلع عن صفاته الفانية خلع عليه السَّيِّد صفاته الباقية، وهو قوله: "**كنتُ له سمعاً وبصراً وفُؤاداً**". فذلك الفؤاد الَّذي خلعه عليه هو الفؤاد الَّذي وَسِعَه؛ لأَنَّ الفؤاد والقلب اسمانِ لشيء واحد[4]، فثبت إنَّما وَسِعَه في

---

(1) كذا في: (ع) و(س)، وفي (ب): (فليس يراها سوى طرفها)، وفي (و) و(د): (فكان البصير لها طرفها).

(2) كذا في (ع) و(س) و(د)، وفي (و): (بعينه)، وفي (ب): (بعينيه).

(3) في (ع): (من)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) وأما ضد الفؤاد والقلب في اصطلاح واستعمال ابن غانم هي الَّنفس، يقول: «ولمَّا جَعل في عالم الآخرة جنَّة وناراً للنَّعيم والعذاب، هذه خزانة الخير وهذه خزانة الشَّر، كذلك جعل الخيرَ الَّذي هو مكان سُوَيْداء القلب جعله جنَّةَ عبده المؤمن لأَنَّه مَحلُّ المُشاهدة والتَّجلِّي والمناجاة والمُناولات ومنبعِ الأَنوار، وجَعل النَّفس بمنزلة الإناء لأَنَّها منبعُ الشرِّ ومحلُّ =

الحقيقة إلَّا هو ليس هو القلب الصَّنَوْبَري الشَّكل؛ لأنَّ ذلك مُضْغَة من لحم ودم مُحْدَثُ الوجود[1]، وواجِبُ الوجود منزَّه عن الحلول في الحادث المحدود.

ومعنى آخر في سرِّ هذا الحديث؛ **اعلم** أنَّ هذا الوُسْعَ يستحيل أن يكون وُسْعاً بالذَّات؛ لأنَّ الله تعالى لا يوصف بذلك وإنَّما هو وُسْعٌ بالصِّفات وصفاتُ/**24**/ الله سبحانه وتعالى على قسمين: نفي وإثبات.

فتنفي عنه ما يستحيل عليه كالتَّشبيه والمَثيل والعَديل والشَّريك والنِّدِ والضِّدِ والحَدِ والقَدِ والعَدِ والعجز والضّعف والنَّقص، وما شابه ذلك.

(وتثبتُ له ما يجب له كالعلم والقدرة والإرادة والسَّمع والبصر والكلام وما شابه ذلك)[2].

فإذا عَلِمْتَ بقلبك ما يستحيل عليه، وما يجب له، فكأنَّك قد أحطتَ بصفاته فتكون قد وَسِعْتَهُ بالصِّفات لا بالذَّات؛ فهذا معنى: "**وَوَسِعَنِي قلبُ عبدي المؤمن**".

والحقُّ سبحانه قد جمع معانِيَ آياته وصفاته، وجواهر حكمه وكلماته في صَدَفَة كلمة الإخلاص، ثمَّ أطلع الخواص، على ما فيها من الخواص؛ وهي كلمة أوَّلها نفي وآخرها إثبات، ودخل أوَّلها على القلب فخلا، ثمَّ تمكَّن آخرها من

الوَسواس ومَرْبَعُ الشَّيطان ومحلُّ الظلمة». (الشجرة: 346). والمعنى المستعمل من قبل المؤلف هو الغالب على أهل التَّصوف كما قال الإمام الغزالي، ويريدون بالنَّفس «المعنى الجامعِ لقوَّة الغضب والشَّهوة في الإنسان»، أو هي كما قال أيضا: «الأصل الجامع للصِّفات المذمومة من الإنسان»(إحياء علوم الدين: 4/3)، ومن ثَمَّ قالوا بوجوب مجاهدة النَّفس، ولهذا أصلٌ مستمد من الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم: "أعدى عدوِّك نفسك الَّتي بين جنبيك"، وللنَّفس معنى ثانٍ وهي: لطيفةٌ تُوصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فهي مطمئنَّةٌ ولوَّامةٌ وأَمارة. وتفصيل ذلك يخرج بنا إلى الإطالة. (يراجع: إحياء علوم الدين: 4/3، واصطلاحات الصوفية: 82 - 83).

(1) يريد بالقلب ما عناه الإمام الغزالي بقوله: «ولستُ أعني بالقلب اللَّحم والدَّم بل سرٌّ لطيفٌ له إلى القلب الظَّاهر نسبة خفية وراءها سرُّ الرُّوحِ الَّذي هو أمر الله عزَّ وجلَّ.» (إحياء علوم الدين: 291/2).

(2) غير وارد في: (و).

القلب فجلا، فنَسخت ثمَّ رَسخت، وسَلبت ثمَّ أَوْجَبَت، ومحت ثمَّ أثبتت، ونقضت ثمَّ عقدت، وأفنت ثمَّ أبقت، فأوَّلها يشير إلى الفناء، وآخرها يشير إلى البقاء. فإذا قلتَ: "**لا إِلَهَ**"، فقد فنى كلُّ شيء سوى الله، وإذا قلتَ: "**إِلَّا الله**" فلم يبق شيء سوى الله، قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[1].

ثُمَّ (اعلم)[2] أنَّ جوهرةَ هذه الصَّدَفة، وكعبةَ حَرَمها، وحجرَ كعبتها، ومُصلَّى قِبْلتها وروضةَ حضرتها، وزهرةَ/25/ روضتها، وثَمَرةَ (زهرتها)[3]، وبيتَ قصيدها[4]، ومعنى صورتها الَّذي تشير سُوَيْدَاءُ القلوب إليه، وتنعكفُ السَّرائر بصفاتها عليه هو اسم الجلالة من قولك: "**إِلَّا الله**"؛ لأنَّه هو الاسم الأعظم للجناب المعظَّم فهو المقصود من كلمة الإخلاص.

وإنَّما جاءت لفظة "**لا إِلَهَ**" دالَّة عليه، ومشيرة إليه كالحاجب بين يديه، ألا ترى أنَّه أتى بهذا الاسم آخر الكلمة مشيراً أن لا شيء بعده، ولفظة: "**لا إِلَهَ**" تنادي أن لا شيء قبله، فللَّه الأمر من قبل ومن بعد[5].

ثمَّ ابتدأَ هذا الاسم الشَّريف بحرف الألف لما فيه من الدَّلالة عليه والإشارة إليه، فإنَّ معاني الرُّبوبية مندمجة في هذا الاسم مُودَعة فيه، ولذلك ابتدأ بظهوره لعباده يستدلُّون به عليه، ويَصِلون به إليه إذ لا سبيل إلى ذاته، فدلَّهم بأسمائه وصفاته، فجعل حرف الألف أوَّل اسم الله، وأوَّل حروف المعجم وأوَّل ما خاطب الله تعالى به عباده في أوَّل الوجود بقوله سبحانه: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾[6].

فإنَّما ابتدأ به الحروف إشارة إلى أوَّليته، وجعله ممتدّاً طويلا إشارة إلى سَرْمديَّته ودَيْمُومِيَّته، وجعله قائما معتدلا إشارة إلى قَيُّومِيَّته وعَدْلِيَّته، وجعله صامتا لا تجويف له إشارة إلى صَمَديَّته، وجعله منفرداً إشارة إلى فردانيَّته وأَحَدِيَّته، وجعله

---

(1) القصص: 88.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(3) في (ع): (رمزتها)، والمثبت من: (و) و(د).

(4) **بيت القصيد**: أجود أبيات القصيدة.

(5) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿**لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾ [الروم: 4].

(6) الأعراف: 172.

تَتَّصل به الحروف ولا يتَّصل هو بالحروف إشارة إلى افتقار الخلق إليه/26/، وإنَّ الله لغنيٌّ عن العالمين[1].

فالطَّائف حول كعبة هذا الاسم؛ أعني اسم الله، أوَّل ما يكشف له في طوافه عن سرِّ هذا الحرف، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ﴾[2] ثمَّ يسعى بين صفا اللَّام الأوَّل ومروة اللَّام الثَّانية، فإذا تمَّ سعيه وقطع مدرجة الألف واللَّام وقف على (عرفات الهُويَّة)[3]، فكأنَّ قائلا يقول عند الوصول إلى الهاء: ها هو المطلوب الَّذي تعرفه القلوب، وتحجُبه الغيوب، وفي ذلك قلتُ:

[مخلع البسيط]

يَـا سَـاقِيَ القَـوْمِ مِـنْ شَـذَاهُ	الكُـلُّ لِمَـا سَـقِيتَ تَاهُـوا
مَـا شَـرِبَ الكَـأْسَ وَاحْتَسَاهُ	إِلَّا مُحِـبٌّ قَـدِ اصْـطَفَاهُ
غَابُـوا وَبِالسُّكْرِ فِـيكَ طَابُـوا	وَصَـرَّحُوا بِالهَـوَى وَفَاهُـوا
يَـا عَاذِلِـي خَلِّنِـي وَشُـرْبِي	فَلَسْتَ تَـدْرِي الشَّرَابَ مَا هُـو

---

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]، ونحو هذا قوله أيضا: «ثمَّ نظروا إلى أصل ما بُنِيَ عليه التَّوحيد، فإذا هو حرفُ النَّفي، فعلِموا أنَّه بالنَّفي يَثْبُتُ التَّوحيد، وبالمحو يرسُخ التَّفريد، فدخلتْ كلمةُ "لا" على "إله"، فنفتها فقالوا: كيف السَّبيلُ إلى الإثبات ولا سبيل إليه إلَّا بدخول حرف النَّفي عليه؟ وكيف يثبُت الشَّيء بالحرف النَّافي، وهذا متناف؟ فقيل: ها هنا معنىً خافي، وسرٌّ شافي، وهو أن تأتوا إليه بألف التَّوحيد فتدخلوها عليه، وتتوسَّلوا بها إليه»، إلى أن يقول عن ألف التَّوحيد: «إنَّ الألفَ هي ألفُ التَّوحيد لأنَّ فيها معاني الرُّبوبية، ودَلالات الألوهية، وفيها معاني الوحدانية والفَرْدانية، لأنَّها أوَّلُ الحروف، وفيها معاني الأوَّليَّة وهي أوَّلُ ما أظهره اللهُ في خطابه لعباده في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾، وهي أوَّلُ اسمه سبحانه وتعالى من الجلالة، وفيها معنى الآخِرية، لأنَّها إن كُتبت آخراً لم تتَّصل بشيء من الحروف، وفيها معاني السَّرمديَّة لطولها وامتدادها، وفيها معنى الوِتْريَّة لأنَّها لا تَزدَوِج بشيء من الحروف لعدم المشابهة بينها وبينهن، وفيها معنى القَيُّوميَّة والعَدْليَّة لاستقامتها واعتدالها، فهو القائم بالقسط سبحانه وتعالى، وفيها معنى الاِستغْنائيَّة لافتقار الحروف إليها واتِّصالهنَّ بها ولم تتَّصل هي بشيء منهنَّ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ». (تلخيص العبارة: 38 - 39).

(2) الحج: 28.

(3) في (و): (عرفات ألوهيته).

قُـــمْ فَاجْتَلِـــي صَـــفْوَةَ المَعَانِـــي فـــي صَـــفْوَةِ الكَـــأْسِ إِذْ جَـــلَّاهُ
وَاسْـــمَعْ إِذَا غَـــنَّتِ المَثَانِـــي تَقُـــولُ: يَـــا هُـــو لَبَّـــيْكَ يَـــا هُـــو
وَاطْـــرَبْ لِلْحَبِـــيبِ وَاخْلَـــعْ قَـــدْ بَلَـــغَ الـــشَّوْقُ مُنْـــتَهَاهُ[1]
مَـــا قُلْـــتُ لِلقَلْـــبِ: أَيْـــنَ حِبِّـــي؟ إِلَّا وَقَـــالَ الـــضَّمِيرُ: هَـــا هُـــو
(وَلا أُسَـــمِّيهِ غَيْـــرَ أَنِّـــي إِنْ غَلَـــبَ الـــشَّوْقُ قُلْـــتُ: يَـا هُـو)[2]

ثُمَّ اعلم أنَّ الهاء هي خاتمة هذا الاسم الشَّريف، وفيه معنىً لطيف وهو أنَّ قولك: "هُوَ" حرفان هاء وواو، فالهاء حرف يخرج من آخر مخارج الحروف لأنَّه يخرج من داخل الحلق، فهو آخر الحروف مخرجا، والواو حرف/27/ يخرج من بين الشَّفتين وهو أوَّل مخارج الحروف، فهو أوَّل الحروف مخرجا، فأشار إلى ذاته بهذين الحرفين قال: "هُوَ الله"، مشيراً إلى أنَّه هو الأوَّل وهو الآخر لا أوَّل قبله ولا آخر بعده، تنزَّه عن الحلول والنُّزول، لا كما يخطر للعقول، فإذا سمِعت: "وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي المُؤْمِن"، فاعلم أنَّ القلب غيب، والرَّب غيب، فاطَّلع الغيب على الغيب، فكان نزولا، لا حلولا.

واعلم أنَّ لطيفة ذلك وإشارته أنَّ القلب خلق كامل الوصف، فله وجهان ظاهر وباطن، فظاهره ترابي أرضي طبيعي مظلم جثماني، وباطنه سماوي عُلْوي نوراني روحاني، فكثافة ظاهره وظلمته لمباشرة القُوى الطَّبيعيَّة البشريَّة، ولطافة باطنه لمواجهة المَلَكُوتياتِ العُلْوِيَّة الرَّبَّانيَّة الرُّوحانيَّة واستغراقه، فعلى قدر مواجهته لها ومقابلته إيَّاها انعكست عليه أشعَّة أنوارها، وتجلَّت لأَسراره بأسرارها، فشاهدها بالأنوار الَّتي أفاضت عليه، وأدركها بالأسرار الَّتي أبدتها إليه، وهذا معنى العكس والمقابلة.

فهو يشهد جمال محبوبه في مرآة قلبه من غير حصر ولا تحيُّز ولا حلول ولا انفصال ولا اتِّصال، فهو في المثال كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم، وباطنها لطيف مضيء، فلو قابلها من الكائنات ما قابلها/28/ من صغير أو كبير رأيته

(1) غير وارد في: (و) و(س) و(د).

(2) غير وارد في: (و) و(س) و(د).

متمثِّلا فيها من صغر جُرْمِها وكِبَر المرئي فيها، فلو كان جملا أو جبلا لرأيته بكلِّ أجزائه فيها من غير حلول فيها، ولا اتِّصال بها ولا تحيُّز في شيء منها، فكذلك الحقُّ سبحانه وتعالى إذا تجلَّى على قلب عبده المؤمن يشاهده بعين يقينه ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا تحيُّز ولا اتِّصال ولا انفصال، (فإنَّ مصحِّح الاتِّصال والانفصال هو الجُثمانيات والله تبارك وتعالى خالق الجُثمانيات والرُّوحانيات)[1]، وأوضح من هذا (المثال)[2] ما أشرحه في هذه الأبيات:

[الطويل]

وَلَمَّا تَجَلَّى مَنْ أُحِبُّ تَكَرُّماً ... وَأَشْهَدَنِي ذَاكَ الجَمَالَ المُعَظَّمَا

تَعَرَّفَ لِي حَتَّى تَيَقَّنْتُ أَنَّنِي ... أَرَاهُ بِعَيْنِي جَهْرَةً لا تَوَهُّمَا

وَفِي كُلِّ حَالٍ أَجْتَلِيهِ وَلَمْ يَزَلْ ... عَلَى طَوْرِ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ مُكَلَّمَا[3]

وَمَا هُوَ فِي وَصْلِي بِمُتَّصِلٍ وَلا ... بِمُنْفَصِلٍ عَنِّي وَحَاشَاهُ مِنْهُمَا

وَمَا قَدْرُ مِثْلِي أَنْ يُحِيطَ (بِقَدْرِهِ) ... وَأَيْنَ الثَّرَى مِنْ رِفْعَةِ البَدْرِ إِنَّمَا[4]

أُشَاهِدُهُ فِي صَفْوِ سِرِّي فَأَجْتَلِي ... جَمَالاً تَعَالَى عِزُّهُ أَنْ يُقَسَّمَا

كَمَا أَنَّ بَدْرَ التَّمِّ (يَظْهَرُ نُورُهُ) ... بِصَفْوِ غَدِيرٍ وَهْوَ فِي أُفْقِ السَّمَا[5]

واعلم أنَّ هذه الخصوصيَّة لابن آدم دون المَلَك، وإنَّما كان كذلك لما ذكرنا أنَّ الآدمي مخلوق من العالَمَيْن اللَّطيف والكثيف، فيتنزَّل القلب منزلة المرآة في لطيفها وكثيفها فلذلك انطبع فيها ما يقابلها من المرئيَّات[6]/29/، ولا كذلك

---

(1) غير وارد في: (ب) و(س) و(د).

(2) في (ع): (المقام)، والمثبت من: (و).

(3) في البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾ [مريم: 52].

(4) في (ع) و(ب): (بمثله)، والمثبت من: (و) و(س) و(د)، وفي البيت مع الذي يليه تضمين عروضي.

(5) في (و): (ينظر وجهه). بدر التم: ويقال بدر التمام، يقال للبدر إذا اكتمل في يومه الرَّابع عشر.

(6) فالقلب مثاله المرآة المَجْلوة كما يقول الإمام الغزالي: «ليس لها لونٌ في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها، فكذلك الزُّجاجة فإنَّها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها» (إحياء علوم الدين: 291/2)، وقد عبَّر الصُّوفية عن هذا المعنى بالتَّمثل بقول الشَّاعر:

=

المَلَكُ فإنَّه مخلوق من لطيف فقط، فهو كلُّه نور يشِفُّ ظاهره وباطنه، فهو كالزُّجاجة الشَّفَّافة نورها خارق فلا يتمثَّل فيها ما يقابلها لعدم الكثيف الَّذي يعكس ما يقابلها إليها. فهذا سرُّ العكس والمقابلة.

وأمَّا المثال الثَّاني في كثافة ظاهر القلب وظلمته ولطافة باطنه وصفائه وضيائه كمثال صدفة حشوها درَّة، فالصَّدفة لها وجهان وجه ممَّا يلي الدُّرَّة، ووجه خارج عن سَمْت الدُّرَّة، فالوجه الظَّاهر الخارج عن سَمْت الدُّرَّة مظلم أسود كسائر الأحجار. وأمَّا الوجه الَّذي يلي جمال الدُّرَّة فقد اكتسب من صفائها وضيائها حتَّى صار كأنَّه هو وكأنَّه هي، ولا علَّة لذلك إلَّا مواجهته إيَّاها ومقابلته لها واحتجابه عن غير وجهها. فكذلك القلب له وجهان وجه ممَّا يلي الجُثْمانيَّة البشريَّة، ووجه ممَّا يلي عيان جمال الله، (فالوجه المواجه للجُثْمانيَّة كسائر القلوب الحيوانيَّة والوجه المواجه عيان جمال الله)[1] قد اكتسب منه نوراً قد غرق صاحبه فيه واستغرق في مشاهدته حتَّى ظنَّ أنَّه هو حتَّى قال صاحبه: «**أَنَا هُو**».

ولا عجب لقلب قد مُلئ بحبِّ الله (لاستغراقه في مشاهدته)[2] فهو غائب في حضرته، حاضر في غيبته، غاب في ذكره لمذكوره، ودهش في نظره لمنظوره، فلا عجب أن يقول: «**أَنَا هُوَ**»/30/، فإنَّ هذه دودة البَقْل لمجاورتها (لبَقْلَتها)[3] وانقطاعها إليها واستمدادها منها، قد اتَّصفت بصفاتها ولَبِسَت حُلَّتها حتَّى لا يُفرَّق بينها وبين بَقْلَتها لفنائها عن الصِّفات الدُّوديَّة وبقائها بالصِّفة البَقْلِيَّة.

فما بالك بقلب قُطِعت مادَّته ممَّا سوى الله، وجعل غِذاءه ذكر الله، وشرابه حبُّ الله، وحركاته بالله، وقيامه لله، وأفنى وجوده ببقاء الله، فاستحال تقدير البين في البين، لأنَّه لم يبق له أثر ولا عين، وهذا كلُّه مبنيٌّ على أصلَين محصَّلين من قوله

=

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّتِ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلا خَمْرُ

(1) غير وارد في: (و).

(2) غير وارد في: (و)، وفي (ب): (واستغرق في مشاهدته)، وفي (س): (استغراقه في شاهده).

(3) في (ع): (لبقلها)، والمثبت من: (و).

تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1].

❁❁❁

فصل

اعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى يوصف بمحبَّة عبده، والعبد يوصف بمحبَّة ربِّه، فمحبَّة الحقِّ سبحانه وتعالى لعبده خصوصٌ من عموم (رحمته، ورحمته خصوصٌ من عموم)[2] إرادته، فالإرادة جامعة لجميع المُرادات من الحبِّ والبغض والرِّضا والسُّخط والقرب والبعد، وكلُّ ذلك متعلِّق بالإرادة، وإراداته سبحانه وتعالى واحدة، وإنَّما الاختلاف في مُتَعَلَّقاتها، فإذا تعلَّقت إرادته بالمَثوبة تسمَّى رحمة، وإذا تعلَّقت بالعقوبة تسمَّى غضبا، وإذا تعلَّقت بالزُّلْفى والكرامة والتَّخصيص تسمَّى محبَّة.

فالفرق بين الرَّحمة والمحبَّة أنَّ الرَّحمة إرادَة البِرِّ واللُّطف والإنعام، والمحبَّة إرادة القربى والزُّلْفى والكرامة.

ومن النَّاس من قال/31/: «إنَّ محبَّةَ الله لعبده هي مدحه والثَّناء عليه، فتكون محبَّته له قديمة؛ لأنَّ مدحه قوله، وقوله كلامه وكلامه قديم».

ومنهم من قال: «إنَّها من صفات فعله؛ لأنَّها إحسانُه إليه وإنعامُه (عليه)[3]، وهذا مُحْدَثٌ فتكون محبَّتُه له مُحدثة».

ومنهم من وقف عن تفسيرها، وقال: «هذه من صفات الإخبار لأنَّ الله تعالى أخبر بذلك فلا يُعْلَمُ ما هي».

وأمَّا محبَّة العبد لربِّه فهي حالة لطيفة يعجز عن تفسيرها اللِّسان، ويقصر عن تحقيقها الإنسان، تحمله تلك الحالة على ترك الحظوظ وإيثار الحقوق فيترك (مُراداته لمُرادات)[4] محبوبه؛ إذ ليس للمحبِّ مع إرادة محبوبه إرادة.

---

(1) المائدة: 54.

(2) كذا في: (ع) و(س) و(د)، وغير وارد في: (و).

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) في (ع): (غير مرادات)، وفي (و): (مرادات لمراد)، والمثبت من: (ب) و(س) و(د).

وقد أطلق القوم القول في المحبَّة بألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة، فتكلَّم كلٌّ بِحسب ذوقه، ونطق على مقدار شوقه.

وكذلك اختلفوا في تسميتها واشتقاقها من حيث اللُّغة، فقال قوم: الحبُّ اسم لصفاء المودَّة؛ لأنَّ العرب تقول لصفاء بياضِ الأسنان ونضارتها: حَبَبُ الأسنان، وقيل: (الحَبَابُ)[1] ما يعلو الماء عند المطر الشَّديد.

فعلى هذا القياس المحبَّة غليانُ القلب، وثَورانُه عند العطش والاهتياجُ إلى لقاء المحبوب.

ويقال: اشتقاق الحبِّ من اللُّزوم والثَّبات، يقال: أحبَّ البعير إذا برك لا يقوم، وكأنَّ المحبَّ لا يَبرح بقلبه عن ذكر محبوبه/**32**/.

وقيل: هو مأْخوذ من الحبِّ الَّذي فيه الماء (لأنَّه)[2] يُمسك الَّذي فيه ولا يسع غير ما امتلأ به[3].

وأمَّا أقاويل المشايخ في المحبَّة فكما ذكرنا آنفاً كلٌّ تكلَّم بحسب ما ذاق، فقيل: «المحبَّةُ مَحْوُ المحبِّ بصفاته وإثباتُ المحبوب بذاته»[4].

وقيل: «(المحبَّةُ)[5] مُواطأَةُ القلب لمُرادات الرَّبِّ»[6].

وسئل الجنيد[7] رحمه الله عن المحبَّة فقال: «(المحبَّةُ)[8] دخولُ صفات المحبوب على البَدَل من صفات المحبِّ»[9].

---

(1) في (ع): (الحبب)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د)، وكذا أيضا في الرسالة القشيرية: 311.

(2) في (ع): (لا)، والمثبت من: (و).

(3) من قوله: (وقد أطلق القوم) إلى قوله: (امتلأ به) منقول من الرسالة القشرية: 311 - 312.

(4) الرسالة القشيرية: 312.

(5) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (ب).

(6) الرسالة القشيرية: 312.

(7) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد، سيد طائفة الصوفية وإمامهم، أصله من نهاوند ومنشؤه بالعراق، توفي سنة 297.(الرسالة القشيرية: 38 - 40، وحلية الأولياء: 255/10 - 287).

(8) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (ب).

(9) الرسالة القشرية: 312.

وسئل الشبلي[1]: «لِمَ سُمِّيت المحبَّةُ محبَّة؟ قال: لأنَّها تَمْحُو من القلب ما سوى المحبوب»[2].

وقال أيضا: «المحبَّةُ أن يغارَ على المحبوب أن يحبَّه (مثلك)[3]»[4]. وقال عطاء[5] وقد سئل عن المحبَّة فقال: «أغصانٌ تُغرس في القلب فتُثمر على قدر العقول»[6].

وَقال النَّصْرآبادي: [7] «محبَّةٌ تُوجب حَقْنَ الدِّماء ومحبَّةٌ تُوجب سفك الدِّماء»[8].

وقال الحارث المحاسِبي[9] رحمه الله: «المحبَّة مَيْلُكَ إلى الشَّيء بكُلِّيَّتك، ثمَّ إيثارُكَ له على نفسك وروحك ومالك ثمَّ مُوافقتُك له سرّاً وجهراً، ثمَّ علمُكَ بتقصيركَ في حبِّه»[10].

وَقال السَّري السَّقطي[11] رحمه الله: «لا تصحُّ المحبَّةُ بين اثنين حتَّى يقولَ

---

(1) هو أبو بكر بن جحدر الشبلي الصوفي من أصحاب الجنيد، بغدادي المولد والمنشأ والوفاة، توفي سنة 334 هـ. (الرسالة القشيرية: 53 - 54، وحلية الأولياء: 366/10 - 375).

(2) الرسالة القشيرية: 312.

(3) في (ع): (مثله)، والمثبت من: الرسالة القشرية: 313.

(4) الرسالة القشيرية: 312.

(5) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، من أكابر مشايخ الصوفية، كان من أقران الجنيد، توفي سنة 309 هـ. (الرسالة القشيرية: 49، وحلية الأولياء: 302/10 - 304).

(6) الرسالة القشيرية: 313.

(7) هو أبو القاسم النَّصرآباذي شيخ خرسان في وقته، صحب الشبلي وجاور بمكة سنة 336هـ ومات بها سنة 369 هـ. (الرسالة القشيرية: 26 - 27).

(8) الرسالة القشيرية: 313.

(9) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من أكابر مشايخ القوم أصله من البصرة وتوفي ببغداد سنة 243 هـ. (طبقات الصوفية، للأزدي، الترجمة: 6، والرسالة القشيرية: 25 - 26، صفة الصفوة، لابن الجوزي، الترجمة: 270).

(10) الرسالة القشيرية: 314 - 315.

(11) هو أبو الحسن سري المغلّس السَّقطي من مشايخ القوم في بغداد، خال الجنيد وشيخه، أخذ
-

أحدهُما للآخر يا أنا»[1].

وقيل: «المحبَّةُ نار تحرقُ القلبَ، فلم تدع فيه سوى المحبوبِ»[2].

وقيل: «المحبَّةُ نار حَطَبُها أكبادُ المحبّين».

وقيل: «المحبَّةُ سُكْر لا يصحو صاحبه إلَّا بمشاهدة محبوبِه»[3].

وقيل: «المحبَّةُ أن (تنطبق)[4] جميع/33/ مُرادات المحبِّ على جميع (إراداتِ)[5] الحبيب، فلا يبقى له معه إرادة».

وقيل للشبلي يرحمه الله: «ما بال المحبَّةِ مَقرونةٌ بالمحنة؟ قال: لئلَّا يدَّعيها كلُّ (سَفِلَة)[6]».

وتذاكر قوم المحبَّة عند ذي النُّون[7] فقال: «كفُّوا عن هذه المسألة لئلَّا تسمعها النُّفوسُ فتدَّعِيَها، ثمَّ أنشأ يقول:

[مجزوء الكامل]

الخَوْفُ أَولَى بِالمُسِيءِ (إِذا تَوَلَّهَ وَ) الحَزَن[8]
وَالحُبُّ يَجْمُلُ بِالتَّقِيِّ وَبِالنَّقِيِّ مِنَ الدَّرَن»[9]

عن معروف الكرخي وصحبه، توفي سنة 251. (طبقات الصوفية للأزدي، الترجمة: 5، والرسالة القشيرية: 21 - 23، وصفة الصفوة، الترجمة: 272).

(1) المنثور، لابن الجوزي: 9/1، منسوب للجنيد.

(2) في الرسالة القشيرية: 315: «وقيل: المحبَّةُ نار في القلب تحرِق ما سوى مُراد المحبوب».

(3) الرسالة القشيرية: 316.

(4) في (و): (تفنى).

(5) في (ع): (مرادات)، والمثبت من: (و).

(6) في (و): (سفيه).

(7) هو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري ويقال ثوبان بن إبراهيم الصوفي، توفي سنة 245 هـ وقيل 248 هـ. (طبقات الصوفية، للأزدي: 27/1، والرسالة القشيرية: 18 - 19، وصفة الصفوة، الترجمة: 839).

(8) في (ع): (إذ ناله ذل) وكذا في الرسالة القشيرية: 317، وينكسر بها الوزن، والمثبت من (و).

(9) الرسالة القشيرية: 316.

وقال أبو بكر (الكَتَّاني)[1]: «جَرتْ مسألةٌ بمكَّة في المحبَّة فتكلَّم فيها المشايخ فكان الجُنيد أصغرهم سنّاً، فقالوا: (هات)[2] ما عندك يا عراقيُّ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثمَّ قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه متَّصلٌ بذكر ربِّه قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه أحرق قلبَه أنوارُ هَيبته، وصفا شربُه من كأس وُدِّه وكشف له الجبَّارُ عن أستار غَيْبه، فإن تكلَّمَ فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرَّك فبأمر الله، وإن سَكَن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشُّيوخُ وقالوا: ما على هذا من مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين»[3].

وقيل: «المَحَبَّةُ أوَّلُها ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ وآخرُها ﴿يُحِبُّونَهُ﴾، وَبَينهُما مُهَجٌ تَذوبُ وأَرواحٌ (تنظر)[4] إلى المَحبوب».

واعلم/34/ أنَّ من لم يسبق له ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ لم يصحَّ له ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ فسابقَةُ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ مُحَصِلةٌ للاحقة ﴿يُحِبُّونَهُ﴾، ولاحقَةُ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ نتيجةُ مُقدِّمةِ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، فسابقةُ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ لا أوَّل لها، ولاحقةُ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ لا آخر لها فمن ثبت قدمه عند شُرب كأس ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ قال: «هُوَ»، ومن تجاوز به سكره عن حدِّ الثُّبوت حتَّى تناول كأْسه بكفِّ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ قال: «أَنَا»، فالشَّارب بكأْس ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ مُتمكِّن، والشَّارب بكأْس ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ مُتلوِّن، فالنَّاطق بالأنانية متكلِّم من وادي المَحْو بلسان الإثبات، والنَّاطق بالهُوِيَّة متكلِّم من وادي الفناء بلسان البقاء وكلاهما ناطق صادق، وللحقيقة موافق؛ لأنَّ من قال: «أنا» ما أراد بالأنانية نفسه، لأنَّه مأخوذ عن نفسه، مجذوب عن حسِّه، فآخذه وسالبه وجاذبه هو المتكلِّم بلسانه.

---

(1) في (ع): (الكرماني)، والمثبت من: (و) ومدارج السالكين: 16/3، والكتاني هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني بغدادي الأصل صحب الجنيد، وجاور بمكة إلى أن توفي سنة 302 هـ. (طبقات الصوفية، للأزدي، الترجمة: 67، والرسالة القشيرية: 55 - 56، وطبقات الأولياء: 104/1 - 105).

(2) في (ع): (هاتي)، والمثبت من: (و) وكذا الرسالة القشيرية: 317 - 318.

(3) مدارج السالكين: 16، و376، بتصرف يسير في لفظه.

(4) في (و) و(ب): (تطير).

وشاهد ذلك قصّة أبي يزيد[1]، رحمة الله عليه، حين قال: «سُبْحَانِي»، فأنكروا عليه فقال: «حقّ سبّح نفسَه على لسان عبده»، فإنَّ الحقَّ إذا أحبَّ عبداً أبدى عليه بادية منه فغيَّبه به عنه، ويكون البادي هو النَّاطق على لسانه.

ثمَّ من علامة المحبِّ التَّردِّي برداء المحبوب كما حُكي عن بعض المتحابّين أنَّهما ركبا في البحر فسقط أحدهما في البحر فألقى الآخر نفسه عليه فعام الغوَّاصون فأخرجوهما سالمَيْن، فقال الأوَّل/**35**/ لصاحبه: أمَّا أنا فسقطت، فأنت لم رميت نفسك في البحر؟ فقال له: أنا غبت بك عنّي، فتوهَّمت أنَّك أنّي.

وسئل المجنون أتحبُّ ليلى؟ قال: لا، فقيل له: كيف؟ فقال: لأنَّ المحبَّة ذريعة إلى الوُصلة، وقد سقطت الوُصلة بيني وبين ليلى، فأنا ليلى وليلى أنا؛ وهذا كلُّه معنى قوله: "**كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَداً**"، ومعنى: "**جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، وَظَمِئْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي**"؛ (أي أنَّ عبدي جاع فلم تطعمه وظمئ فلم تسقه)[2].

وأمَّا النَّاطق بالهُوِيَّة فإنَّه مُتمكِّن في سكره متحكِّم في وجده محفوظ عليه وقته، محروس عليه سرُّه، فهو مأخوذ عن نفسه، مردود على قلبه، فنى عن نفسه وفنيت نفسه عنه فلم يبق له في البين بين، ولا له فيه أثر ولا عين، وعلم أنَّه ليس هو إلَّا هو، فقال: «هُوَ».

❁❁❁

فصل

ثُمَّ اعلم أنَّه لاح لي من هذه اللَّمعة لائحة، وشَمَمْتُ من عَبْقَتِها أطيب رائحة، وهو أنَّا إذا قلنا إنَّ محبَّة العبد لربِّه إنَّما هي نتيجة محبَّة الرَّبِّ لعبده، إذ لو لم تكن تلك لما كانت هذه، ثمَّ إنَّ العبد لا يثبت له قدم في المحبَّة حتَّى يفنى العبد عن العبد، ولم يبق للعبد في العبد أثر، ولا له منه علم ولا خبر، فعلمنا أنَّ المحبَّ في الحقيقة هو المحبوب، والمحبوب هو المحبُّ، فالحَقُّ تعالى محبٌّ (ومحبوب)[3]، وخاطب

(1) أي أبي يزيد البسطامي.

(2) غير وارد في: (و) و(ب).

(3) في (ع): (محبوب)، والمثبت من: (و) و(ب).

(ومخطوب)[1]، ومُراد ومُريد.

ثمَّ لطيفة/36/ أخرى وهو أنَّه إذا أحبَّك فإنَّما أحبَّ نفسه؛ لأنَّك (أثر)[2] قدرته وصنعته وحكمته، فإذا أحبَّك أحبَّ صنعته، كالصَّانع لمَّا أتقن صنعته الَّتي أحكمها وأعجبته وأحبَّها، فما أحبَّ إلَّا ما عملت يداه واستنبطته حكمته، فما كان منك كسباً وفعلاً كان منه خلقا وتقديرا، وأنت في الحقيقة مسخَّر لقدرته مستعمل بمشيئته ليس لك من الأمر شيء، فإذا أَرادك للقُربة أَخذك منك وسلبك (عنكَ)[3] وعزلك عن صفاتك الفانية، وخلع عليك صفاته الباقية "**فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ**" ثمَّ أقامك مقام نفسه وأقام نفسه مقامك، "**مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي**".

كما فعل لحبيبه محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم لمَّا خلع عن قدمي مُراده نَعْلَي الكونَيْن: خلع عليه خِلْعة قاب قوسَيْن[4] وذلك بعد ارتحاله عن الوطنَيْن؛ الرُّوح والجسد، وانخلاعه عن الأصلَيْن؛ العلم والعمل، (وانتزاعه)[5] عن الفصلَيْن؛ السَّعادة والشَّقاوة، وإعراضه عن الحالَيْن؛ السَّابقة واللَّاحقَة، وذهابه عن الإشارتَيْن وهي: لي ولك، وأنا وأنت، ومعي ومعك، لأنَّ هذه الكلمات كلُّها مأخوذة من جهة البشريَّة مشيرة إليها، فارتحل عنها وسار إليه بلا واسطة، ووقف مع مشاهدة الحقِّ متلقِّياً ما يَرِد عليه من أسرار المكالمة والمشاهدة[6]، وليس له فيها أثر فهو معه بلا "**هُوَ**"، ومشاهده بلا كيف، محاضره بلا أين، فلمَّا انخلع عن الكلِّ سلَّم/37/ إليه الكُلَّ،

---

(1) في (ع): (محبوب)، والمثبت من: (و) و(ب).و فيه تلميح إلى قول المؤلف:

أَنَـا فـي المَحَـبَّةِ خَاطِـبٌ وَمَخْطُـوبُ وَهُـوَ المُحِــبُّ لِقَائِــي وَالمَحْــبُوبُ

(2) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(3) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) أي خلعة القرب والمقام المخصوص به صلى الله عليه وسلم مقام المشاهدة، وفي كلامه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾ [النجم: 4 - 9].

(5) في (ع): (انزاعه)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د).

(6) في كلامه تفصيل لمقام المشاهدة والمكالمة، وتلميح إلى قوله تعالى: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ [النجم: 18].

فأَقامه مقام نفسه؛ لأنَّ لطافة وُصلة المحبَّة أسقطت بينهما الوسائط لاتِّحاد صفات المحبَّة[1]، وصفاء مزاج الصِّفوة، فقال تعالى مخبراً عن قيامه له مقام نفسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[2]، وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[3]، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[4].

ورُوي أنَّ امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أعذرني، فإنَّ لي قلباً واحدا، فقال لها: "**لا تَشغلي قلبَك فإنَّه من أحبَّ الله أحبَّني، ومن أَحبَّني أحبَّه** ".

ثمَّ بقي من ذلك الكأس الَّذي شربه صلى الله عليه وسلم بقيَّة شربها من لم يبق له من نفسه بقيَّة، فشربوا من فَضْلَة شربه، وسكِروا من نشوة سكره، وفي ذلك قلتُ:

[الطويل]

شَرِبْتُ حُمَيًّا حُبِّكُمْ مُذْ عَرَفْتُكُمْ ... عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي فَزَادَ تَلَهُّبِي

فَلَا مَوْرِدٌ كَمَوْرِدٍ لِلعَاملينَ كَمَوْرِدِي ... وَلا مَشْرَبٌ لِلعَاشِقينَ كَمَشْرَبِي

وَلِي رُتْبَةٌ تَعْلُو عَلَى كُلِّ رُتْبَةٍ ... وَلِي مَنْصِبٌ يَسْمُو عَلَى كُلِّ مَنْصِبِ

فَانظر إلى (لطافة وُصلة)[5] المحبَّة الأزليَّة القديمة كيف يصفو مِزاجها (ويخفى)[6] اندماجها واندراجها. وكيف سرت في الأسرار، وجرت في مجاري الأفكار حتَّى حصَّلت ما في الصُّدور بمحصولها، وملكت ما في القلوب بوصولها، وطَنَّبَت[7] في عرصات الأحشاء بخيامها، ونسخت/38/ سائر الأحكام

---

(1) فيه تلميح إلى التفويض العام منه تعالى لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39].

(2) الفتح: 10.

(3) النساء: 80.

(4) آل عمران: 31.

(5) في (و): (صفاء).

(6) في (و): (خفي).

(7) طنب: يقال طَنَّب الخيمة شددها بالأطناب وهي الأحبال مفردها طنب، وطنَّب في المكان أقام

(بأَحْكامها)[1] واحْتِكامها. فبان المحبُّ من البين وغاب عن العين، ثمَّ قام الحبيب مقام محبِّه في تقاضي الدَّيْن، فقال: "**مرِضتُ فلم تعُدنِي وجُعتُ فَلم تُطعمني**"، ولطائف هذا المعنى تظهر في لطيف ما أشرت إليه في هذه الأبيات:

[الكامل]

(وَلَقَدْ) تَصَافَيْنَا المَحَبَّةَ بَيْنَنَا ... فَأَنَا وَمَنْ أَهْوَى كَشَيْءٍ وَاحِدِ[2]

لازِلْتُ أَقْرَبُ مِنْهُ حَتَّى صَارَ لِي ... بَصَرِي وَسَمْعِي حَيْثُ كُنْتُ وَسَاعِدِي

فَإِذَا (رَأَيْتُ) فَلَا أَرَى إِلَّا بِهِ ... وَإِذَا بَطَشْتُ فَلَا يَزَالُ مُسَاعِدِي[3]

إِنْ شِئْتُ شَاءَ وَإِنْ أَمَرْتُ فَأَمْرُهُ ... أَمْرِي فَقَدْ بُلِّغْتُ مِنْهُ مَقَاصِدِي

فَـ"أَنَا الَّذِي أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا" ... مَا شَاءَ يَصْنَعُ حَاسِدِي وَمُعَانِدِي[4]

❁❁❁

فصل

ثُمَّ اعلم وفَّقك الله أنَّ الله تعالى لا يوصف بشيء ممَّا أشرنا إليه في الأحاديث ولا في غيرها بحلول ولا نزول، ولا اتِّصال ولا انفصال، ولا ملامسة ولا مجانسة فاحذر أن يتلَجْلَجَ في فهمك أو وهمك أو همِّك شيء من ذلك، فتهوي في المهالك، والله تعالى بخلاف ذلك، وأين الحادث الفاني من القديم الباقي؟ وأين العبد الذليل من المولى الجليل؟ إن فهمتَ منه سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ**﴾[5]، ومن قوله تعالى: "**ومن تقرَّبَ منِّي شِبراً تقرَّبتُ منه ذراعا ومن تقرَّب منِّي ذراعاً تقرَّبتُ منه باعاً**".

=

وهذا المعنى هو المراد من قبل المؤلف. (لسان العرب: 560/1، والقاموس المحيط: 91/1).

(1) غير وارد في (ع)، وأضفناها من: (و) و(د).

(2) في (ع): (ولما)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د).

(3) في (ب): (نظرت).

(4) في صدر البيت تضمين لصدر بيت للحلاج سبق تخريجه.

(5) البقرة: 186.

فهذا (وأشباهه)[1]/39/ إن خطر ببالك أو تصوَّر في خيالك أنَّ ذلك قربُ مسافة أو مشيُ جارحة، أو نزول أو انتقال، فأنت لا شكَّ هالك، والله تعالى بخلاف ذلك، منزَّه عن السُّلوك في المسالك، وإنَّما معنى قربه منك وقربك منه بالخدمة، إنَّك تتقرَّب منه بالخدمة، وهو يتقرَّب إليك بالرَّحمة، وأنت تتقرَّب منه بالسُّجود وهو يتقرَّب منك بالجود، وأنت تتقرَّب منه بالطَّاعة، وهو يتقرَّب بتوفيقك الاستطاعة[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربِّه: "**إنَّ أفْضلَ ما يَتقرَّبُ به عبادي إليَّ أداءُ ما افترضتُ عليهم**"، فأخبر سبحانه وتعالى عباده أنَّ تقرُّبهم إليه بالعبادة.

ثمَّ إنَّ قُرْبَه منك في اليوم، ما خصّك به من معرفته ومحبَّته، وقُرْبَه منك في غد، ما يخصُّك به من مشاهدته ومخاطبته شفاها وكِفاحا.

ثمَّ هو في الحقيقة أقرب إلى كلِّ شيء من كلِّ شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء، وهو أبعد عن كلِّ شيء من كلِّ شيء، ليس شيء أبعد عنه من شيء، فهو في قربه بعيد، وفي بعده قريب.

قربه من خلقه على ثلاثة أقسام:

(الأوَّل)[3]: قرب عام؛ وهو قرب العلم والقدرة والإرادة، وهو قوله تعالى: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾[4].

والثَّاني: قرب الخاصَّة من المؤمنين وهو قرب الرَّحمة والبِرّ واللُّطف، وهو قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[5].

والثَّالث: قرب/40/ خاصَّة الخاصَّة من المقرَّبين، وهو قرب الحفظ والكَلاءة والإجابة وذلك للأنبياء والمرسَلين، وهو قوله تعالى: ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ**

---

(1) كذا في: (ع) و(ب) و(س)، وفي (و): (وأمثاله).

(2) نحو هذا التأويل أيضا في: الفتوحات الغيبية: 76.

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(4) المجادلة: 7.

(5) الحديد: 4.

مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1].

فالعبد له في قربه ثلاثة مراتب:

القرب الأوَّل: قرب الأبدان؛ وهو العمل بالأركان.

الثَّاني: قرب القلب؛ بالتَّصديق والإيمان.

والثَّالث: قرب الرُّوح بالتَّحقيق والإحسان.

ثمَّ الحقُّ سبحانه وتعالى أقرب إلى عين الإنسان من الإنسان، ومن الآماق إلى الأجفان، موجود في كلِّ مكان ما خلا منه مكان، منزَّه عن المكان والزَّمان، متقدِّس عن التَّمكين في مكان، ويكفيك ما في هذه الأبيات من البيان:

[الوافر]

طَرِيقُ الوَصْلِ سَهْلٌ إِنْ تُرِدْنِي ... فَفِي (مَعْنَاكَ) فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي[2]

قَرِيبٌ حَيْثُ كُنْتَ وَحَيْثُ تَغْدُو ... وَحَيْثُ تَروحُ فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي

وَلَمْ أَكُ غَائِباً فَتَظُنَّ أَنِّي ... بَعِيدٌ عَنْكَ فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي

وَإِنِّي مِنْكَ فِي قُرْبٍ وَبُعْدٍ ... كَقَابِ القَوْسِ فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي[3]

وَإِنِّي مِنْكَ أَقْرَبُ مِنْكَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ فِي اتِّحَادِ القُرْبِ أَنِّي

فَلَا تَسْأَلْ مِنَ العُشَّاقِ عَنِّي ... وَلَكِنْ يَا قَتِيلَ الشَّوْقِ سَلْنِي

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَمِئْتَ إِلَيَّ شَوْقاً ... فَقَاطِعْ كُلَّ مَنْ تَهْوَى وَصِلْنِي[4]

وَصَرِّحْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي ... مِنَ (الوَاشِينَ) وَمَا نَقَلُوهُ عَنِّي[5]

وَإِنْ (تَكُ) تَبْتَغِي مِنِّي بَدِيلاً ... فَقَاطِعْنِي (وَوَادِعْنِي) وَدَعْنِي[6]

---

(1) ق: 16.

(2) كذا في: (ع) و(س) و(د): (معناك)، وفي (ب) و(و): (إياك)، وفيه تلميح إلى الحديث: " من عرف نفسه عرف ربه" سيأتي تأويله من قبل المؤلف.

(3) غير وارد في: (ب) و(و).

(4) في (ع): (كنت)، وينكسر بها الوزن، والصواب ما أثبتناه.

(5) في (ع): (الواشي) ولا تستقيم وزنا ومعنى مع قوله الآتي: "وما نقلوه"، وفي (و): (الوشاة) ولا تستقيم وزنا، والصواب ما أثبتناه.

(6) في (ع) و(ب) و(س): (تكن)، وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (د). وفي (ع): (ووادعني)، =

سَـــتَذْكُرُنِي إِذَا جَـــرَّبْتَ غَيْـــرِي وَتَحْمَــدُ كُـــلَّ أَمْـــرٍ كَـــانَ مِنِّـــي

❁❁❁

فصل

اعلم أنَّ البرَّ اللَّطيف، يلاطف عبده الضَّعيف، فيعامله/41/ بصفة الإفضال، لا بصفة الجلال، فإنَّه لو عاملك بصفة جلاله لتقطَّعت نِيَاطُ[1] قلبك قبل الوصول إليه وإنَّما يعاملك بصفة لطفه، ويتعطَّف عليك من عطفة عطفه، فكلَّما زدته تعظيماً زادك تكريما، وكلَّما فطم العبد نفسه عن ثَدْيِ حسِّه وجنسه، غذَّاه بلبان لطفه وأُنسه، وكلَّما قطع عن بشريَّته مادَّة مألوفه، أمدَّه بمَدَدِ معروفه.

ألا ترى أنَّ اللَّبْلابَة وهي حشيشة حمراء لا ورق لها تطلع إلى جانب الكَرْمَة وتلتفُّ بها فتثبُتُ معها وتنمو بنموِّها فلو قُطعت تلك اللَّبْلابَة من أصلها ومنبتها لبقيت ببقاء الكَرْمَة تنمو بنموِّها وتخضرُّ بخضرتها لا تبالي بما قُطعت عنه، ولا بما فُصلت منه. فما بالك بمن تعلَّقت لَبْلَابَة قلبه بكرم كرمه، وانقطعت إليه ومالت إليه وانقطعت مادَّتها عمَّا سواه فلم تعرف إلَّا إيَّاه، فذكره مصحوبها، وحبُّه مطعومها ومشروبها، قال صلى الله عليه وسلم: "**لستُ كأَحدكم إنِّي أظلُّ عند ربِّي يُطعمني ويَسقيني**"[2]، فليس هذا الطَّعام خبزاً وإِداما، وإنَّما هو طعامُ بِرّ وإِنْعام وإكرام ومحبَّة واحترام، فكان شُغله ما يفيض عليه من الوحي والإمداد الغيبي والشُّهود القُرْبي (عن الطَّعام والشَّراب)[3]، شعر:

والمثبت من: (ب) و(و) و(س)، وهو الصواب لغة.

(1) **نياط**: عرق غليظ نيط به القلب إلى الوتين إذا قطت مات صاحبه على الفور، يجمع على أنوطة ونوط. (لسان العرب: 418/7، والقاموس المحيط: 241/2).

(2) الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيح، الحديث: 2068، «عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إيَّاكم والوِصال، قالوا: يا رسولَ الله إنَّك تُواصل؟! قال: إنِّي لست كأحدكم إنِّي أبيتُ يُطعمني ربِّي ويَسْقيني». وأخرجه ابن حبان في صحيحه، الحديث: 3574 والحديث: 3579 عن أنس بن مالك، والحديث: 6413 عن أبي هريرة.

(3) غير وارد في: (ع)، والإضافة من: (و) و(د).

[الخفيف]

يَـا عَذُولِـي سَـلِّمْ إِلَـيَّ قِـيَادِي ... ثُـمَّ دَعْنِـي فَمَـا عَلَـيْكَ رَشَـادِي

حُـبُّهُ رَاحَتِـي وَرُوحُ حَيَاتِـي ... وَكَـذَا ذِكْـرُهُ بَلاغِـي وَزَادِي/42/

وَإِذَا مَـا مَرِضْـتُ فَهْـوَ طَبِيبِـي ... كُلَّمَـا عَادَنِـي بَلَغْـتُ مُـرَادِي

وَإِذَا مَـا ضَـلَلْتُ أَوْ ضَـلَّ رَكْبِـي ... عَـنْ حِمَـاهُ فَـوَجْهُهُ لِـيَ هَـادِي

يَـا عَذُولِـي فَكُـنْ عَلَـيْهِ عَذِيـرِي ... أَوْ فَقُـلْ لِـي مَـا حِيلَتِـي وَاعْـتِمَادِي

إِنْ تَلُمْنِـي أَوْ لا تَلُمْنِـي فَإِنِّـي ... حُـبُّهُ مَذْهَبِـي وَأَصْـلُ اعْـتِقَادِي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ منه فيقول: "**لستُ كأحدكم**" وتارة يردُّ عليه فيقول: "**إنَّما أنا بشرٌ مثلُكم**"[1]، وتارة تستغرقه المشاهدات الرَّبَّانيَّة فيقول: "**لي وقتٌ لا يسعُني فيه غيرُ ربِّي**"، وتارة تختطفه الجذبات الغريبة، فيقول: "**ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم**"[2].

ثُمَّ اعلم أنَّ الوارداتِ[3] الَّتي كانت تردُ عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، الحديث: 386 "عن علقمةَ قال، قال عبدُ الله: صلَّى النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قال إبراهيمُ: لا أدري زاد أو نقص فلمَّا سلَّم قيل له يا رسولَ الله أحدث في الصَّلاة شيء؟ قال: وما ذاك قالوا صلَّيتَ كذا وكذا، فثنى رجليْه واستقبل القِبْلةَ وسجد سجدتَين ثمَّ سلَّم فلمَّا أقبل علينا بوجهه قال: إنَّه لو حدث في الصَّلاة شيء لنبَّأْتكم به ولكن إنَّما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نَسِيتُ فذكِّروني وإذا شكَّ أحدُكم في صلاته فليتحرَّ الصَّواب فلْيُتمَّ عليه ثمَّ ليسلِّم ثمَّ يسجد سجدتَين"، وأخرجه مسلم في صحيحه الأحاديث: 891 و892 و893، وصحيح ابن حبان الحديث: 2656.

(2) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، الحديث: 4869 "عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لمَّا مات عثمان بن مَظْعون قالت امرأتُه هنيئاً لك الجنَّةَ يا عثمان بن مَظعون فنظر إليها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وقَال: وما يُدْريك؟ قالت: يا رسول الله فارسُك وصاحبُك، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إنِّي رسول الله وما أدري ما يُفعل بي، فأشفق النَّاسُ على عثمان فلمَّا ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ألحِقوها بسلفنا الخير عثمان بن مَظعون، فبكت النِّساءُ فجعل عمر يضربهنَّ بسَوْطه فأخذ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يدَه وقَال: مهلاً يا عمر".

(3) **الوارد**: «كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد». (التعريفات: 322، =

موارد لكلِّ واحد مَورد ومصدر، وهي الأرواح الثّلاثة: **الرُّوح الأمين**؛ وهو جبريل عليه السَّلام، وروح **القُدُس**، وروح **الأمر**.

فمَورد الرُّوح الأمين ظاهر القلب وهو الفؤاد، وللفؤاد سمع وبصر، وهو قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[1]، فالرُّوح الأمين يَرِدُ صَفْحَ القلب، وهو قوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ**﴾[2]، ومصدره من عالم سِدْرَةِ المُنْتَهَى إذ إليها تنتهي علوم الخلائق فيرد بها مواهب الأفعال، وهذا من علم اليقين[3].

وروح القدس مَوْرده باطن القلب وهو السُّوَيْدَاء[4]، وهو محلُّ النَّفث، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنَّ روحَ القُدُس نفث في رَوْعي**"[5]، والنَّفث ما يُلقيه الله تعالى إلى عبده إلهاماً كَشْفياً/**43**/ بمشاهدة عين اليقين[6]، ومصدره من عالم العرش بحقائق الأسماء.

وروح الأمر مَوْرِده السِّرُّ وهو باطن السُّوَيْداء، ومصدره من عين القُدرة المطلقة الرَّبَّانيَّة والحضرة الوَحْدَانية، فيرد بتجلِّيات أنوار الصِّفات، وهذه حقيقة حقِّ اليقين[7]، قال الله تَعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا**

ويراجع في: اصطلاحات الصوفية: 86).

(1) النجم: 11.

(2) الشعراء: 193 - 194.

(3) **علم اليقين**: «ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه». (التعريفات: 201).

(4) **السويداء**: سويداء القلب وهو كبده ووسطه.

(5) أخرجه الشافعي في مسنده، الحديث: 1077 "**عن المطَّلب بن حَنطب أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ما تركتُ شيئاً ممَّا أمركم الله به إلَّا وقد أمرتكم به، ولا تركتُ شيئاً ممَّا نهاكم عنه إلَّا وقد نهيتكم عنه، وإنَّ الرُّوحَ الأَمين قد نفث في رَوْعي أنَّه لن تموتَ نفس حتَّى تستوفي رزقَها، فأجملوا في الطَّلب**". وأخرجه الشهاب في سننه، الحديث: 1068 عن عبد الله ابن مسعود.

(6) **عين اليقين**: «ما أعطته المشاهدة والكشف». (التعريفات: 206).

(7) **حق اليقين**: عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً، وحالاً لا علماً فقط، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عن اليقين، فإذا أذاق الموت فهو حق اليقين، وقيل: علم اليقين: ظاهر الشريعة، وعين اليقين: الإخلاص فيها، وحق اليقين:

الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ﴾[1]، ومن ها هنا: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[2].

فالرُّوح الأمين ينطق عن عالم المُلْك، وروح القُدُس ينطق عن عالم الملكوت[3]، وروح الأمر ينطق عن عالم الجبروت[4].

فالرُّوح الأمين إذا تجلَّى لصَفْح القلب اضْطَلَمَ وغاب غيبة الهيبة، ومن ها هنا يوم "**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**" [5].

وروح القُدُس إذا استولى على القلب غاب غيبة الحضور بمشاهدة العُلْويات المَلَكوتية، ومن ها هنا "**لستُ كأَحدكم إنَّما أظلُّ عند ربِّي يُطعمني ويسقيني**" ثمَّ يرجع من غيبة الحضور فيثبت بيان ما شاهد من الملكوت في عالم

المشاهدة فيها. (التعريفات: 102، ويراجع أيضا في اصطلاحات الصوفية: 22).

(1) الشورى: 52.

(2) النجم: 10.

(3) **المَلكوت**: قال ابن عربي: «عالم الغيب» (اصطلاحات الصوفية: 179، ويراجع: رشح الزلال: 261).

(4) **عالم الجبروت**: قال ابن عربي: «عند أبي طالب عالم العظمة وعند الأكثرية العالم الأوسط» (اصطلاحات الصوفية: 197).

(5) فيه تلميح إلى حديث بدء الوحي الذي أخرجه البخاري في صحيحه الحديث: 3 "عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنَّها قالت: أوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الْوحيِ الرُّؤيا الصَّالحةُ في النَّوم فكان لا يرى رُؤْيا إلَّا جاءت مثلَ فَلَقِ الصُّبحِ ثمَّ حبِّب إليه الْخلاءُ وكان يخلو بغار حِراء فيتحنَّثُ فيه وهو التَّعبُّد اللَّيالي ذوات الْعدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّدُ لذلك ثمَّ يرجِعُ إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها حتَّى جاءه الْحقُّ وهو في غار حِراء فجاءه المَلَكُ فقال: اقرأْ، قال: ما أنا بقارئٍ، قال: فأخذني فغطَّني حتَّى بلغ منِّي الْجَهْد ثمَّ أرسلني فقال: اقرأْ، قلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثَّانيةَ حتَّى بلغ منِّي الْجَهْدَ ثمَّ أرسلني فقال: اقرأْ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ، فأخذني فغطَّني الثَّالثة ثمَّ أرسلني فقال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** ﴾، فرجع بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فؤَادُه فدخل على خديجةَ بنت خُوَيْلد رضي اللهُ عنها فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فزمَّلوه حتَّى ذهب عنه الرَّوْع" الحديث. وأخرجه عن جابر بن عبد الله الأنصاري، الأحاديث: 2299 و4544 و4545، كما أخرجه مسلم في صحيحه الحديث: 231 عن السيدة عائشة، والحديث: 232 عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

المُلْك وهو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[1].

ومن ها هنا إشارة: "**إنَّه لَيغَانُ على قلبي**"[2] وليس ذلك الغَيْن غَيْنُ حجاب ولا غفلة، من ظنَّ ذلك بنبيِّه فقد أخطأ في حقِّه، وأَساء ظنَّه به، وإنَّما كان صلى الله عليه وسلم تستغرقه أنوار التَّجلِّيات فيغيب بذلك الحضور ثمَّ يسأل الله تعالى أن يستر عليه حاله فيطلب المغفرة/**44**/ وهي السِّتر؛ لأنَّها مأْخوذة من المِغْفَر[3]، وكأنَّه سأَل أن يستر حاله عليه غيرة منه عليه؛ لأنَّ الخواصَّ لو دام لهم التَّجلِّي وما يُكاشفهم به الحقُّ سبحانه وتعالى لتلاشَوْا عند ظهور سلطان الحقيقة، فالسِّتر لهم هنالك رحمة.

وأمَّا ستر العوامِّ فعقوبة لأنَّه حجاب لهم وغطاء على أعين بصائرهم فإنَّهم مستترون عنه بغيره، والخواصُّ مستترون به عمَّا سواه.

وأمَّا روح الأمر إذا استولى أخذه منه وغيَّبه عنه حتَّى ينظر الحقائق الرَّبَّانيةَ في دار الفَرْدانيَّة ومن ها هنا "**لي وقتٌ لا يسعني فيه غيرُ ربِّي**".

فروح القُدُس مُتلقٍّ من روح الأمر، والرُّوح الأمين مُتلقٍّ من روح القُدُس وهو سرُّ قوله تعالى: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[4]، فلو لم يكن مُتلقِّياً من غير جبريل لَمَا كان يُسابق جبريل في تلاوته، فكم بين يوم: "**يَا مُحمَّدُ اقْرَأْ**"، وهو يقول: "**يَا صَاحِ لَسْتُ بِقَارِئٍ**"، ثمَّ يرجع إلى خديجة، رضي الله عنها يقول: "**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**"، فشتَّان بينه وبين يوم: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، فيوم "**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**" إشارة إلى البدايات الوَحْيِيَّة، ويوم: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالقُرآن﴾ إشارة إلى النِّهايات الكَشْفية، ونظير ذلك

---

(1) النحل: 102.

(2) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه"، الحديث: 4870، عن الأغرِّ الْمُزَنيِّ وكانت له صُحبةٌ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَال: "**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**".

(3) **المغفر**: مثل القَلنسوة يلبس تحتها.

(4) طه: 114.

لأهـل البدايات قـول الله تعالـى: ﴿إِذَا ذُكِـرَ اللهُ وَجِلَـتْ قُلُـوبُهُمْ﴾[1]؛ أَي انـزعجت وخافت، وهذه صفة أهل البداية.

وأمَّا أهل النِّهاية فصفتهم التَّمْكين[2] والثُّبوت والطُّمأنينة، قال الله/45/ تعالى واصفاً لهم: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].

وكان معروف الكَرخي[4]، رضي الله عنه، كثيراً ما يقول في مجلسه: «عند ذكر الصَّالحين تنزلُ الرَّحمة، فقام إليه رجل من أَصحابه، وقال: يا سيِّدي إذا كان عند ذكر الصَّالحين تنزل الرَّحمة، فعند ذكر الله تعالى ماذا ينزل؟ فَغُشِيَ على الشَّيخ ساعة ثمَّ أفاق وقال: عند ذكر الله تنزل الطُّمأنينة ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[5]».

❁❁❁

فصل

ومن ها هنا عُـرِف التَّلْوين[6] والتَّمْكين[7]؛ فالتَّلْوين عبارة عن الانتقال من

---

(1) الأنفال: 2.

(2) في هذا المحل وفي نظائر له ستأتي يتبدى من كلام المؤلف أن التَّمكين حال أهل الوصول ومن ثم فهو المقام الأكمل، ومقام التَّلوين مقام ناقص، في حين يذهب ابن عربي إلى نقيض هذا، يقول في تعريف التَّلوين: «تنقُّلُ العبد في أحواله، وهو عند الأكثرين مقام ناقصٌ وعندنا هو أكمَلُ المقامات، وحالُ العبد فيه حال قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: 29]» (اصطلاحات الصوفية: 175). وقال القاشاني: «والظَّاهرُ أنْ لا مُصادمةَ بين الاِعتبارَين». (رشح الزلال: 236).

(3) الرعد: 28.

(4) هو أبو محفوظ معروف الكرخي من كبار المشايخ الزهاد، أستاذ السري السقطي توفي ببغداد سنة 200هـ، وقيل 201 هـ. (الرسالة القشيرية: 20 - 21، وطبقات الأولياء: 1/47 - 48، والطبقات الكبرى للشعراني: 1/69).

(5) الرعد: 28.

(6) **التَّلوين**: «هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة». (التعريفات: 91).

(7) **التَّمكين**: «هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين». (التعريفات: 91)، وفي اصطلاح ابن عربي: «هو التمكن في التلوين» (اصطلاحات الصوفية: 175).

حال إلى حال، وتحوُّل من وصف إلى وصف، والتَّرقِّي من مقام إلى مقام، وهذا كلُّه وصف من هو في الطَّريق لم يصل إلى الآن، فما دام في الطَّريق فهو مُتلوِّن فإذا وصل المنزل فهو مُتمكِّن.

قلتُ: والَّذي يترجَّح عندي أنَّ المتلوِّن قابل للزِّيادة والنَّقص في حاله ومقامه بحسب فنائه عن بشريَّته ورجوعه إليها، والمُتمكِّن آمن من النَّقص لخُنُوس[1] إحساسه وانخلاعه عن نفسه وفنائه عن جُثمانيَّته؛ لاستيلاء سلطان الحقيقة عليه، ومحوه في ثبوتها وفنائه في بقائها، فهو متمكِّن من حاله لا يردُّه الحقُّ إلى معلومات نفسه، ولا مألوفات حسِّه، بل هو متمكِّن من حاله بحسب ما يستحقُّ من الحقِّ [سبحانه وتعالى][2].

نكتة:

فعلى هذا التَّقدير كان موسى عليه السَّلام متلوِّنا إذ رجع من حضرة المناجاة والمكالمة، وقد أثَّر حاله على وجهه فلا/**46**/ ينظر إليه أحد إلَّا عَمِيَ لتمكُّن حاله فيه حتَّى أَذِنَ اللهُ له أن يَتَبَرْقَعَ فتبرقع.

ومحمَّد صلى الله عليه وسلم كان متمكِّناً لأنَّه رجع من حضرة المشاهدة ولم تؤثِّر فيه حالة ولا غلب عليه أمر، فهو متمكِّن لأنَّه لم يزل في حضرة ومشاهدة فنُقل من حضرة إلى حضرة، ومن رؤية إلى رؤية، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "**لَستُ كَأَحَدِكُمْ**"، وكقوله: "**لي وقتٌ لا يسعُني فيه غيرُ ربِّي**".

ونظِير هذا قصَّة زليخا[3] وصواحباتها، كنَّ صواحباتُها أصحاب تلوين، فلذلك لم يُطقن الثُّبوت عند تجلِّي جمال يوسف عليه السَّلام بل ذهلن بمشاهدته حتَّى أثَّر فيهنَّ الحال، وأخرجهنَّ عن طَوْر الإحساس، واعتراهنَّ الالتباس حتَّى قلن:

---

(1) **الخنوس**: الانقباض والاستخفاء. (لسان العرب: 71/6).

(2) لم ترد في النُّسخ المعتمدة، وأضفناه من حل الرموز بتحقيق الشاغول المستند إلى النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية بمصر.

(3) **زليخا**: قال الشهاب: بفتح الزاي، وضمها خطأ، امرأة العزيز، قال الثعلبي هي زليخا بنت موسى. (الكشف والبيان: 54/7).

﴿ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1] وقطَّعن أيديهنَّ ولم يشعرن، وأمَّا زليخا فلتمكُّنها من حالها ما تغيَّر عليها الحال، ولا أثَّر ذلك فيها؛ لأنَّها لم تزل في مشاهدة يوسف حاضرة معه[2]، وقد أنشدك لسان حالها مترجما عن مقالها:

[الطويل]

إِذَا لَــمْ يَكُــنْ مَعْنَــى حَدِيــثِكَ لِــي يُــرْوَى
فَــلَا مُهْجَتِــي تُــشْفَى وَلا كَــبِدِي (يُــرْوَى)[3]

نَظَــرْتُ فَلَــم أَنْظُــرْ سِــواكَ أُحِــبُّهُ
وَلَــوْلاكَ مَــا طَــابَ الهَــوَى لِلَّــذِي يَهْــوَى

وَلَمَّــا اجْــتَلاكَ الفِكْــرُ فــي خَلْــوَةِ الرِّضَــا
وَغُيِّــبْتَ قــال الــنَّاسُ ضَــلَّتْ بِــهِ الأَهْــوَا

لَعَمْــرُكَ مَــا ضَــلَّ المُحِــبُّ وَمَــا غَــوَى
وَلَكِــنَّهُمْ لَمَّــا عَمُــوا أَخْطَــأُوا الفَــتْوَى

وَلَــوْ شَــاهَدُوا مَعْنَــى جَمَالِــكَ مِــثْلَ مَــا
شَــهِدْتُ بَعَــيْنِ القَلْــبِ مَــا أَنْكَــرُوا الدَّعْــوَى

خَلَعْــتُ عِــذَارِي فــي هَــوَاكَ وَلَــمْ يَكُــنْ
خَلِــيعَ عِــذارٍ سِــرُّهُ فــي الهَــوَى نَجْــوَى[4]

---

(1) يوسف: 31.

(2) نحو هذا قول بعضهم:

غابــتْ صِــفاتُ القاطعــاتِ أكُفُّهــا ... فــي شــاهدٍ هُــوَ فــي البــريَّة أبــدعُ
ففنَــيْن عــن أوصــافهنَّ فلــم يكــن ... مــن نعــتهنَّ تلــذُّذٌ وتوجُّــعُ
وقــيامُ امــرأة العزيــزِ بيوســف ... يــدُ نفــسه مــا كــان يوسـف يقطــعُ

(التعرف: 145).

(3) كذا في (ع) و(س)، وفي (و): (تروى)، وكلا الروايتين صحيحتين لأن الكبد تذكر وتؤنث.

(4) **خلعت عذاري: العذار**؛ عذار اللِّجام، يقال عذرت الفرس أي ألجمته، وخَلْعُ العِذار كناية عن خلع الحياء، ويقال للشاب المنهمك في غيه. (المحكم والمحيط: 73/2).

وَمَـــــزَّقْتُ أَثْـــــوَابَ الـــــوَقارِ تَهَـــتُّكاً
عَلَـــيْكَ وَطَابَـــتْ فـــي مَحَبَّـــتِكَ الـــبَلْوَى/47/
فَمَـــا فـــي الهَـــوَى شَـــكْوَى وَلَـــوْ مَـــزَّقَ الحَـــشَا
وَعَـــارٌ عَلَـــى العُـــشَّاقِ فـــي حُـــبِّكَ الـــشَّكْوَى
وَمَـــا عَلِمُـــوا فـــي الحُـــبِّ دَاءً سِـــوَى الهَـــوَى
وَعِـــــنْدِي أَسْـــــبَابُ الهَـــــوَى كَلُّهَـــــا أدْوا
وَكَـــمْ كُـــنْتُ مِـــنْ خَـــوْفِ الهَـــوَى أَتَّقِـــي الهَـــوَى
وَلَكِـــــنَّمَا حُكْـــــمُ الهَـــــوَى غَلَـــــبَ الـــــتَّقْوَى

❁❁❁

فصل

واعلم أنَّ التَّلوين والتَّمكين وصفان يُشيران إلى حالَيْن في محلَّين، فحال التَّلْوين في محلِّ دار المُلْك[1]، وحال التَّمْكين في محلِّ دار المَلَكُوت، وهما عالما الغَيْب والشَّهادة، فمن شهد عالم الغيب غاب عن عالم الشَّهادة، فلم يبق له رجوع إلى ما غاب عنه، فهو متمكِّن في شهوده غائب عن وجوده.

ونسبة ذلك من الآدمي قلبه وقالبه، فالقوالب عالم الشَّهادة في دار المُلْك، والقلوب عالم الغَيْب في دار المَلَكُوت، فجُثْمانيتك عالم مُلْكك، وروحانيتك عالم مَلَكوتك.

فمن أشرفه الله تعالى على جوارحه فاستعملها في مصالحه فقد ملك دار مُلْكه، ومن أشهده اللهُ غَيْبَ قلبه وأنزله منازل قربه وحبِّه فقد شهد ملكوت ربِّه. فأنت مكوَّنٌ من كونَيْن، مخلوقٌ من عالمَيْن سُفْلِي وعُلْوي، مُلْكِي ومَلَكُوتي، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾[2]، فكان من التَّسويَّة جُثْمانيتُك البشريَّة، وكان من النَّفخ روحانيَّتُك المعنويَّة.

---

(1) المُلْك: قال ابن عربي: «عالم الشَّهادة» (اصطلاحات الصوفية: 179، ويراجع: رشح الزلال: 261).

(2) الحجر: 29.

فكلُّ مخلوق خلق من كلمة "كُنْ"[1] وأنت كذلك، وأنت زدت على ذلك بالتَّسويَّة والنَّفخ فنالك من بركات التَّسويَّة حركات جوارحك لخدمته، ونالك من بركات النَّفخ حركات روحانيَّتك لمحبَّته ومعرفته.

فأنت أُنْمُوذجُ[2] الكون ومُراد الكون، والكون مُراد لا لنفسه بل/**48**/ لأجلك وأنت مُراد لذاتك، والحقُّ سبحانه وتعالى خلق الكون لأجلك، وخلقك لأجل محبَّته ومعرفته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]؛ أي: يوحِّدون[4]، وقيل يعرفوني[5]، وهو معنى قوله: "**كنتُ كنزاً لا أُعرفُ فأَحببتُ أن أُعرف فخلقتُ خلقاً وتعرَّفتُ إليهم، فبي عرفوني**".

---

(1) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68]، وفي هذا المعنى يقول المؤلف: «وكَوَّنَ بكلمة "كُن" جميعَ الكائنات، وأوجدَ بِها جميعَ المَوْجودات. فلا مَوجُودَ إلَّا مُستخرج من كُنْهِها المَكْنون، ولا مَكْنونَ إلَّا مُسْتخرج من سرِّها المَصُون». ونحوه أيضا قوله: «وبعدُ فإنِّي نظرتُ إلى الكون وتكوينه، وإلى المَكْنون وتدوينه فرأيتُ الكَوْنَ كلَّه شجرةً وأصلُ نورها من محبَّة "كُن"». (الشجرة: 332). ونحوه أيضا قوله: «لأن ما كان ويكون مستخرج من "كن" ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾» (تلخيص العبارة: 28)، ثم إن هذا الكون كله جعل «من عنصرين متمازجين من جزأين من كلمة "كن" وهما؛ الظلمة والنور». (الشجرة: 338).

(2) **أنموذج الكون**: بنو آدم، وقد خلق آدم وبنوه أنموذج الكون ومركزه من جرم وإن صغر فقد انطوى فيه الكون الأكبر من العنصرين الممتزجين من جزأين من كلمة "كن"؛ أي الظلمة والنور، فخالف تكوينه تكوين كل من الملائكة المخلوقة من عنصر النور/ الخير، والشياطين المخلوقة من عنصر الظلمة/ الشر، «وركَّب عُنصُره من الخير والشَّر، والنَّفع والضَّرّ، وجُعِلَتْ ذاته قابلة للمعرفة والنَّكرة، فأَيُّ جوهر غلب عليه نُسِبَ إليه، فإذا علا جوهر نوره على جوهر الظُّلمة وظهور روحانيته على جِسمانيته فقد فُضِلَ على الشَّيطان». (الشجرة: 338).

(3) الذاريات: 56.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 5335/2.

(5) نفسه، والقول بهذا التأويل لمجاهد، قال الثعلبي: «وهذا قولٌ حسن لأنَّه لو لم يخلُقْهم لما عُرِف وُجودُه وتَوْحِيدُه».

ثُمَّ اعلم أنَّ الكون نسخة منك[1]، لا أنَّك نسخة من الكون، لأنَّ فيك ما في الكون وتزيد على ما في الكون بما خصَّك به من معارفه وحكمه وأسراره وأنواره وتجلِّياته ومُنازلاته، كما أنَّ الفيل وإن كَبُرَ فهو نسخة من البعوضة وإن صَغُرت؛ لأنَّ فيها ما في الفيل من جميع أجزائه وجوارحه وتزيد عليه بأجنحتها.

وقد أشرتُ إلى ذلك في هذه الأبيات فافهم:

[المتقارب]

إِذَا كُنْتَ تَقْرَأُ عِلْمَ الحُرُوفِ ... فَشَخْصُكَ لَوْحٌ بِهِ أَسْطُرُ

وَتِمْثَالُ ذَلِكَ أُنْمُوذجٌ ... لِكُلِّ الوُجُودِ لِمَنْ يُبْصِرُ

حُرُوفُ مَعَانِيكَ لا تَنْقَرِي ... لِذِي الجَهْلِ كَلَّا وَلا تَظْهَرُ

وَمَنْ يَكُ غَداً بِأَسْرَارِهَا ... فَمَعْرُوفُهَا عِنْدَهُ مُنْكَرُ

(فَإِنْ) كَانَ جِرْمُكَ جِرْماً صَغِيراً ... فَفِيكَ انْطَوَى العَالَمُ الأَكْبَرُ[2]

وَلا ذَرَّةٌ مِنْكَ إِلَّا غَدَتْ ... بِهَا يُوزَنُ الكَوْنُ بَلْ أَكْثَرُ

وَلا قَطْرَةٌ مِنْكَ إِلَّا وَفِي ... يَنَابِيعِ أَسْرَارِهَا أَبْحُرُ

وَكُلُّ الوُجُودِ إِذَا قِسْتَهُ ... إِلَيْكَ فَذَاكَ هُوَ الأَصْغَرُ

وَمَا فِيهِ مِنْ عَرَضٍ حَاضِرٍ ... يَزُولُ وَأَنْتَ بِهِ جَوْهَرُ /49/

فَأَنْتَ الوُجُودُ وَكُلُّ الوُجُودِ ... وَمَا فِيكَ مَوْجُودٌ لا يُحْصَرُ

وَفِيكَ أَشِعَّةُ لاهُوتِهِ ... مِنَ البَدْرِ فِي (تَمِّهِ) أَنْوَرُ[3]

فَشَمْسُ المَعَارِفِ إِشْرَاقُهَا ... مِنَ الشَّمْسِ فِي ضَوْئِهَا أَظْهَرُ

لَقَدْ أَظْهَرَتْ نَسَمَاتُ القُلُوبِ ... خَفَايَا الغُيُوبِ لِمَنْ يَنْظُرُ

سَمَاءٌ عَلَى قُطْبِ تَوْحِيدِهِ ... تَدُورُ اشْتِيَاقاً فَلَا تَقْصُرُ

---

(1) صنف في هذا الموضوع المؤلِّف تأليفا سمَّاه: "رسالة في تشبيه الإنسان بمملكة البنيان".

(2) في (و) و(د): (لئن)، والجرم: الجسد، والبيت ينظر إلى قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

أَتَزْعم أنَّك جرمٌ صغيرٌ ... وفيكَ انْطَوَى العالم الأكبرُ

(ديوانه: 86)

(3) في: (و) و(د): (نوره)، والبدر التم سبق شرحه.

لَهَا مِنْ أَشِعَّةِ عِرْفَانِهَا ... نُجُومٌ بِإِخْلَاصِهَا تُزْهِرُ
فَمَشْرِقُهَا أُفْقُ سُوَيْدَائِهَا ... وَمَغْرِبُهَا سِرُّهُ المُضْمَرُ
وَعَرْشُ الصَّفَاءِ لَهَا مَرْكَزٌ ... إِلَيْهِ انْتَهَى كُلُّ مَا يُسَطَّرُ
هُنَاكَ المَلِيكُ تَجَلَّى لَهَا ... وَأَوْحَى لَهَا كُلَّ مَا يُؤْمَرُ
فَقَامَتْ بِتَحْقِيقِ مَأْمُورِهِ ... عَلَى أَنَّهَا أَبَداً تُحَذِّرُ
(وَتَرْتَاعُ) مَرْبَعَ أَحْبَابِهَا ... وَلا عَجَباً حَيْثُ لا تُبْصَرُ[1]
رُعُودُ (الجَفَاءِ) إِذَا مَا جَرَتْ ... فَبَرْقُ (الرَّجَاءِ) لَهَا مُسْفِرُ[2]
وَإِنْ أَعْوَزَ الغَيْثُ حَضْبَاءَهَا ... فَمَاءُ الحَيَاءِ بِهَا يَقْطُرُ
فَرَوْضُ رِيَاضَتِهَا مُزْهِرٌ ... وَرَحْبُ مَحَبَّتِهَا مُثْمِرُ
تَمُرُّ بِهَا نَسَمَاتُ القَبُولِ ... فَيَبْدُو شَذَا المِسْكِ بَلْ أَعْطَرُ
وَيَسْرِي إِلَى السِّرِّ مِنْ عَرْفِهَا ... لَطَائِفُ تُطْوَى وَلا تُنْشَرُ
فَيَسْكرُ نَاشِقُ أَنْفَاسِهَا ... وَمَنْ يَكُ مَزْكُوماً لا يَسكرُ
يُطَافُ بِكَاسَاتِ رَاحَتِهَا ... وَفِي حَانِهَا حُلِّلَ المُسْكِرُ
وَتُتْلَى بِخَانَاتِ سَاحَاتِهَا ... مَثَانِ لِلذِّكْرِ لا تَفْتُرُ
فَمَنْ صَمَّ عَنْ سَمْعِ أَلْحَانِهَا ... فَذَاكَ الشَّقِيُّ هُوَ الأَخْسَرُ
وَمَنْ صَدَّ عَنْ بَابِهَا مُعْرِضاً ... فَذَاكَ الغَوِيُّ هُوَ المُدْبِرُ /50/

❁❁❁

فصل

فمن فتح اللهُ عينَ يَقْظته وأشهدَه خفايا سريرته علِم أنَّه لم يكن في الكونَيْن ولا في العالمَيْن من المفترقات شيء إلَّا وهو مُندمج في طوايا ذاته، مُندرج في خفايا صفاته، وهذا سرُّ قوله: "**من عرف نفسه عرف ربَّه**"[3].

---

(1) في (ع): (ترتع)، والمثبت من: (و).

(2) في (ع): (الخفاء)، والمثبت من: (ب)، وفي (ع): (الرجا)، وينكسر بها الوزن والصَّواب ما أثبتناه.

(3) اللآلئ المنثورة للزركشي: 129/1، والمقاصد الحسنة: 220/1، والدرر المنتشرة للسيوطي:

وقد ظهر لي من سرِّ هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه، وهو أنَّ الله تعالى وضع هذه الرُّوح الرُّوحانيَّة في هذه الجُثَّة الجُثْمانيَّة لطيفة لاهوتيَّة مَودوعة في كثيفة ناسوتيَّة دالَّة على وحدانيَّته وفردانيَّته، ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه:

(**الوجه**)[1] **الأَوَّل**: أنَّ هذا الهَيكل الإنساني لمَّا كان مُفتقراً إلى مدبِّر ومحرِّك، وهذه الرُّوح تدبِّره وتحرِّكه، علِمنا أنَّ العالم لا بدَّ له من محرِّك ومدبِّر.

(**الوجه**)[2] **الثَّاني**: لمَّا كان مدبِّر الجسد واحدا وهو الرُّوح، علمنا أنَّ مدبِّر هذا العالم واحد لا شريك له في تدبيره وتقديره، لا جائز أن يكون له شريك في مُلكه، قال الله تعالى: ﴿**لوْ كَانَ فيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[5].

الوجه الثَّالث: لمَّا كان هذا الجسد لا يتحرَّك إلَّا بإرادة الرُّوح وتحريكها له، علمنا أنَّ له مُريدا لما هو كائن/**51**/ في كونه، لا يتحرَّك متحرِّك بخير أو شرٍّ إلَّا بتقديره وإرادته وقضائه.

الوجه الرَّابع: لمَّا كان هذا الجسد لا يتحرَّك منه شيء إلَّا بعلم الرُّوح وشعورها له، لا يخفى على الرُّوح من حركات الجسد وسَكَنَاته شيء، علمنا أنَّه لا

18/1، وكشف الخفاء للعجلوني، الحديث: 25322، وللحافظ السيوطي تأليف سمَّاه: القول الأشبه في حديث: "من عرف نفسه عرف ربه" ضمنه الحاوي. وفي معنى الحديث "عن عائشة **سُئلَ النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: من أعْرَفُ النَّاس بربِّه؟ قال: أعرَفهم بنفسه**".

(1) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) ليناسب ما بعده.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب)ليناسب ما بعده.

(3) الأنبياء: 22.

(4) الإسراء: 42، و43.

(5) المؤمنون: 91.

يعزُب عن علمه مثْقالُ ذرَّة في الأرض ولا في السَّماء.

الوجه الخامس: لمَّا كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الرُّوح من شيء بل هو قريب إلى كلِّ شيء في الجسد، علمنا أنَّه قريب إلى كلِّ شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد عنه من شيء، لا بمعنى قرب (المساحة)[1] لأنَّه منزَّه عن ذلك.

الوجه السَّادس: لمَّا كان الرُّوح موجودا قبل وجود الجسد ويكون موجودا بعد عدم الجسد، علمنا أنَّه سبحانه موجود قبل كون خلقه، ويكون موجودا بعد فقد خلقه، ما زال ولا يزال وتقدَّس عن الزَّوال.

الوجه السَّابع: لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا يُعرف له كيفية، علمنا أنَّه سبحانه متقدِّس عن الكيفية.

الوجه الثَّامن: لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا يُعرف له أَيْنِية، علمنا أنَّه سبحانه تقدَّس عن الأَيْنِيَّة ولا يُوصف بأَين ولا بكيف، بل الرُّوح موجود في سائر الجسد، ما خلا منه شيء من الجسد، كذلك الحقُّ سبحانه وتعالى موجود في كلِّ مكان ما خلا منه مكان، وهو منزَّه عن المكان والزَّمان.

الوجه التَّاسع: لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا تُجَسُّ ولا تُمَسُّ ولا تُحَسُّ/52/، علمنا أنَّه منزَّه عن الحِسِّ والجَسِّ واللَّمس والمسِّ.

الوجه العاشر: إنَّه لمَّا كان الرُّوح في الجسد لا يُدرك بالبصر، (علمنا أنَّه سبحانه لا تُدركه الأبصار)[2]، ولا يُمَثَّلُ بالصُّور والآثار، ولا يشبَّه بالشُّموس والأقمار، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[3] فهذا معنى قوله: "**مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**"[4] فطوبى لمن عرف وبذنبه اعترف.

---

(1) في (ب) و(و): (المسافة).

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(3) الشورى: 11.

(4) سبق تخريجه.

وفي هذا الحديث تفسير آخر[1]، وهو أن تعرفَ صفاتِ نفسك على الضِّدِّ من صفات ربِّك، فمن عرف نفسه بالعبودية، عرف ربَّه بالرُّبوبية، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربَّه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالخطأ والجفا، عرف ربَّه بالعطاء والوفا، ومن عرف نفسه كما هي، عرف ربَّه كما هو.

واعلم أنَّه لا سبيل لك في معرفة إيَّاك، فكيف لك سبيل إلى معرفة إيَّاه كما إيَّاه[2].

فكأَنَّه في قوله: "من عرف نفسَه عرف ربَّه" علَّق مستحيلا على مستحيل (لأنَّه)[3] يستحيل أن تعرف نفسك وكيفيتها وكمِّيتها، فإنَّك إذا كنت لا تُطيق أن تصف نفسك الَّتي هي بين جَنْبَيْك بكيفية ولا أَيْنِيَّة ولا بجُثِّية ولا شَبَحِيَّة ولا هَيْكَلِيَّة، ولا هي بمرئيَّة فكيف يليق لعبوديَّتك أن تصف الرُّبوبيَّة بكيفٍ وأينٍ وهو منزَّه عن الكيفية والأين.

شعر في المعنى:

[الرمل]

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ ... قَصِّرِ القَوْلَ فَذَا شَرْحٌ يَطُولْ

فِي مَعَانِي سِرٌّ مَا أَوْضَحْتُهُ ... جُمَلٌ يَعْجِزُ عَنْهَا وَفُصُولْ[4] /53/

ثَمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ... ضُرِبَتْ، وَاللهِ، أَعْنَاقُ الفُحُولْ

أَنْتَ لا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلا ... تَدْرِي مَنْ أَنْتَ وَلا كَيْفَ الوُصُولْ

لا وَلا تَدْرِي صِفَاتٍ رُكِّبَتْ ... فيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا العُقُولْ

أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا ... هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولْ؟

هَذِهِ الأَنْفَاسُ هَلْ تَحْصُرُهَا ... لا وَلا تَدْرِي مَتَى عَنْكَ تَزُولْ؟

---

(1) ذكر هذا التأويل أيضا السَّخاوي في مقاصده الحسنة: 220/1، وابن غانم الأسبق إليه.

(2) نحو هذا أيضا قول يوسف بن الحسين لما سئل: بماذا يعرف العبد ربه؟ قال: «العبدُ عاجز عن معرفة نفسه فكيف معرِفة ربِّه؟». (التعرف: 15).

(3) في (ع): (لا)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) غير وارد في باقي النسخ المعتمدة.

أَيْـــنَ مِـــنْكَ العَقْـــلُ وَالفَهْـــمُ إِذَا غَلَـبَ الـنَّوْمُ فَقُـلْ لِـي يَـا جَهُـولْ؟

أَيْـــنَ نُـــورُ الـــشَّمْسِ لَمَّـــا انْـــدَرَجَ غَـيْهَبُ اللَّـيْلِ وَنَـاءَتْ لِلأُفُـولْ؟[1]

أَنْـــتَ أَكْـــلُ الخُبْـــزِ لا تَعْـــرِفُهُ كَـيْفَ يَجْـرِي فـيكَ أَمْ كَـيْفَ تَـبُولْ؟

فَـــإِذَا كَانَـــتْ طَـــوَايَاكَ الَّتِـــي بَـيْنَ جَنْبَـيْكَ بِهَـا أَنْـتَ ضَـلُولْ

كَيْفَ تَدْرِي مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى لا تَقُلْ: كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ النّزُولْ؟

كَيْفَ أَنْ تَحْكِي أَنْ تَرَى كَيْفَ يَرَى فَلَعَمْـــرِي لَـــيْسَ ذَا إِلَّا فُـــضُولْ

إِنْ قُلْـــتَ: كَـــيْفَ، فَقَـــدْ مَثَّلْـــتَهُ أَوْ تَقُـلْ: أَيْـن، فَقَـدْ رُمْـتَ الحُلُـولْ[2]

هُـــوَ لا أَيْـــنَ وَلا كَـــيْفَ لَـــهُ وَهْـوَ رَبُّ الكَيْفِ وَالكَيْفُ يَحُـولْ[3]

هُـــوَ (رَبُّ) الفَـــوْقِ لا فَـــوْقَ لَـــهُ وَهْـوَ فـي كُـلِّ النَّوَاحِـي لا يَـزُولْ[4]

جَـــلَّ ذَاتـــاً وَصِـــفَاتاً وَسَـــمَا وَتَعَالَـــى قَـــدْرُهُ عَمَّـــا أَقُـــولْ

❁❁❁

فصل

واعلـم أنّـه "من عـرف نفسَه عـرف ربَّـه"، وعـرف مـا يُـراد منـه فأَشغل نفسه واستعملها في ما خلقت لـه، فأوقفها في مواقف العبودية للقيام بحقوق الرُّبوبيةِ ومتى اشتغلت بمعارضة الرُّبوبية فاتتها العبودية ولم تدرك الرُّبوبية.

وها أنا أشرحُ لك صفاتِ ذاتك ومعنى صفاتك، لتعلم/54/ ما يُراد منك في حياتك ومماتك.

فـاعلم أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالـى لمَّـا أراد أن يُنشئ صـورةَ آدم[5] مـن زمـن

---

(1) غير وارد في: (ب) و(و) و(د).

(2) غير وارد في: (ب) و(س).

(3) غير وارد في: (و).

(4) في (س) و(د): (فوق).

(5) المظهر الأول لصورة آدم عليه السلام هو خلقه: «على صورة اسمه، لأنَّ اسمَه مُحَمَّد، فرأسُ آدَمَ دائرة بتَدْويره على صورة الميم الأولى من اسمه، وإرسالُ يديه مع جَنْبه على صورة الحاء، وبطنُه على صورة الميم الثَّانية، ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدَّال. فكَمُلَ خَلْقُ آدَمَ على صورة اسم محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم»، وأما حكمته عز وجل في التكوين فكان -

تقادم ابتناها على صورة مدينة، وأتقن فيها من المباني ما يدلُّ على قدرة الباني[1]، وحرَّك فيها مَثَالِثَ ومَثَانِي[2]، يُشيران إلى أنْ ليس له ثاني، ثُمَّ نصب وسط هذه المدينة قصر المملكة، وبثَّ حوله أَشْرَاكَ المَهْلكة، وسمَّى ذلك القصر بالقلب[3] إذ هو بيت الربِّ، وجعل مَدار هذه المدينة عليه، ومرجع الكلِّ إليه بإشارة: "**أَلَا وإِنَّ في الجسد مُضْغةً إذا صلحَتْ صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدَتْ فسَدَ الجسدُ كلُّه أَلَا وهي القلب**".

ووضع في هذا القصر سرير العزِّ والسُّلطان، وأجلس عليه ملَكاً يقال له الإيمان، وبثَّ الجوارح في خدمته كالغِلمان[4]، فقال اللِّسان: أنا التُّرْجُمان، وقالت العينان: نحن الحارستان، وقالت الأُذنان: نحن الجاسوسان، وقالت القدمان: نحن السَّاعيان، وقالت اليدان: نحن العاملان، وقال المَلَكان: نحن الشَّاهدان، وقال صاحب الدِّيوان: كما تَدين تُدان[5].

=

«لإِظهار شرف الماء والطِّين (...) وحكمته في وجود الآدمي لِإظهار شرف النَّبي صلى الله عليه وسلم لأَنَّه حكمة الأَجساد (...) فكان المقصودُ في الوجود معرفة مُوجِدِهم سبحانَه» (الشجرة: 340).

(1) وفي المعنى ذاته قال المؤلف: «كَوَّنَ الأَكْوَانَ اقْتِدَاراً عَلَيْها، لا افْتِقَاراً إِلَيْها». (الشجرة: 340).

(2) **المثالث والمثاني**: جمع المثلث والمثنى، فمن أوتار العود الزير والذي يليه المثنى ومنهم ما يسميه الثاني والمثلث ومنهم من يسميه البَمُّ. (المخصص لابن سيده: 122/3).

(3) وفي القلب قال أيضا المؤلف: «وجعل القلبَ بمنزلة العرش؛ لأنَّ عرشَه في السَّماء معروف وعرشه في الأرضِ مسكون، لأنَّ عرشَ القلوب أفضل من عرش السَّماء، لأنَّ ذلك العرشَ لا يَسَعُه ولا يحمله ولا يُدركه، وهذا عرشٌ في كلِّ حينٍ ينظر إليه ويتجلَّى عليه، وينزل من سماء كرمه إليه "**مَا وَسِعَتْنِي سَمَاوَاتِي وَلا أَرْضِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِن**"» (الشجرة: 346).

(4) ونحوه قوله أيضا: «ثمَّ جعل الحواسَّ رُسُلَ القلب يستَنسخُ ما حَصل فيها فالسَّمع رسولٌ وهو جاسوسُه، والبصرُ رسولٌ وهو حارسُه، واللِّسانُ رسولٌ وهو تُرجُمانُه» (الشجرة: 346).

(5) فيه تلميح إلى الحديث الذي أخرجه عبد الرزاق في مصنفه الحديث: 20262، ومعمر ابن راشد في جامعه الحديث: 874، كلاهما عن أبي قلابة قال: "**قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: البِرُّ لا يَبْلَى وَالإِثْمُ لا يُنْسَى وَالدَّيَّانُ لا يَمُوتُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَان**".

ثـمَّ جعل له وزيراً وهو العقل، فقال الوزير: أيُّها المَلِك لا بدَّ لك من خاصَّة تصطفيهم لنفسك خُلاصة يُؤثرونك على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1].

فأوَّل ما تحتاج إلى تاج وهو الولاية، وإلى مِعْراج وهو العناية، وإلى دليل وهو الهداية، ثـمَّ لا بدَّ من مَرْكوب وهو/55/ الصِّدق، وإلى حُلَّة وهي السَّكينة[2]، ومن حاجب وهو العلم، ومن بوَّاب وهو الورع، ومن سيَّاف وهو الحقُّ، ومن كاتب وهو المُراقبة[3]، ومن سجن وهو الخوف، ومن ميدان وهو الرَّجاء، ومن سراج وهو الحكمة، ومن نديم وهو الفكر، ومن خزانة وهو اليقين، ومن كنز وهو القَناعة[4]، ومن صاحب بَريد وهو الفِراسة[5].

ثـمَّ تنظر أيُّها المَلِك إلى رَعِيَّتك بعين الرَّحمة، وتفتح خزائن الحكمة، وتعدل بينهم في القسمة، وتبعث إلى كلِّ واحد قسمة يُقيم بها رَسْمَه.

فقال المَلِك: انظر أنت في الرَّعية، وأزل عنهم الشَّكِية، وتولَّ تفرقة الجَامِكِيَّة[6].

---

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

(2) **السَّكينة**: قال ابن عربي: «ما تجده من الطُّمأنينة عند تنزُّل الغيب» (اصطلاحات الصوفية: 177)، وقال الجرجاني: «وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادي عين اليقين». (التعريفات: 159).

(3) **المراقبة**: «استدامة علم العبد باطِّلاعِ الرَّبِّ عليه في جميعِ أحواله». (التعريفات: 266).

(4) من كلام علي كرم الله وجهه قوله: «القناعة كنز لا ينفَدُ» (شرح نهج البلاغة، لابن الحديد: 184/11)، وفسر كثير من المفسرين الحياة الطيبة بالقناعة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

(5) **الفراسة**: «في اللُّغَة: التثبُّت والنَّظر، وفي اصطلاحِ أهل الحقيقة: هي مُكاشفة اليقين ومُعاينة الغيب». (التعريفات: 212).

(6) **الجامكية**: راتب خُدَّام الدولة، واللفظة فارسية معربة مكونة من: "جامه" وتعني قيمة، و"كي" أداة النسبة.

فقالت اليدان: نحن علينا جمع الآلَة، وقالت الأسنان نحن نطحن ونعزِل النُّخَالة. وقال الرِّيق: أنا أعجِن وأتولَّى للمعدة إرساله، وقالت المعدة: أنا أطبُخ ولا أزيد على ذلك عمالة، وقالت الكبد: أنا آخذ ما صفا وأترك الحُثالة.

وقالت القدرة: أنا أتولَّى قسمتَها وتفرقتَها بالعدالة، فابعث إلى كلِّ عضو ما يُطيق احتِمالَه.

فلمَّا فُرِّقت الجَامِكِيَّةُ نقداً لا حَوالة، وصحَّح المَلِك أحواله، فقال له الوزير: ما بعد النَّفقة إلَّا العرض وأداء الفرض، فناد في جيشك بالطُّول والعرض، ليُنذر البعض (البعض)[1]، /56/ قبل أن تُبدَّلَ الأرضُ غير الأرض[2]، فنادى مُناديه: يا معشر الرَّعيَّة، إنَّ المَلِك قد أقسم بالإلهية، أنَّ من عَدَلَ عن الطَّريق السَّويَّة، وكفر بنعمة العَطِيَّة، وأنفقها في الخَطِيَّة فلقد أفسد النِّيَّة، ونقض البِنْيَة، أُولئك هم شرُّ البريَّة[3].

وإنَّ للمَلِك عدوّاً قد سكن جواره، يقال له: النَّفس الأمَّارة[4]، وهي تُنازعه الإمارة، واستنصرت عليه بالدُّنيا الغرَّارة، وظاهرهما الهوى، وبعث إليهما أنصاره.

وجاء الشَّيطان وكُتب له مَنْشورُ الوزارة، قد شنُّوا في أرض المَلِك الغارة، فيا خيلَ الله اركبي، ومن الأعداء لا تهربي.

فهنالك رُكِّب القلبُ بين مَيْسرة خوفه، ومَيْمَنة رجائه، ومقدِّمة توكُّله وسَاقَة[5]

---

(1) في (ع): (التبعض)، والمثبت من: (و).

(2) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[إبراهيم: 48، 49].

(3) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

(4) **النفس الأمارة**: «هي الَّتي تميل إلى الطَّبيعة البدنيَّة، وتأمر باللَّذَّات والشَّهوات الحسِّية، وتجذِب القلب إلى الجهة السُّفلية، فهي مأوى الشُّرور، ومنبع الأخلاق الذَّميمة». (التعريفات: 312).

(5) **السَّاقة**: الفرقة الخامسة من الجيش وتكون في مؤخرته. (القاموس المحيط: 2/ 79).

والخَميسُ: الجيش، لأنَّه خمس فِرق: المقدِّمةُ، والقلبُ، والمَيْمَنَةُ، والمَيْسَرَةُ، والسَّاقَةُ.

التِجائه مُتحمِّلا أثقالَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1]، ومتمسِّكا بأذيال ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، فلمَّا وصل بجنوده إلى ساحة معبوده بصدق النِّية، ونادى مُناديه في ناديه: إنَّ الله مُبتليكم بنهر الدُّنيا الدَّنِيَّة، فمن شرِب منه فليس منِّي، ومن عوَّل عليه فليتنحَّ عنِّي.

فقال أهل الضَّرورة: لا بدَّ من إقامة الصُّورة، فجاءت مِزوحة الرَّاحة بإباحة الأمن إلَّا من اغترف غَرْفةً بيده.

فأمَّا الَّذين عَدِموا الفطْنة، ووقعوا في شِراك الفتنة، فشرِبوا وتروَّوْا حتَّى أَوْرَثهم البِطْنَة، فلمَّا قابلهم القوم قالوا: لا طاقة لنا اليوم، فقال الَّذين صبروا ابتغاء وجهه: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾[3]/57/، فالتقيا بجيشهما في مَجْمَع بحريْهما هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج[4].

فكان التَّوكُّل مُوكلا بالحرص، والزُّهد محاذياً للدُّنيا، والتَّواضع مدافعاً للعُجْب، والإخلاص ماحياً للرِّياء، والتَّقوى نافية للدَّعوى، والخوف مُنافيا للهوى، والتَّسبيح والتَّقديس في محاربة إبليس، فتقدَّم حزب الله وشعارهم: اللَّهمَّ إنَّا جعلنا بك إقدامنا، فثبِّت أقدامنا فإنَّا لا ندري ما قُدَّامنا، فهزموهم بإذن اللهِ وانتصروا، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[5]، فلم يُرَ منهم إلَّا مُوَلٍّ دُبُرَه، وقَاصِم عُمُرَه، وأصبحت منازل الهوى والنَّفس كأن لم تغن بالأمس، وما زالت النَّفس بأَسْرها في أَسْرِها، حتَّى اعترفت بخُسرها، واتَّصفت بكسرها، وناداها مُنادي من له المِنَّة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[6]. شعر

[السريع]

يَا نَفْسُ تُوبِي اليَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ ... تُفْضَحِي فِي العَرْضِ بَيْنَ العِبَادْ

(1) الفاتحة: 5.

(2) نفسه.

(3) البقرة: 249.

(4) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53].

(5) آل عمران: 126.

(6) الفجر: 27.

وَخَالِفِي يَا نَفْسُ حُكْمَ الهَوَى — وَجَاهِدِي فِي اللهِ حَقَّ الجِهَادْ
وَاذْرَعِي ذِرْعَ التُّقَى وَاصْبِرِي — وَصَابِرِي فِي حَرْبِ أَهْلِ العِنَادْ[1]
يَا نَفْسُ إِنَّ اللهَ مِنْكِ اشْتَرَى — بِشَرْطِ تَسْلِيمِ جَمِيعِ القِيَادْ[2]
فَاسْتَبْشِرِي بِالبَيْعِ وَاسْتَسْلِمِي — وَاصْطَلِحِي يَا نَفْسُ مِنْكِ الفَسَادْ
أَفْلَسْتِ وَالسِّلْعَةُ مَعْيُوبَةٌ — لا تَشْتَرِي وَالسُّوقُ سُوقُ الكَسَادْ
وَالرَّكْبُ قَدْ جَدَّ مَسِيراً وَلا — لِهَوْلِ يَوْمِ العَرْضِ قَدَّمْتِ زَادْ /58/
وَكُلُّ مَا ابْيَضَّ مَشِيبِي فَلَا — يَزْدَادُ وَجْهُ القَلْبِ إِلَّا سَوَادْ
وَاخَجْلَتِي وَاحَسْرَتِي إِنْ لَمْ أَكُنْ — مِنْ بَيْنِ صَحْبِي قَدْ (عَدِمْتُ) المُرَادْ[3]

❁❁❁

فصل

وقد أوضحت في هذه الإشارة ما يُراد من العَبيد في خدمة الرَّبِّ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[4]، فإذا اشتغلتَ بمعرفة من أنت أشغلك بمعرفة من هو، ويجوز أن تعرف من هو، ولا يجوز أن تعرف ما هو لأنَّ "ما هو " سؤال عن ماهية ذاته، ولا ماهية لذاته، و"من هو" سؤال عن أسمائه وصفاته، وما حصَّل منه أهل الأرض والسَّماء إلَّا على الصِّفات والأَسماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[5]، وسرُّ هذا الرَّمز يظهر من سؤال فرعون لموسى حين قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6]، فسأله فرعون:

---

(1) واذرعي: واسرعي، والذريع في المشي؛ أي سريعه، وكانت من صفته صلى الله عليه وسلم السُّرعة في المشي، ولعل المؤلف يريد الإسراع إلى التَّقوى، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

(2) في صدر البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: 111].

(3) في (س) و(د): (حرمت).

(4) ق: 37.

(5) الزخرف: 87.

(6) الشعراء: 16.

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فقال له موسى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[2]، فهذا الجواب يسمَّى جواب العُدول لأنَّه عَدَلَ فيه عن مُطابقة السُّؤال لأنَّ فرعون سأل عن ماهية الله سبحانه، وموسى أَجاب عن قدرته وصفاته في أزله فجاز له حين خلط في السُّؤال، وسأل عمَّا لا يمكن إدراكه جاز له أن يعدل عن السُّؤال.

وقد سُئل يحيى بن معاذ الرَّازي[3] رضي الله عنه، فقيل له: «أخبرنا عن الله تعالى، فقال: إلهٌ واحد فقيل له: كيف هو؟ فقال: إلهٌ قادر، قيل له: أين هو؟ قال: بالمرصاد، فقال السَّائل: لم أسألك/**59**/ عن هذا، فقال: ما كان غير هذا فهو من صفة المخلوق، فأمَّا صفته فالَّذي أخبرتُ عنه»[4].

وسُئل بعض العارفين عن قوله: ﴿الرحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[5]، فقال: «الحقُّ سبحانه وتعالى عرَّفنا بهذا القول مَنْ هو، وما عرفنا ما هو لأنَّه لا يعرف ما هو إلَّا هو».

وقيل لصوفي: أين الله؟ فقال: «مَحقَكَ اللهُ هل تطلُبُ مع العين أَيْن»[6]، يُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[7].

وسُئل الشبلي رحمه الله عن قوله: ﴿الرحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[8]، فقال: «الرَّحمانُ لم يزل والعرشُ مُحْدَث، فالعرشُ بالرَّحمانِ استوى»[9].

---

(1) الشعراء: 23.

(2) الشعراء: 24.

(3) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ خرج إلى بلخ وأَقام بها مدَّة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة: 258 هـ. (الرسالة القشيرية: 33).

(4) الاستقامة 185/1.

(5) طه: 5.

(6) الرسالة القشيرية: 13، وفيه (أسحقك الله).

(7) الحديد: 4.

(8) طه: 5.

(9) الاستقامة: 189/1.

وسُئل ذو النُّون المصري رحمه الله تعالى عن قوله: ﴿الرحمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1]، قال: «أثبتَ ذاتَهُ ونفى مكانَه فهو مَوْجودٌ بذاته، والأشياءُ كلُّها مَوْجودة بحُكمه كما شاء»[2].

(وسُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الاستواء، فقال: «استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر»)[3].

وسُئل الإمام الشَّافعي رضي الله عنه عن الاستواء، فقال: «آمنتُ بلا تشبيه، وصدَّقتُ بلا تمثيل واتَّهمتُ نفسي في الإدراك، وأمسكتُ عن الخوض فيه كلَّ الإمساك».

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: «من قال لا أعرفُ اللهَ أَفي السَّماءِ هو أم في الأرض فقد كفر؛ لأنَّ هذا القولَ يُوهِمُ أنَّ للحقِّ مكانا، ومن توهَّم أنَّ للحقِّ مكاناً يُعرف فهو مُشَبِّه».

وسُئل الإمام/**60**/ مالك رضي الله عنه عن الاستواء، فقال: «الاستواءُ معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجبٌ والسُّؤال عنه بِدْعَة»[4].

وهذا الَّذي ذهبت إليه الأئمَّةُ الأربعةُ ولا خلاف بينهم في ذلك، ومن توهَّم أنَّ بين أحد من الأئمَّة اختلافاً في صحَّة الاعتقاد فقد أعظم الفَرِيَّةَ على الأُمَّة وأساء ظنَّه بأئمَّة المسلمين.

وسُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الشَّافعي، رضي الله عنهما، فقال: «ما الَّذي أقولُ فيه وهو الَّذي أخرج من (قشور التَّشبيه)[5] لُبابَها، وأطلعَ على معارفها أربابها، وجمع بمذهبه أَكْنَافَها وأطنابَها، فالمُحَدِّثونَ صيادلةٌ والشَّافعي طبيبُهم، وَالفقهاءُ أكابِرٌ والشَّافعيُّ كبيرُهم».

---

(1) طه: 5.

(2) الاستقامة: 188/1.

(3) غير وارد في: (ب) و(و).

(4) إحياء علوم الدين: 104/1. وقال ابن القيم: «وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه شاف عام في جميع مسائل الصفات» (مدراج السالكين: 186/2).

(5) في (ع): (منشور السنة)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د).

وسُئل أبو المَعالي[1] عن الإمام أحمد، فقال: «إنَّ أحمدَ ضُرِبَ بالسِّياط، ولم يَزِغْ عن سواء الصِّراط، غسلَ وجهَ السُّنَّة من غُبار البدْعة، وكشف الغُمَّةَ عن عقيدة هذه الأُمَّة».

وها أنا أذكر لك في التَّنْزيه ما يجلو عن قلبك دَرَنَ[2] التَّشبيه، فأقول:

[البسيط]

يَا أَيُّهَا المُدَّعِي لِلهِ عِرْفَانَا ... وَقَدْ تَفَوَّهَ بِالتَّوْحِيدِ إِعْلَانَا

وَيَطْلُبُ الحَقَّ بِالعَقْلِ الضَّعِيفِ ... وَبِالقِيَاسِ وَالرَّأْيِ تَحْقِيقاً وَتِبْيَانَا

ظَنَنْتَ جَهْلاً بِأَنَّ اللهَ تُدْرِكُهُ ... ثَوَاقِبُ الفِكْرِ أَوْ تَدْرِيهِ إِيقَانَا

أَو العُقُولُ أَحَاطَتْهُ بَدِيهَتُهَا ... أَوْ هَلْ أَقَامَتْ بِهَا لَوْلاهُ بُرْهَانَا

أَو العُلُومُ وَمَا سُطِّرَتْ فِي كُتُبٍ ... هَلْ هُنَّ إِلَّا عَلَى التَّحْقِيقِ عُمْيَانَا /61/

اللهُ أَعْظَمُ شَأْناً أَنْ يُحِيطَ بِهِ ... عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَرَأْيٌ جَلَّ سُلْطَانَا

أَرْدَى بِكَ العَقْلُ أَنْ عَطَّلْتَهُ عَدَماً ... وَخَانَكَ النَّقْلُ أَنْ صَوَّرْتَ جُثْمَانَا

إِيَّاكَ، وَيْحَكَ، وَالتَّعْطِيلُ فِي صِفَةٍ ... وَاحْذَرْ تَكُنْ عَابِداً بِالوَصْفِ أَوْثَانَا

وَإِنْ سَمِعْتَ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ فَقُلْ: ... آمَنْتُ بِاللهِ تَصْدِيقاً وَإِيمَانَا

وَرُدَّ عِلْمَ خَفَايَاهَا لِعَالِمِهِ ... فَإِذَا تَأَوَّلْتَ قَدْ أَوَّلْتَ بُهْتَانَا

إِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ قُلْ: كَيْفَ شَاءَ ... وَلا تُصْغِي إِلَى كَيْف تُضحِى(ثَمَّ)نُدْمَانَا[3]

أَوْ قِيلَ: أَيْنَ؟ فَقُلْ حَيْثُ اتَّجَهْتَ تَجِدْ ... مَوْلاكَ مَا غَابَ طَرْفاً لا وَلا بَانَا

هُوَ الَّذِي فَوْقَ كُلِّ الفَوْقِ رُتْبَتُهُ ... وَحَيْثُ كُنْتَ وَجَدْتَ اللهَ دَيَّانَا

مَنْ ظَنَّ جَهْلاً بِأَنَّ العَرْشَ يَحْمِلُهُ ... قَد افْتَرَى (وَاجْتَرَى) ظُلْماً وَعُدْوَانَا[4]

العَرْشُ وَالفُرْشُ وَالكُرْسِي صَنْعَتُهُ ... وَقَدْ بَرَاهُنَّ إِحْكَاماً وَإِتْقَانَا

---

(1) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشَّهير بإمام الحرمين، ولد سنة 419 وتوفي سنة 478هـ، فقيه متكلم على مذهب الأشعري. (طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 165 - 222).

(2) الدَّرن: الوسخ. (لسان العرب: 153/13، والقاموس المحيط: 323/3).

(3) غير واردة في: (ع)، والإضافة من: (و) و(د).

(4) في (ع): (اجزى)، والمثبت من: (ب).

مُحْجَبَاتٌ فَلَا عِلْمٌ وَلا خَبَرٌ ... قَدْ حَيَّرَ الكُلَّ فُقْدَاناً وَوُجْدَانَا

العَرْشِ يَطْلُبُ مَنْ قَدْ عَزَّ مَطْلَبُهُ ... وَلَمْ يَزَلْ فِي طِلَابِ اللهِ وَلْهَانَا

الخَلْقُ فِي العِلْمِ تَاهُوا فِي تَطَلُّبِهِ ... وَالعِلْمُ فِي الاِسْمِ لا يَنْفَكُّ حَيْرَانَا

وَالاِسْمُ دَلَّ بِسِرٍّ فِي غَوَامِضِهِ ... عَلَى المُسَمَّى فَصَارَ الاِسْمُ عُنْوَانَا

وَعِزُّ ذَاكَ المُسَمَّى لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... خَلْقٌ وَلَوْ حَاوَلُوا شِيئاً وَشُبَّانَا

سَارَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُ العَارِفِينَ عَلَى ... نَجَائِبِ الفِكْرِ رُكْبَاناً وَوُحْدَانَا[1]

وَفَارَقُوا الأَهْلَ وَالأَوْطَانَ وَاعْتَزَلُوا ... (وَصَابَرُوا) اللَّيْلَ أَحْيَاناً وَأَزْمَانَا[2]

حَتَّى انْتَهَوْا مُنْتَهَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ ... وَكُوشِفُوا بِبَدِيعِ السِّرِّ إِعْلَانَا

هُنَاكَ طَابُوا وَغَابُوا عَنْ صِفَاتِهِمْ ... وَأَلْهَبَ الشَّوْقُ فِي الأَحْشَاءِ نِيرَانَا

وَعرفُوا بِجَمِيلِ الوَصْفِ فَاعْتَرَفُوا ... وَصَيَّرُوا القَلْبَ (لِلعِرْفَانِ) مَيْدَانَا[3] /62/

يُرَوْنَ فِي النَّاسِ سَكْرَى مِنْ مَعَارِفِهِمْ ... كَذَلِكَ مَنْ عَرَفُوهُ رَاحَ سَكْرَانَا

هَبَّتْ عَلَيْهِمْ وَقَدْ فَاجَأَهُمْ سَحَراً ... (نُسَيْمَةٌ) عَبَقَتْ رَوْحاً وَرَيْحَانَا[4]

فَأَسْكَنَتْ فِي قُلُوبِ القَوْمِ مَعْرِفَةً ... وَحَرَّكَتْ مِنْهُمْ وَجْداً وَأَشْجَانَا

إِذَا بَدَا وَتَجَلَّى فِي حَضِيرَتِهِ ... سَاقِي المُدَامِ وَأَهْدَى الكَأْسَ مَلْآنَا[5]

نَادَاهُمْ سَكِرُوا مِنْ قَبْلِ مَا شَرِبُوا ... وَظَلَّ شَارِبُهُمْ بِالشُّرْبِ ظَمْآنَا

لَمَّا تَغَنَّاهُمْ حَادِيهِمْ انْخَلَعُوا ... عَمَّا بِأَيْدِيهِمْ سُكْراً وَشُكْرَانَا

وَأَسْلَمُوا الدِّينَ وَالدُّنْيَا لِطَالِبِهَا ... وَطَهَّرُوا القَلْبَ لِلْمَحْبُوبِ أَوْطَانَا

هَذَا اعْتِقَادِي فَإِنْ قَصَّرْتُ فِي عَمَلِي ... فَأَسْأَلُ اللهَ تَوْفِيقاً وَغُفْرَانَا

❁❁❁

---

(1) النَّجائب: جمع نجيبة، وهي الناقة الكريمة، وتقال في كل فاضل نفيس في نوعه. (لسان العرب: 748/1، والقاموس المحيط: 123/1).

(2) في (ع): (سافروا)، والمثبت من: (ب) و(و) و(س) و(د).

(3) في (ع): (للأحشاء)، والمثبت من: (ب) و(و)، وفي (د): (للمحبوب).

(4) في (ع): (نسمة) وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (ب) و(س) و(د).

(5) المدام، والمدامة: الخمرة سميت بذلك لأنها أدامها في ظرفها؛ أي عتقها، وقيل لأنها تدام فلا تمل. (المخصص: 364/2).

فصل

ثـمَّ اعلـم أنَّـه لا يُوصـل إلـى معـرفته إلَّا بالعجز عن معرفته؛ لأنَّ كلَّ إشارة يشير بها الخلق إلى الحقِّ مردودة عليهم؛ لأنَّها من جنسهم مخلوقة مثلهم حتَّى يشيروا إلى الحقِ بالحقّ، ولا سبيل لهم إلى ذلك.

وأوحى الله تعالى إلى داوود عليه السَّلام: يا داوود اعرفني واعرف نفسك، ففكَّر داوود ساعةً ثـمَّ قـال: إلهي عرفتُك بالفَرْدانية (والقدرة)[1] والبقاء، وعرفتُ نفسي بالضُّعف والعجز والفناء، قال الله تعالى: يا داوود عرفتني حقَّ المعرفة.

وقد سُئل الصِدِّيق، رضي الله عنه: «بِمَ عرفتَ ربَّك؟ فقال: عرفتُ ربِّي بربِّي، ولولا ربِّي ما عرفتُ ربِّي.

فقيل: وهل يتأتَّى لبشر أن يُدركه؟ فقال: العجز عن درك الإدراك إدراك»[2].

ومعنى هذه الإشارة الصِدِّيقيّة أنَّ الحواسَّ الخمس الَّتي هي آلة الإدراك لسائر المحسوسات/63/ لا وصول لها إلى إدراكه.

فإذا علمتَ أنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى مُنزَّه عن الإدراك بهذه الحواس الخمس (لِكُنْه)[3] ذاته وصفاته؛ لعجزها عن إدراكه؛ فقد عرفتَ الحق.

وقد سُئل مصباح التَّوحيد، وصباح التَّفريد علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: «بم عرفتَ ربَّك؟ قال: عرفتُه بما عرَّفني به نفسه، لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالنَّاس، قريب في بعده، بعيدٌ في قربه، فوق كلِّ شيء، ولا يقال تحته شيء، وأمام كلِّ شيء ولا يقال أمامه شيء، وهو في كلِّ شيء، لا كشيء في شيء فسبحان من هو هكذا، وليس هكذا غيره».

وقال علي كرَّم الله وجهه مخبراً عن حقيقة التَّوحيد: «ركضتِ الأرواحُ في

---

(1) غير واردة في: (ع)، والمثبت من: (ب) و(و).

(2) المقدمة في التصوف: 15، وإحياء علوم الدين: 252/4، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 9/ 45، 82، وفي الإحياء (305/4) أيضا: «سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلَّا بالعجز عن معرفته».

(3) في (ع): (لا كنه)، والمثبت من: (ب) و(و).

ميدان المعرفة، فسبقت روحُ نبيّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم أرواحَ الأنبياء، فخلع عليه المعراج خلعة، فقيل له: وما غايتُها، أي: المعرفة؟ فقيل: الدَّهَشُ في كبرياء الله عزَّ وجل».

وسُئل أيضا علي كرَّم الله وجهه: «هل عرفتَ اللهَ بمحمَّدٍ أو عرفتَ محمَّداً بالله؟ فأَجاب: لو عرفتُ اللهَ بمحمَّدٍ ما عبدتُه، ولكان محمَّدٌ أوْثق في نفسي من الله، ولو عرفتُ محمَّداً بالله لما احتجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن اللهَ عرَّفني نفسَه (بنفسه)[1] بلا كيف كما شاء، وبعث محمَّداً بتبليغ الرِّسالة وتبليغ أحكام القرآن وبيان/**64**/ مُعْضلات الإسلام والإيمان، وإثبات الحجَّة، وتقويم النَّاس على منهج الإخلاص فصدَّقته بما جاء بِه».

واعلم أنَّه يستحيل الوصول إلى شيء من معرفة الله بغير الله، ولا سبيل إلى معرفة الله إلَّا بالله، فإنَّ الأفهامَ والأوهامَ والعقولَ والخواطرَ عاجزة قاصرة عن إدراك صُوَرها بصُوَرها وعللها (بعللها)[2]، فكيف تُطيق إدراك مُصَوِّرها (ومُعَلِّلها)[3]؟ وإنَّما الحقُّ سبحانه وتعالى خلق خلقه كما شاء، على ما شاء ووفَّق من شاء لما شاء، وعرَّف من شاء بما شاء.

وفي الحديث: "**إنَّ اللهَ خلق الخلقَ في ظلمةٍ ثمَّ رشَّ عليهم من نوره فَمن أصابه ذَلك النُّورُ هُدِي، ومن أخطأَه ذَلك النُّورُ ضلَّ**"[4].

فمعرفة العبد لربِّه نورُ الله الَّذي يَقْذِفُهُ في قلب عبده فيُدرك بذلك النُّور أسرارَ مُلكه، ويُشاهدُ غَيْبَ مَلكوته ويُلاحظُ صفاتِ جَبروته، ثمَّ تتنزَّل قوَّة إدراكه على مقدار ما أُفيضَ عليه من ذلك النُّور، وهذا معنى قوله عزَّ وجل: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها**﴾[5]؛ أي مَثل نور المؤمن هكذا كان يقرأ

(1) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب).

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) و(و).

(3) في (ع): (معللها)، ولا يتناسب وسياق المعنى السابق، والمثبت من: (ب) و(و).

(4) نوادر الأصول: 140/4، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(5) النور: 35.

أُبَيِّ بنُ كَعْبٍ[1] وكان يقرأ عبد الله بن مَسعود رضي الله عنهما: "**مثلُ نوره في قلب المؤمن**"[2].

وإنَّما سَمَّى الحقُّ سبحانه وتعالى نفسه نوراً لأنَّ النُّور هو الضِياءُ المُظهرُ للأشياء، فإذا سَمَّى ما يُظهر غيره بالإضافة إلى الإدراك نورا، فَلَأَنْ يُسمِّيَ من يُظهرُ الأَشياءَ من كَتْمِ العَدَمِ إلى فضاء الوجود بالإيجاد نوراً أَوْلى/**65**/ بمن هو نورُ النُّورِ لأنَّه مُظهره.

ثمَّ ضرب مثل نوره في قلب المؤْمن وشبَّهه، فشبَّه صدره بالمشكاة، وشبَّه قلبه في صدره بالقنديل في المِشْكاة، وشبَّه معرفته بالمصباح في القنديل، وشبَّه القنديلَ الَّذي هو قلبُه بالكوكب الدُّرِّي، وشبَّه إمدادَه بمعرفته بالزَّيت الصَّافي الَّذي يُمِدُّ السِّراجَ في الإِشعال.

ومعنى آخر لطيف: المشكاةُ بمنزلة بشريَّتك، والمصباحُ بمنزلة نور تَوْحيدك والزُّجاجةُ بمنزلة قلبك.

(وتشبيه)[3] المشكاة بالبشرية لما في البشرية من الكثافة، وهي محلُّ ظلٍّ وسواد، والمصباحُ كلَّما كان في الظِّلِّ والسَّواد كان أشدُّ في الاشتعال والإيقاد.

---

(1) تفسير الطبري: 178/19.

(2) تفسير القرطبي: 260/12، وكلا القراءتين؛ أي قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما كالضحاك وغيره تعيد النور في الآية على المؤمنين، وللآية وجه آخر في القراءة يصرف النُّور إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نحو قراءة كعب الأحبار وغيره. وللمؤلف وجه آخر في تأويل النور في الآية وهو نور الله في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: «فأمَّا مادةُ روحانيَّته في سرِّ قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35]؛ يعني مصباحَ نور نبيِّنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فقد جعله مصباحَ مِشْكاة الوجود، فشبَّه الكونَ بالمشكاة وسيِّدنا محمَّداً صلى الله عليه وسلم بالزُّجاجة، والنُّور الَّذي هو قلبه بالمصباح، فأشرق نور باطنه على ظاهرِه كإشراق المصباحِ في الزُّجاجة، فصار نورُ المصباحِ نارا، والزُّجاجةُ نوراً لصفائها، فصار نوراً وكان حظُّ كلِّ مخلوق من ذلك بحسب قربه منه واتِّباعه له والدُّخول في شِيعته والعمل بشريعته». (الشجرة: 358).

(3) في (ع): (وتشبيه)، والمثبت من: (ب) و(و) ليناسب ما سيأتي.

(وتشبيه)[1] نور التَّوحيد بالمصباح لأنَّ المصباحَ يستنير به ما يُجاورُهُ ويحلُّ فيه، ونورَ التَّوْحيد يستضيءُ به ما يُجاورُهُ ويحلُّ فيه.

وشبَّه القلبَ بالزُّجاجة لما فيها من اللَّطافة، فإنَّ شَفافَها يَطْرَحُ أشعَّةَ أنواره على ما يُقابلها ويُحاذيها من الأجرام.

والقلب شفَّاف تعبر منه أشعَّة أنوار التَّوحيد إلى ما وراءه من الجوارح وإليه الإشارةُ النَّبوِيَّةُ في قوله لذلك الرَّجل الَّذي كان يعبث في صلاته: "**لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحُه**".

وقد قيل فيه معنى آخر، وهو أنَّه مَثَلٌ لنور محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم. وروى مُقاتل عن الضَّحَّاك قال هذا مَثَلُ النَّبي صلَّى الله عليه/**66**/ وسلَّم فشبَّه عبدَ المُطَّلب بالكُوَّة وهو المشكاة وشبَّه عبدَ الله بالزُّجاجة، وشبَّه النَّبي صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في صُلبها[2] فورِث النُّبوَّةَ من إبراهيم عليه السَّلام وهو الشَّجرة وهو قوله: ﴿**يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾[3]، وإنَّما سَمَّى إبراهيمَ عليه السَّلام شجرة لأنَّ أكثر الأنبياء من صُلبه[4]، ﴿**لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ**﴾[5]؛ أي: لا يهودياً ولا نصرانياً[6]، ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[7].

❁❁❁

---

(1) في (ع): (وتشبيه)، والمثبت من: (ب) و(و) ليناسب ما سيأتي.

(2) تفسير زاد المسير لابن الجوزي: 448/5.

(3) النور: 35.

(4) تفسير القرطبي: 263/12، وتفسير زاد المسير لابن الجوزي: 447/5.

(5) النور: 35.

(6) قال القرطبي: «وإنَّما قال ذلك لأنَّ اليهودَ تصلِّي قِبَلَ المغرب والنَّصارى تصلِّي قِبَلَ المشرق». (تفسير القرطبي: 12/ 263). وقيل في: «﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يضيء ﴾ أي يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للنَّاس قبل أن أوحى الله تعالى إليه. ﴿ نُورٌ على نُورٍ ﴾ نَبِيٌّ من نَسْل نبيّ». فكيف يتأتى لعاقل أن يخطر بوهمه تدنيس هذه المحاسن الرَّبانية الَّتي خصَّ بها الله عز وجل نبيه والقول بشرك آبائه.

(7) آل عمران: 67.

فصل

واعلم، وفَّقنا الله وإيَّاك، أنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقة، ولكلِّ حقيقة أهل، ولكلِّ أهل علامة، وبالعلامة يَتبيَّن المُحقُّ من المُبطل، وكلُّ من أجلسه الله على مائدة معرفته وتناول من كؤوس محبَّته وقع سِيماها على وجهه، وتبيَّن أثرها على حركاته وسكناته، قال الله تَعالى: ﴿**تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ**﴾[1]، وقال: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**من كانت سريرتُه حسنة أظهر اللهُ عليه منها رداءً يُعرف به ويشهد عليه بالخير**"[3].

وقال أبو يزيد: «العارفُ على لسانه وصفُ الرُّبوبية، وعلى أركانه خدمةُ الدَّيْموميَّة، وعلى نفسه أثرُ العبودية، وَفي قلبه هَيْبةُ الفَرْدانية، وفي سرِّه طلبُ الإلهية، وفي روحه شَغَفُ الوَحْدانية».

وقالت رَابعة[4]: «للعارف ثلاثُ علامات؛ بدنُه مشغول بالتَّعب، وقلبُه مشغول بالشَّغف، وروحُه مشغول بالطَّرب».

وقيل: قلب/**67**/ العارف مُنوَّر بمصابيح المعرفة، ووجهُه مُزيَّن بسِيما[5] الطَّاعة، وأطرافُه ذائبة من خوف القطيعة، وسرُّه مُنقطع إلى الله من كلِّ علاقة، وعلامة ذلك أن يكون خادماً بالأركان، ذاكرا باللِّسان، مُستأنسا به في كلِّ مكان

---

(1) البقرة: 273.

(2) الفتح: 29.

(3) أخرجه الشِّهاب القضاعي في مسنده، الحديث: 482 عن أبي عبد الرحمان هو السُّلمي قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول على مِنْبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مَنْ كَانَتْ لَهُ سَرِيرَةٌ صَالِحَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ نَشَرَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهَا رِدَاءً يُعْرَفُ بِهِ** "، والحديث: 483، وأخرجه أيضا بهذا اللفظ وبالسَّند نفسه أبو نُعيم في الحلية: 4/ 354.

(4) هي رابعة بنت إسماعيل البصرية العابدة الصالحة، توفيت سنة 135 هـ ودفنت بظاهر القدس بجبل طور. (طبقات الأولياء: 68/1، والطبقات الكبرى، للشعراني: 63/1).

(5) سِيما: العلامة، مأخوذة من وسمت. (لسان العرب: 314/12)، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿**وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**﴾ [آل عمران: 14]، وقوله: ﴿**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران: 125]، وقوله: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح: 29].

وأوان، وتكون نفسُه في الدُّنيا غريبة، وقلْبُه في صدره غريبا، وروحُه في صدره غريبا، وسرُّه في حاله غريبا، والغريبُ أبداً في غربته كئيب فلا يستريح العارف من غمِّ الغربة ما لم يصل إلى الحبيب.

ومن ها هنا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "**كن في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيل**"[1] فتأمَّلتُ حقيقة هذا الحديث، فرأيتُ أنَّ الأرواح خلقت قبل الأجساد[2] بألْفَيْ عام ثـمَّ اقْتُنِصَتْ من عالمها العُلْوي الرُّوحاني النُّوراني، فأُودِعَت ظلمة هذا الجسد التُّرابي الطَّبيعي الجُثْماني، والجسد مخلوق من التُّراب، والتُّراب كائن قبل كون الآدمي، فهما في الحقيقة جُلبا غريبَيْن غُرِّبا عن وطنَيْهما، وأُبعدا عن أصلَيْهما فاجتمعا اجتماع غربة كلُّ واحد منهما يُشير إلى وطنه، ويطير إلى سكنه، فالجسد أخلد إلى الأرض، والرُّوح بدون السُّموِ لم ترض[3]، ولله درُّ القائل:

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، الحديث: 34304، حدثنا أبو معاوية عن ليث عن مجاهد عن بن عمر قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي أو ببعض جسدي فقال لي: "يا عبد الله بن عمر كن في الدُّنيا غريبا أو عابرَ سبيل وعُدَّ نفسك في أهل القبور". وأخرجه الطَّبراني في المعجم الكبير بهذا اللَّفظ أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما، الحديث: 13357.

(2) نحو هذا الكلام قول ابن عطاء البغدادي (ت: 309هـ): في خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالى: «﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ**﴾؛ يعني الأرواح ﴿**ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**﴾؛ يعني الأجساد». (التعرف: 74).

(3) كذا كان خلق البرية من لطيف وكثيف من ضدين جسمانية وروحانية ليكون كامل الخلق كامل الوصف، في حين اختص نبينا صلى الله عليه وسلم بوصف «ثالثٍ خارج عن هذين الوصفَين وهو أنَّه جعل فيه وصفاً ربَّانيًا وسرًّا إلهياً يَثْبُتُ به عند تجلِّي صفات الرُّبوبية ويُطِيقُ به مشاهدةَ الحضرة الأَحَدِيَّةِ ويتلقَّى به أسرارَ أنوارِ الفَرْدانيَّةِ ويسمع بِها خطابَ الإشارات القُدسيَّة (...) وهو معنى سرِّ قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: "**لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُم**"، وقولُه صلَّى الله عليه وسلَّم: "**لِي وَقْتٌ لا يَسَعُنِي فيهِ غَيْرَ رَبِّي سُبْحَانَه**"، فهذا المقامُ ليس يختصُّ به مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرسل، كأسٌ لم يتناوله سواه، عروسٌ ما جُلِّيَتْ إلَّا عليه، وهو المقامُ المخصوص به». (الشجرة: 360).

[الكامل]

رَاحَــتْ مُــشَرِّقَةً وَرُحْــتُ مُغَــرِّباً شَــتَّانَ بَــيْنَ مُــشَرِّقٍ وَمُغَــرِّبِ[1]

ومن تأمَّل معنى هذه الأبيات فهم ما أشرنا إليه، وعلم ما عوَّلنا عليه، فإنَّ فيها معنى ازدواج الأشباح بالأرواح/**68**/ المستفاد من سرِّ قوله: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاح**﴾[2]، فمن كانت له بصيرة مستنيرة أبصر مصباح النَّجاح، ومن كانت له أُذن سامعة سمِع منادي الفلاح:

[الخفيف]

يَــا خَلِيلَــيَّ قَــدْ تَــبَلَّغْتُ القَــصْدَا وَعَــرَفْتُ الغَــرَامَ هَــزْلاً وَجَــدًّا

خَلِّيَانِــي مِــنْ ذِكْــرِ سَــلْعٍ وَنَجْــدٍ وَدَعَانِـي مِـنْ حُـبِّ سَـلْمَى وَسُـعْدَى

إِنَّ لِـي فـي حُـشَاشَةِ القَلْـبِ خَـوْداً أَقْــسَمَتْ لِلعُــيُونِ لا تَتَــبَدَّى

أَبْــرَزَتْ (لِلعُــيُونِ) حُلَّــةَ حُــسْنٍ وَتَجَلَّــتْ لَهَــا بِــوَجْهٍ مُفَــدَّى[3]

حَجَــبُوهَا فَلَــيْسَ تَظْهَــرُ إِلَّا لِمُحِــبٍّ صَــفَا انْــتِهَاءً وَمَــبْدَا

شَـهِدَتْ حِـينَ غُيِّـبَتْ كُـلَّ غَـيْبٍ فَهْـيَ تَخْفَـى صَـوْناً لَهَـا أَنْ تُحَـدَا

مَلَكَـتْ فـي الـشُّهُودِ قَبْـضاً وَبَـسْطاً وَحَكَتْ في الوُجُودِ (زَجْراً وَمَدًّا)[4]

عَـــرَفُوهَا مَظاهِـــراً فَـــتَعَالَتْ وَتَعَالَــتْ فَمَــا تُــرِيدُ مَــرَدًّا

ذَاتُ (أُنْــسٍ) وَوُحْــشَةٍ وَنِفَــارٍ وَ(قَــرَارٍ) ضِــدٌّ لِــضِدٍّ تَــبَدًّا[5]

رُكِّــبَتْ مِــنَ تَــضَادُدٍ فَلِهَــذَا جَمَعَتْ في المَذَاقِ صَبِراً وَشَـهْدَا[6]

---

(1) ديوان الصَّبابة، لابن أبي حجلة: 306، بدون نسبة، وصدر بيت فيه برواية: سارت مشرقة وسرت مغربا، وله روايات أخرى في مظان أخرى.

(2) النور: 35.

(3) في (ع): (للعيون)، والمثبت من: (ب) و(و)، وفي: (د): (للعقول).

(4) في (ع): (زجرا ومبدا) وهو تحريف.

(5) في (ع): (حسن)، والمثبت من: (ب) و(د) وذلك ليناسب الطباق الذي بنى عليه البيت بين "أنس" و"وحشة"، وفي (ع): (فرار)، وفي (س): (ووقار)، والمثبت من: (ب).

(6) الصبر: عصار شجرة مذاقه مر، وهو أحد الأَمَرَّيْن، قال صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى: "مَاذَا في الأَمَرَّيْنِ مِنَ الشِّفَاءِ الصَّبِرُ وَالثُّفَاء".

فَهْـيَ بَـدْرٌ وَفـي الحَقِـيقَةِ شَـمْسٌ ... وَهْــيَ نَــارٌ تُـرِيكَ حَـرّاً وَبَـرْدَا
وَهْــيَ رُوحٌ وَفــي المَحَـبَّةِ رَاحٌ ... مُـزِجَتْ فـي الكُـؤُوسِ غَـيّاً وَرُشْـدَا
وَهْــيَ ذَاتٌ لِكُــلِّ ذَاتٍ وَتَبْقَــى ... بِــصِفَاتٍ صَـفَتْ مِـزَاجاً وَمَغْـدَا
وَهْـيَ رُوحُ الوُجُـودِ جَمْعـاً وَأَصْـلاً ... وَهْـيَ كَـوْنُ الأَكْـوَانِ وَجْـداً وَفَقْـدَا
هَـبَطَتْ مِـنْ مَحَـلِّ عِـزٍّ رَفِـيعٍ ... فَتَــبَدَّى لَهَــا فُــؤَادِي مَهْــدَا
فَأْتَلَفْــنَا لِفُــرْقَةٍ وَتَــلَاقٍ ... بَعْـدَهُ لا نَخَـافُ فـي القُـرْبِ بُعْـدَا
وَازْدَوَجْــنَا فَــنَحْنُ زَوْجٌ وَلَكِــنْ ... إِنْ تَأَمَّلْـتَ كَـانَ زَوْجـاً وَفَـرْدَا /69/
نَحْـنُ فـي شِـرْعَةِ الهَـوَى قَـدْ خُلِقْـنَا ... نَقْطَـعُ الحُـبَّ فـيهِ وَصْـلاً وَصَـدَّا
لَـوْ تَـرَانَا وَقَـدْ هَمَـتْ كُـلُّ عَـيْنٍ ... تَتَـشَاكَى مِـنَ الهَـوَى مَـا تَعَـدَّا
هِـيَ تُـصْغِي فَأَشْـتَكِي مَـا أُلَاقِـي ... ثُـمَّ أَصْـغِي فَتَشْتَكِي لَـيْسَ تَهْـدَى
فَهْـيَ مِنِّـي وَكُـلُّ مَـا بِـي مِـنْهَا ... مِـنْ صُـدُودٍ وَكُـلُّ مَـا قَـدْ تَـصَدَّى
وَتَــرَاهَا إِذَا تَــرَنَّمَ حَــادٍ ... بِــرُبَاهَا تَــذُوبُ شَــوْقاً وَوَجْــدَا
لا تَلُمْهَــا إِذَا بَــدَتْ بِحَنِــينٍ ... وَأَنِــينٍ (يُقَــدِّدُ) القَلْــبَ قَــدّاً[1]
فَلَهَــا مَعْهَــدٌ قَــدِيمٌ وَأُنْــسٌ ... لَـيْسَ يُنْـسَى وَإِنْ تَطَـاوَلَ عَهْـدَا
وَلَهَــا فــي المَقَــرِّ مَقْعَـدُ صِـدْقٍ ... فـيهِ ضَـمَّت أَوْصَـالَ مَوْلَـى وَعَـبْدَا[2]

❁❁❁

فصل

اعلم أنَّ الرُّوح والجسد لمَّا كانا غـريبَيْن دُعيا مـن دار غـربتهما إلـى دار قربتهما، ومن محلِّ وَحشتهما إلى محلِّ أُنسهما، ومن ظلمة أنفسهما إلى حضرة قُدْسهما بتصريح: ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾[3]، ثمَّ أعلمهما قربَ المُنْزَلِ وسرعة المُنقلب بتلويح: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[4]، فاتَّفقا

---

(1) في (ع): (يقد)، وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (و).

(2) في البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55].

(3) يونس: 25.

(4) غافر: 39.

على قطع مَفازة[1] الغربة لِمَا بينهما من النِّسبة ولقد أحسن من قال:

[الطويل]

(أَجَارَتَــنَا)[2] إِنَّــا غَــرِيبَانِ هَــا هُــنَا وَكُـــلُّ غَــرِيبٍ لِلْغَــرِيبِ نَــسِيبُ[3]

ثمَّ اصطلحا على جمع زاد يقطعان به مسافة الطَّريق، ويصلان به إلى ذلك الفريق، فوجدا من مشقَّة مسافة الطَّريق، ما أفضى بهما إلى التَّمزيق، وصبرا على ظمأ الهَواجر حتَّى (بلغت)[4] القلوب الحناجر[5]، وصابرا على قيام اللَّيل/**70**/ ومالا على نفوسهما كلَّ الميل، فتارة يَطرُقهما من مكان الخوف طارق، فتجري الدُّموع السَّوابق، وتارة يبرق لهما من أُفُق الرَّجاء بارق، فيستريح إليه العاشق، وتارة يخفِق لهما من عرق القَبول خافق، فيسكن القلب الخافق، فما زالا بين انتهاض ونشاط، وانقباض وانبساط، حتَّى طويا هذا البساط، ووافيا عقبة الموت الَّتي لا يُعلم منها إلى أين الانحطاط، فتهيَّأ الرُّوح للفراق، وعزما إلى الانطلاق، ﴿**إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ**﴾[6].

فقال له الجسد وهو في السِّياق: أيُّها الخليل أهنا يَترك الخليلُ خليلَه، وقد حلَّ به ما لا يندفع بحيلة، وما كانت أيَّام الصُّحبة إلَّا قليلة؟

فقال له الرُّوح: إنَّما أسبقك إلى النُّزُل الأوَّل، وما عليه المعوَّل، فأُمَهِّدُهُ بما معي من الزَّاد، وأُهيِّئُهُ بما أعددتُ من الصَّلاح والفسَاد، ثمَّ أعود إليك أيُّها الجسد،

---

(1) **المفازة**: البرية لا نبات فيها ولا ماء، وتجمع على مَفاوِز، وسميت مفازة وهي مهلكة من باب التَّفاؤل، لأنَّ من خرج منها فاز. (لسان العرب: 553/1).

(2) في (ع): (أجارتي)، والمثبت من: (و) كما في ديوان امرئ القيس (ديوانه: 32).

(3) البيت لامرئ القيس، وقبله:

أَجَارَتَـــنَا إِنَّ الخُطُـــوبَ تَـــنُوبُ وَإِنِّـــي مُقِـــيمٌ مَـــا أَقَـــامَ عَـــسِيبُ

(4) في (ع): (بلغ).

(5) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: 10، 11].

(6) القيامة: 30.

فلا نفترق بعدها إلى الأبد.

فتنطلق الرُّوح مع الدَّاعِي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1]، ويعود الجسد إلى منزل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[2]:

[الوافر]

خُلِقْتُ مِنَ التُّرَابِ فَصِرْتُ حَيّاً وَعُلِّمْتُ الفَصِيحَ مِنَ الخِطَابِ

وَعُدْتُ إِلَى التُّرَابِ فَصِرْتُ مَيّتاً كَأَنِّي مَا بَرِحْتُ مِنَ التُّرَابِ

(خُلِقْتُ مِنَ التُّرَابِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَأَرْجِعُ بِالذُّنُوبِ إِلَى التُّرَابِ)[3]

فإذا جاء بشيرُ النُّشور[4] ونُفخ في الصُّور[5]، تباشر/**71**/ أهل التَّوحيد، بيوم الوعيد، فهنالك يُقال للرُّوح: عُد إلى جسدك المعهود، وهلمَّ إلى مَنْهَلِكَ المَوْرود، وظلِّك الممدود، ومقامِك المحمود، وحبيبِك المشهود، فتلقى الرُّوحُ الجسدَ لقاء الغائب لغيابه ويتعانقان تعانق المحبوب لأحبابه، ويتشاكيان ما لقيا من أَوْصابهما[6] ومصابِهما واكتسابِهما في اغترابِهما ثمَّ يقال لهما: انطلقا إلى عرصة المَجْمَع، ومحشر الخلائق أجمع، فثمَّ عدل يخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، وبما شاء بعبده يصنع.

---

(1) الفجر: 27 - 28.

(2) طه: 55.

(3) غير وارد في: (خ).

(4) **النُّشور**: من النَشر، يقال نشر الميت ينشر نشورا أي بعث بعد الموت، ومنه يوم النشور وهو مراد المؤلف.

(5) **الصُّور**: قرن ينفخ فيه المَلَك يوم القيامة، ويسمى أيضا الناقور، وفي كلامه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73]، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾[الكهف: 99]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾ [طه: 102]، و[المؤمنون: 101]، و[النمل: 87]، و[يس: 51]، و[الزمر: 68]، و[ق: 20]، و[الحاقة: 13 - 15]، و[النبأ: 18].

(6) **الأَوصاب**: مفردها وَصَبٌ وهو المرض. (القاموس المحيط: 181/1).

فإذا قدم الأترابُ من سفرة التُّراب، نادى الحبيب بالأحباب: حدِّثوني ما حلَّ بنفركم في سفركم يا معشر الغياب؟

فيقول لسان الحال في الجواب، قال صاحب الكتاب: ولم أستعر في كتابي هذا لغيري غير هذه الثَّلاثة أبيات، وبيتين مفردَيْن قبلها في هذا الباب، وقد عملت عليهما بقولي، فللّه درُّ القائل:

[الطويل]

إِذَا حَلَّتْ فِيكَ المَكَارِهُ وَانْتَهَتْ — إِلَى أَنْ تَرَاكَ العَيْنُ صَارَتْ مَحَامِدَا

وَإِنْ بَلَغَتِ الصَّبَابَةُ جَهْدَهَا — وَأدنَتْ إِلَى رُؤْيَاكَ عَادَتْ فَوَائِدَا

وَمَا سَفْرَةٌ أَدِنَتْ إِلَيْكَ بَعِيدَةً — وَلَوْ أَفْنَتِ الأَيَّامُ مَنْ كَانَ قَاصِدَا

أيُّها الحزين علينا، كيف وصلتَ إلينا؟

قال: ركبتُ جواد توكُّلي عليك، واشتياقي إليك، فما أنزلني إلَّا بين يديك.

أيُّها الخائف من الفَوْت، كيف وجدتَ الموت؟

فقال: وجدتُ وصلَه/72/ مغايراً لصدِّه، وقربَه مناقضاً لبعده، وعرفتُ الشَّيء بضدِّه، ففررتُ من دار قوم لا يأمنون منكره، إلى دار قوم لا يحزنهم الفَزَعُ الأكبر[1].

وأنت أيُّها الرَّاجي، كيف علمتَ أنَّك ناجٍ؟

فقال: ثقتي بفضلك أمَّنتني من عذابك؛ لأنَّ كتابَ الفضل سابق، وجوَّادَ الجود سابق، فكيف لا أرجو أن أنجو وأنا برحمتك واثق.

ويا أيُّها الزَّاهد، كيف عهدك بتلك المعاهد؟

فقال: سمعتُه يقول: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ**﴾[2]، فتركتُ ما عندي لما عنده ثمَّ غمَّضتُ عيني عن الفاني، فما فتحتُها إلَّا على الباقي.

يا أيُّها المحبُّ لنا، كيف كان اتِّصالك بنا؟

---

(1) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: 103].

(2) النحل: 96.

فقال: وهل كانت إلَّا شربة شرِبتها في حضرة ﴿**يُحِبُّهُم**﴾ فسكِرتُ بها في حانة ﴿**يُحِبُّونَهُ**﴾ فما أفقتُ من ذلك المشروب، إلَّا بمشاهدة المحبوب.

فأنت أيُّها الذَّاكر ماذا جرى لك؟

فقال: غبتُ في لذَّة ذكره، فلمَّا حضرتُ إذا أنا في حضرة المذكور.

فأنت أيُّها الفقير كيف وصلت، وفي شبكتنا حصلت؟

قال: هتف بي هاتفُ: ﴿**وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ**﴾[1]، فاستغرقتني لذَّةُ هذا الكلام، فما أفقتُ إلَّا في دار السَّلام بمنادي: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ**﴾[2].

وأنت أيُّها العارف، كيف عرفتَ سبل المعارف؟

قال: سمِعتُ منادي: "**من أَتاني يمشي أتيتُه هَرْولةً**" فأخذني شبه الوله فتنكَّرتُ الأغيار، وما سكنتُ إلى قرار، وطلبتُ الجار/73/ قبل الدَّار[3]، فمشيتُ إليه على أقدام صدق طلبي له، فما فتحتُ عيني إلَّا ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾[4].

وأنت أيُّها الصُّوفي صف لنا صفوة حالك، في ارتحالك؟

قال: دعوةٌ دُعيتُها في سماع: ﴿**أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ**﴾[5]، فما استَتْمَمْتُ: لبَّيك حتَّى قال لي: أنا ناظر إليك، ومُتجلٍّ عليك.

ثمَّ يقال: يا أهل التَّخلُّف ما هذا التَّوقُّف؟ اليومَ يُؤخَذُ بالنَّواصي من عَمِلَ

---

(1) يونس: 25.

(2) الحجر: 46، ق: 34.

(3) في الأثر: "الجار قبل الدار"، جمهرة الأمثال للعسكري: 219، والجار يصح بالرفع والنصب، قال اليوسي: «روي هذا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**الجار قبل الدَّار والرَّفيق قبل الطريق**". ويروى: الجار والرفيق مرفوعين والنَّصب فيهما حسن، أي: التمس الجار قبل الدار والتمس الرَّفيق قبل الطريق. وقال أبو تمام في هذا المعنى:

مَـنْ مُـبلغٌ أَفْـناءَ يَغْـرُبَ كلَّهـا ... أنـي ابْتَنَـيْتُ الجـارَ قـبلَ المنـزلِ؟»

(زهر الأكم: 2/85).

(4) القمر: 55.

(5) الأحقاف: 31.

بالمعاصي[1]، (فقدِّما)[2] ما قدَّمتم، وقولوا لنا بأيِّ وجه قَدِمتم؟ فيرتفع الصِّياح، ويكثر النُّواح، ثمَّ يقولون: الآن فاتنا رفيق الصَّلاح، فما لنا عن باب رحمتك من بَراح، وما لنا غير حسن ظنِّنا بك من سلاح، ولا لظلمة معاصينا غير نور عفوك من مصباح، فيأتيهم الجواب من باب السَّماح: ﴿**لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[3]، شعر في المعنى:

[الكامل]

يَـا قَلْـبُ لَا يُـؤْذِي بِـكَ الخَفَقَـانُ	رَضِـيَ الحَبِـيبُ وَوَاصَـلَ الغَـضْبَانُ
وَصَـفَتْ أُوَيْقَـاتُ الـسُّرُورِ بِوَصْـلِهِ	فَعَلَـيْكَ فـي حُكْـمِ الهَـوَى شُـكْرَانُ
الـيَوْمَ تَنْـسَخُ بَيْنَـنَا مِـنْ بَيْنِـنَا	لَا الـصَّدُّ يُخْشَى (لَا) وَلَا الهِجْـرَانُ[4]
تِلْكَ الـصَّحَائِفُ بِالعِتَابِ قَدِ انْطَوَتْ	لَمَّـا مَحَاهَـا العَفْـوُ وَالغُفْـرَانُ
فَلَـرُبَّمَا يَخْـبُو الـزِّنَادُ وَرُبَّمَـا	يَكْـبُو الجَـوَادُ وتَعْثُـرُ الفُرْسَـانُ[5]
لا يُـبْعِدَنَّكَ عَتْبُـنَا عَـنْ بَابِـنَا	فَالعَهْـدُ بَـاقٍ وَالـوِدَادُ مُـصَانُ /74/
لا (تُكْحِلَـنَّ) بِغَيْـرِ نُـورِ جَمَالِـنَا	إِنْـسَانَ عَيْـنِكَ أَيُّهَـا الإِنْـسَانُ[6]
فَبِحُـسْنِنَا وَبِلُطْفِـنَا وَبِوَصْـلِنَا	شَـاعَ الحَـدِيثُ وَسَـارَتِ الـرُّكْبَانُ
فَـإِذَا ذَلَلْـتَ لِعِـزِّنَا ذَلَّـتْ لِعِـزْ	زَتِـكَ المُلُـوكُ وَهَابَـكَ الـسُّلْطَانُ
فَاخْـضَعْ وَذُلَّ لِمَـنْ تُحِـبُّ فَإِنَّـهُ	حَكَـمَ الهَـوَى أَنْ تَخْـضَعَ الـشُّجْعَانُ
يَـا مَعْـشَرَ العُـشَّاقِ دُونَكُـمُ الـسِّبَا	قُ فَهَـذِهِ الـشَّقْرَاءُ وَالمَـيْدَانُ

❁❁❁

(1) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: 41].

(2) في (ع): (قدما)، والمثبت من: (ب) و(د).

(3) الزمر: 53.

(4) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) و(د).

(5) **الزِّناد**: مفرده زَنْد، والزَّند والزَّندة خشبتان يستقدح بهما. (لسان العرب: 196/3).

(6) في (ع): (تكحل)، وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (ب) و(د).

فصل

فاعلم (أنَّ سبب)[1] ما أشرتُ إليه من أحوال القوم وانتقالهم من (هذه الدَّار)[2]؛ أنَّا نحن ننتقل من أوَّل خلقنا إلى أن يستقرَّ بنا المنزل في ستَّة أسفار:

السَّفر الأوَّل: سفر (السُّلالة)[3] من الطِّين.

السَّفر الثَّاني: سفر النُّطفة من الصُّلب إلى الرَّحم.

السَّفر الثَّالث: سفر المولد من الرَّحم إلى الدُّنيا.

السَّفر الرَّابع: سفر من الدُّنيا إلى القبر.

السَّفر الخامس: من القبر إلى المَوْقف والعَرْض.

السَّفر السَّادس: من المَوْقف إلى إحدى المنزلَيْن؛ إمَّا الجنَّة وإمَّا النَّار ثمَّ يستقرُّ بك المنزل، فعلِمت أنَّك في الدُّنيا غريب أو عابر سبيل.

فأمَّا أهل اليقظة فشمَّروا حين سمعوا: ﴿**وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ**﴾[4]، فهم في لذَّة هذا السَّماع يشغلهم شوقهم، ويقلقهم (توقهم)[5]، عن التَّمتُّع بالدُّنيا وزينتها (بمعزَلٍ)[6]، هِمَمُهُم في مَطلوبهِم، (وراحتهم)[7] في ذكر محبوبهِم، فأبصارهم مُنزَّهة في مُلْكِه، وبصائرُهم تجول في مَلَكوته، وسرائرُهم/75/ تجول حول حمى جَبَروته لا يريدون إلَّا هو، ولا يرضون إلَّا به، ولا يطلبون إلَّا منه، ولا يسمعون إلَّا عنه، ولا يشتاقون إلَّا إليه، إن ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا، وإن وجدوه صاحوا، وإن شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرة قربه ساحوا.

فشهودُهم له بلا حجاب، ووِصالُهم له بلا انقطاع، وسكرُهم به بلا صَحو

---

(1) في (ب) و(د): (ثبت).

(2) في (ب) و(د): (هذه الدار وتلك الدار).

(3) في (ع): (السلامة)، والمثبت من: (د)، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ [المؤمنون: 12].

(4) يونس: 25.

(5) في (ع): (وثوقهم)، والمثبت من: (س).

(6) غير وارد في: (ع)، والإضافة من: (س).

(7) في (ع): (واحتهم)، والمثبت من: (و).

قد استصحبت قلوبهم، ودَرَأَت أحزانَهم لذَّةُ خطابه الأوَّل في يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]، فصار ذلك كامناً في طَوايا سرائرهم ومعاني صورهم، فإذا سَمِعوا مُذكِّراً أو منشداً أو صائحا، أو نائحاً أو بائحا، استثار ذلك السِّرَّ الكامن فيهم، فيُذكِّرهم ذلك العهد الأوَّل، فتارة يَئِنُّوا، وتارة يَحِنُّوا[2].

فإذا غلبهم الوَجد بغليانه، وشَرِبوا من موارد وارداته، **فَمنهم** من طرقته طَوارق الهَيْبة (فخمد)[3] وذاب، **ومنهم** من برقت له بوارق اللُّطف فتحرَّك وطاب، **ومنهم** من طلعت له طوالع الحبِّ من مطالع القرب، فسكِر وغاب.

فإذا رجعوا من وَجْدهم إلى وُجودهم، ناقشهم لسانُ الحال، على تلك الأحوال، **فقيل** للصَّائح: لم صِحت؟ وللنَّائح: لم نُحت؟ وللبائح: لم بُحت؟ وللمضطرب لم اضطربت؟ ولمن مزَّق: لم مزَّقت؟ ولمن صَفَّق: لم صَفَّقت؟ ولمن تحرَّك: إلى من تشوَّقت؟

فقال الصَّائح: كيف لا يصيح من قلبُه في قبضة مُنْتَهِبِه ثمَّ لا يدري ما يَفعل به؟ /**76**/.

وقال النَّائح: كيف لا ينوح من الموت في طلبه، وهو رَهْن منقلبه؟

فقال البَائح: ليس من هو في طلبه، كمن هو في حربه، أمَّا أنا فأبوح بما أوليتُ من وجود موجدي ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4]، قيل له: فاضطرابك لنقر الدُّفِّ ونفخ الشَّبابة [5] لماذا؟

قال: تذكَّرتُ بنقرة: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾[6]، وبنفخة الشَّبابة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي

---

(1) الأعراف: 172.

(2) ونحو هذا الكلام قول رويم (ت: 303هـ): «إنَّ القومَ سمِعوا الذِّكرَ الأوَّلَ حين خاطبهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُم﴾، فكمُن ذلك في أسرارهم كما كَمُنَ كونُ ذلك في عقولهم، فلمَّا سمِعوا الذِّكرَ ظهرت كَوَامِنُ أسرارهم، فانزعجوا، كما ظهرت كَوامِنُ عقولهم عند إخبار الحقِّ لهم عن ذلك، فصدَّقوا». (التعرف: 178).

(3) في (ع): (جمد)، والمثبت من: (ب).

(4) الضحى: 11.

(5) **الشبابة**: الزمارة وتسمى أيضا اليراعة. (تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: 294/4).

(6) المدثر: 8.

الصُّورِ﴾[1]، وبنغمة الحادِي: ﴿**يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ**﴾[2].

ثُمَّ قيل لمن مزَّق: لم مزَّقت؟

قال: إشارة إلى تمزيق الحُجُب، وظُهور المَحجوب، ورفعِ الأستار وكشف الغُيوب.

ثُمَّ قيل: لم صفَّقتَ؟

قال: إشارة إلى نَيل المطلوب، والتقاء المحبِّ بالمحبوب.

قيل: فلم تحرَّكتَ؟

قال: سمِعتُ داعِيَ الحبيب يقول: "**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيب**"[3]،

[البسيط]

فَقُمْتُ أَسْعَى عَلَى رَأْسِي وَحُقَّ لِمَنْ ... دَعَاهُ مَوْلاهُ أَنْ يَسْعَى عَلَى الرَّاسِ[4]

مَا فِي التَّوَاجُدِ إِنْ حَقَّقْتَ مِنْ حَرَجٍ ... وَلا التَّمَايُلِ إِنْ أَخْلَصْتَ مِنْ بَاسِ

إِنَّ السَّمَاعَ صَفَاءُ نُورِ صَفْوَتِهِ ... يُخْفَى وَيُحْجَبُ عَنْ مَنْ قَلْبُهُ قَاسِي

نُورٌ لِمَنْ قَلْبُهُ بِالنُّورِ مُنْشَرِحٌ ... نَارٌ لِمَنْ صَدْرُهُ نَاووسُ وَسْوَاسِ[5]

رَاحٌ وَكَاسَاتُهَا الأَرْوَاحُ فَهِيَ عَلَى ... قَدْرِ الكُؤوسِ تُرِيكَ الصَّفْوَ فِي الكَاسِ

---

(1) المؤمنون: 101، والحاقة: 13.

(2) ق: 41.

(3) أخرج البزار في مسنده، الحديث: 8450، "عَن أبي هُرَيرة، قال: قال رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم: **"لولا أن أشق على أمتي لأَمرتهم بالسِّواك عند كل صلاة ولأخرت صلاة العشاء إلى ثلث الليل الأول - أو إلى النِّصف الشك من عُبَيد الله - فإن الله تبارك وتعالى إذا ذهب ثلث الليل الأول، أو نصفه، ينزل إلى السَّماء الدُّنيا فينادي هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له، أو سائل فأعطيه حتَّى يطلع الفجر**".

(4) في معنى البيت يقول ابن سناء الملك:

متى أراني واطئا بساطه ... أسعى برأسي فوقه لا رجلي

(5) في (و): (ناقوس) وهو تحريف، والنَّاووس: صندوق من خشب يضع النَّصارى فيه جُثَّة الميت، ويطلق أيضا على مقابر النَّصارى. (المعجم الوسيط: 63/7). والوَسواس: الشَّيطان، وكل ما يحدّث به. (لسان العرب: 254/6). ومعنى البيت: أن السَّماع نور لمن قلبه منشرح بالنُّور، ونار لمن صدره قبر للشَّيطان ولوساوسه.

حَـادٍ يُذَكِّـرُهُ العَهْـدَ القَـديم وَإنْ تَقَـادَمَ العَهْـدُ، مَـا المُـشْتَاقُ كَالنَّاسِـي
فَلَـيْسَ عَـارٌ إذَا غَنَّـى لَـهُ طَـرَباً بِـأَنْ يَحِـنَّ وَلا يَخْـشَى مِـنَ الـنَّاسِ

❁❁❁

فصل

واعلم أنَّه تحتَّم هنا ووجب ذكر السَّماع، وما هو منه محظور وما هو مباح وما هو مستحبٌّ ومستحسن، فإنَّ كثيراً من المتعمِّقين والمتقشِّفين كرَّهوه وأنكروه/77/ أصلا وفرعا، وحقيقة وشرعا، وهذا غلط منهم؛ لأنَّ ذلك يُفضي إلى تخطئة كثير من أولياء الله تعالى وتفسيقِ كثيرٍ من العلماء؛ إذ لا خلاف أنَّهم سمعوا (الغناء)[1] وتواجدوا وأفضى بهم إلى الصُّراخ والغَشيَّةِ والصَّعْق[2]، فكيف يُنسب إليهم نقص وهم سالكون أتمَّ الأحوال؟

وإنَّما يحتاج ذلك إلى تفصيل ونظر في أحوال أهل السَّماع واختلاف طبقاتهم، فمن صحَّ فهمُه وحَسُنَ قصدُه، وصقلت الرِّياضة مرآةَ قلبه، وجلت نسمات العزيمة فضاءَ سرِّه، فصفا من تصاعد أكدار أرض طبيعته، وبخار بشريَّته وخيالات وَسْواسه، وعري عن حظوظ الشَّهوات، وتطهَّر من دَنَس الشُّبهات، فلا نقول إنَّ سماعه حرام وفعله ذلك خطأ.

قال أبو طالب المكِّي رضي الله عنه: «إنَّ من طعن في السَّماع فقد طعن في سبعين صِدِّيقا»[3].

وسُئل الشبلي رضي الله عنه عن السَّماع، فقال: «ظاهره فتنة، وباطنه عِبرة، فمن عرف الإشارةَ حلَّ له السَّماع، وإلَّا فقد استدعى الفتنة وتعرَّض للبليَّة»[4].

ومعلوم أنَّ السَّماع مُهيِّج لما في القلوب محرِّك لما فيها، فلمَّا كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله تعالى صافية من كَدَر الشَّهوات محترقة بحبِّ الله فليس فيها

---

(1) في (خ): (الغنى).

(2) **الصعق**: قال ابن منظور: «أَن يُغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيراً». (لسان العرب: 198/10).

(3) نقله ابن تيمية في الاستقامة: 299/1.

(4) إحياء علوم الدين: 292/2، والاستقامة: 403/1.

سوى الله، فالشَّوق والهَيَجان والقلق كامن في قلوبهم كَكُمون النَّار في الزِّناد، فلا يظهر إلَّا بمصادفة ما يُشاكلها/78/، فمُراد القوم في ما يسمعونه إنَّما هو ما يُصادف ما في قلوبهم، فتستثير بصدمة طُرُوقه وقوَّة سلطانه، فتعجز القلوب عن الثُّبوت عند اصْطلامه، فتنبعث الجوارح بالحركات والصَّرخات والصَّعقات[1] لثوران ما في القلوب لأنَّه يُحدث فيها شيئا.

وقال أبو القاسم الجُنيد رحمه الله تعالى: «السَّماعُ لا يُحدث في القلب شيئا، وإنَّما هو مُهيِّجٌ لما فيه»[2]، فتراهم يَهيجون من حيث وَجْدُهم، وينطقون من حيث قصدُهم، ويتواجدون من حيث كامناتُ سرائرهم لا من حيث قولُ الشَّاعرِ ومُرادُ القائل، ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأنَّ الفهم يسبق إلى ما يتخيَّله الذِّهن.

وشاهد ذلك ما حُكي أنَّ أبا سليمان الصُّوفي سمِع رجلا يطوف وينادي: «يَا سَعْتَرَ بَرِّي» فسقط وغُشي عليه، فلمَّا أفاق قيل له في ذلك قال: سمعته يقول: «اسْعَ تَرَ بَرِّي»[3]، ألا ترى أنَّ وَجده وحركته من حيث ما هو فيه من وقته ووَجده لا من حيث قول القائل وقصده.

وكما رُوي عن بعض الشُّيوخ أنَّه سمع قائلا يقول: «الخِيار عشرة بحبَّة، فغلبه الوَجْدُ فصاح، فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبَّة فما قيمة الأشرار؟»[4].

فالمحترق بمحبَّة الله لا تمنعه الألفاظ الكثيفة من فهم المعاني اللَّطيفة، لم

---

(1) لم نقف على هذا الجمع في معاجم اللغة، والمعروف جمع صعقة على صواعق.

(2) نحو هذا قول أبي سليمان الدَّاراني (ت: 215هـ): لما سئل عن السَّماع «قال: كلُّ قلب يريد الصَّوتَ الحسن فهو ضعيف، يُدارى كما يُدارى الصَّبيُّ إذا أُريد أن يُنَوَّم. ثمَّ قَال: الصَّوت الحسن لا يُدخل في القلب شيئا، إنَّما يُحرِّك منَ القلب ما فيه». (الرِّسالة القشيرية: 340، وطبقات الأولياء: 64/1).

(3) إحياء علوم الدين: 282/2، ومدارج السالكين: 413/2.

(4) إحياء علوم الدين: 282/2، ونحو هذا أيضا ما ورد في الرِّسالة القشيرية: 340 قال: «سمع الشبلي قَائلاً يقول: الخِيار عشرة بِدَنْقٍ، فصاح وقال: إذا كان الخيار عشرة بدانَقٍ فكيف الشِّرار؟».

يكن واقفاً مع صوت نغمة ولا مشاهدة/79/ صورة.

فمن ظنَّ أنَّ السَّماع يرجع إلى رقَّة المعنى وطِيب النَّغمة، فهو بعيد عن السَّماع، وإنَّما السَّماع حقيقة ربَّانية، ولطيفة روحانية تسري من السَّميع المُسمع إلى الأسرار، بلطائف التُّحف والأنوار، فتمحقُ من القلب ما لم يكن، وتُبقي فيه ما لم يزل، فهو سماع حقٍ بحقٍ من حقٍ. وأمَّا الانزعاجُ الَّذي يلحق المتواجد فهو ضعف حاله عن تحمُّل الوارد؛ وذلك لازدحام (أنوار)[1] اللَّطائف في دخول باب القلب، فيلحقه دهش فينبعث بجوارحه ويستريح إلى الصَّرخة والصَّعقة والشَّهقة لغلبة وَجده وقهر وارده، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات، وأمَّا أهلُ النِّهايات فالغالب عليهم السُّكون والثُّبوت لانشراح صدورهم، واتِّساع سرائرهم للوارد عليهم، فهم في سكونهم مُتحرِّكون، وفي ثبوتهم مُتقلِّبون.

وقيل لأبي القاسم الجنيد: «ما لنا لا نراكَ تتحرَّك عند السَّماع؟

قال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[2]»[3].

وقيل له: وما معنى السَّماع؟ وما بال من سَمِعَ يكون ساكناً قبل السَّماع، فإذا سَمِعَ اضطرب وتحرَّك؟ فقال: «السَّماعُ تِذْكارُ خطابِ الرُّوحِ من (الميثاقِ)[4] الأوَّل حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[5]»[6]، فَسَمِعَ من سَمِعَ كلامه حين لا حدّ ولا رَسم ولا صفة إلَّا المعنى الَّذي سَمِع، فبقيت حلاوة ذلك السَّماع/**80**/ في أذهانهم، فلمَّا أخرجهم وردَّهم إلى الدُّنيا ظهر ذلك فيهم، فإذا سمعوا نغمةً طيِّبةً وقولاً حسناً طارت قلوبهم إلى ذلك الأصل فسمعوا من الأصل، وأشاروا إلى الأصل.

فالعارف هو الَّذي سمع من الله، ومن لا يعرف اللهَ كيف يسمع من الله؟ ومن لا يسمع من الله فالبهيمةُ خير منه.

---

(1) في (ع): (الوارد)، والمثبت من: (و).

(2) النمل: 88.

(3) اللُّمع، للطوسي: 366 - 367، وإحياء علوم الدين: 303/2.

(4) في (ع): (الميقات)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د) وكذا الرسالة القشيرية: 332.

(5) الأعراف: 172.

(6) الرسالة القشيرية: 332 - 333.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1].

وقال أبو عثمان المغربي[2]: «منِ ادَّعى السَّماع ولم يسمع من صوت الطُّيور وصريرِ الباب وتَصفيقِ الرِّياح، فهو مغترٌّ مُدَّع، فالعارفُ يسمع ألطفَ الإشارات من أكثف العبارات»[3].

ودخل يوما أبو عثمان المغربي وواحد يسقي الماء من بئر على بكرة فتَواجد فقيل له في ذلك، فقال: إنَّها تقول: الله الله[4].

وسمع علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه صوت ناقوس، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا.

قال: إنَّه يقول: سبحانَ الله حقّاً حقّاً، إنَّ المولى صمدٌ يبقى[5] حقّاً حقّاً صدقاً صدقا، إنَّ الدُّنيا قد غرَّتنا واستهوتنا واستغوتنا وأشغلتنا، يا فاني الدُّنيا تفنى تفنى الدُّنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنَّا إلَّا يهوى منَّا رُكنا.

وسمع أيضاً قوسَ قطَّانٍ فقال لأصحابه: أتدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا، قال: هو يقول: هَبْكَ إن أنت عشت عُمُرَ نُوحٍ أو ضِعف ضِعف ذلك ألست بعد تموت؟ فَتِقْ تِقْ تِق.

ومرَّ/**81**/ الشبلي يوماً بفقَّاعي[6]، فسمعه يقول: ما بقي إلَّا واحد. فصاح صَيحة وقال: وهل كان إلَّا واحد؟

---

(1) الأعراف: 179.

(2) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي من أكابر الصوفية، توفي بنيسابور سنة 373 هـ. (الرسالة القشيرية: 62).

(3) الرسالة القشيرية: 333، والاستقامة: 412/1.

(4) الرسالة القشيرية: 339، ومدارج السالكين: 412/2.

(5) الكواكب الدرية: 165/1.

(6) **الفقَّاعي**: بائع الفقْع، والفَقْع بفتح وكسر الفاء الرَّخو من الكَمْأة وهو أردؤها والجيد ما حفر عنه. (لسان العرب: 308/2، والقاموس المحيط: 255/8).

وقيل لبعض المشايخ من أصحاب الطَّريقة: لمن يصلح السَّماع؟

فقال: لمن لا يُفرِّق بين صرير الباب والصَّوت الطَّيِّب.

ولقد قلتُ في ذلك المعنى شعرا:

[الخفيف]

مَا اسْتِمَاعِي مِنْ ضَرَبَاتِ المَثَانِي ... بَلْ سَمَاعِي مِنْ وَارِدَاتِ المَعَانِي

خُلْوَتِي خَمْرَتِي، وَسُكْرِي فِكْرِي ... وَاسْتِمَاعِي مِنْهُ بِكُلِّ مَكَانِ

لَيْسَ فِي مَا سَمَعْتُ حَرْفٌ وَصَوْتٌ ... لا وَلا نَغْمَةٌ بَدَتْ عَنْ قِيَانِ

كُلُّ مَنْ كَانَ فِي اسْتِمَاعٍ وَوَجْدٍ ... وَاقِفاً عِنْدَ رَنَّةِ العِيدَانِ

ذَاكَ لا شَكَّ وَجْدُهُ مُسْتَعَارٌ ... مُسْتَرَدٌّ عَلَى الحَقِيقَةِ فَانِي

إِنَّمَا الوَجْدُ فِي الحَقِيقَةِ وَجْدٌ ... غَيْرُ مُسْتَخْرَجٍ مِنَ الأَلْحَانِ

فَسَمَاعُ القُلُوبِ مِنْ كُلِّ مَعْنىً ... يَتَجَلَّى بِصَفْوَةٍ لِلْجِنَانِ

فَاسْتَمِعْ مَا يَقُولُ مَرَّ اللَّيَالِي ... وَاعْتَبِرْ مَا يُشِيرُ صَرْفَ الزَّمَانِ

وَتَصَنَّتْ لِصَادِحَاتِ الغَوَادِي ... وَالبَوَادِي وَشَاهِدَاتِ العِيَانِ

وَتَلَمَّحْ تَرَى الحَقِيقَةَ تَبْدُو ... مِنْ خَفَايَا الغُيُوبِ كَالتُّرْجُمَانِ

تَجِدِ الكُلَّ إِنْ تَأَمَّلْتَ فَرْداً ... وَاحِداً لَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ ثَانِي

فَلِهَذَا صَرَفْتُ وَجْهِي إِلَيْهِ ... مَا ثَنَانِي عَنِ الطَّرِيقَةِ ثَانِي

أَنَا لِي مُسْمِعٌ إِذَا قُلْتُ سَرَى ... يَا حَبِيبِي يَقُولُ: هَا أَنَا دَانِي

يَا عَذُولِي فَخَلِّنِي وَبَلائِي ... وَهَوَايَ وَلَوْ يَكُونُ هَوَانِي

لا تَلُمْنِي إِذَا سَكِرْتُ فَحُبِّي ... قَدْ سَقَانِي مِنْ صِرْفِ صَافِي الدِّنَانِ[1]

قَطُّ مَا رُمْتُ شُرْبَةً لِظَمَائِي ... بِكُؤُوسِ الوِصَالِ إِلَّا سَقَانِي /82/

لا وَلا جِئْتُ طَالِباً لِحِمَاهُ ... أَحْتَمِي مِنْ جَفَاهُ إِلَّا حَمَانِي

واعلم أنَّه قد حضر السَّماع، وسمِعَ وما قنع بالسَّماع حتَّى كُشِف القناع، وتواجد وتحرَّك كثير من الأكابر والمشايخ والتَّابعين، وسمع من الصَّحابة رضي الله

(1) الدِّنان: مفرده دَنٌّ وهو الجرة الضَّخمة، وإذا عظم فهي خابية. (لسان العرب: 13/157).

عنهم؛ عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر وقد جاء عنه آثار في إباحة السَّماع.

وسمع ابن الزُّبير، والمُغيرة بن شعبة، ومعاوية، وغيرهم.

وممَّن قال بإباحته من السَّلف: مالك بن أنس، وأهل الحجاز أجمع يُجيزون الغناء. وأمَّا الحُداءُ[1] فأجمع الكلُّ على إباحته.

وكان ابن جرير يُرَخِّص في السَّماع فقيل له: إذا أتى بك يوم القيامة ووُزِنت سيِّئاتُك وحسناتُك، ففي أيِّ الجهتين سَماعُك؟

فقال: لا في الحسنات ولا في السَّيِّئات؛ يعني أنَّه من المُباحات[2].

وأمَّا الشَّافعي، رضي الله عنه، فإنَّه لا يُحرِّمه ويجعله في العَوَامِّ مكروهاً حتَّى لو جعل الغناء له حِرفةً وصناعةً فتردُّ به الشَّهادة، ويجعله ممَّا يُسقط المُروءة، ولا يُلحقه بالمحرَّمات.

وكان ابن مجاهد لا يُجيبُ دعوةً إلَّا إذا كان فيها سماع[3].

وقال يونس بن عبد الأعلى: سُئل الشَّافعي، رحمه الله، عن إباحة أهل المدينة السَّماع، فقال: لا أعلمُ أحداً من علماء أهل الحجاز كرَّه السَّماعَ إلَّا ما كان منه في أوصافه.

وأمَّا الحُداءُ وذكرُ الأطلال والمَرابع وتحسينُ الصَّوت وتلحينُ الأشعار فلا أراه إلَّا مُباحا.

وكان أبو مروان القاضي عنده جوار/**83**/ يُسمعن التَّلحين قد أعدَّهنَّ للصُّوفية.

وكان لعطاء جاريتان يُلحِّنان، فكان إخوانه يستمعون إليهما. وكان أبو الحسن العَسْقلاني يسمعُ ويتولَّه في السَّماع، وصنَّف فيه كتاباً ردَّ فيه على

---

(1) **الحُداء**: حَدَا الإبِلَ وَبِها حَدْواً وَحُدَاء وَحِداء زَجرها وساقها بالغناء لها برقيق الشِّعر. (لسان العرب: 408/3).

(2) الرسالة القشيرية: 328، وإحياء علوم الدين: 270/2. وقال بعد «ولا في السيئات»: «لأنه شبيه باللَّغْو وقال الله تعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾».

(3) إحياء علوم الدين: 269/2.

مُنكريه، وكذلك صنَّفوا كُتباً في الرَّدِّ على مُنكريه.

وحُكي عن بعض المشايخ أنَّه قال: «رأيتُ أبا العبَّاس الخَضِر عليه السَّلام فقلتُ له: ما تقول في هذا السَّماع الَّذي اختلف فيه أصحابنا؟

فقال: هو الصَّفا الزُّلال الَّذي لا يثبت عليه إلَّا أقدام العلماء»[1].

وحُكي عن مَمْشاد الدَّينوري[2] رضي الله عنه قال: «رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في النَّوم فقلت: يا رسولَ الله هل تنكر من هذا السَّماع شيئا؟ فقال: ما أنكر فيه شيئا، ولكن قل لهم يفتتحون قبلَه بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن، فقلتُ: يا رسول الله إنَّهم يُؤذونني ويتسلَّطون علي، فقال: احتملهم يا أبا علي فإنَّهم أصحابك، فكان مَمْشَاد يفتخر بها ويقول: (كَنَّانِي)[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم»[4].

وروى أبو طاهر بن بُلبل الهمداني الورَّاق، وكان من أهل العلم والفضل، قال: «كنتُ مُعتكفاً في جامع جدَّة على البحر، فرأيتُ يوماً طائفة يقولون في جانب منه قولا ويُسمعون، فأنكرتُ ذلك بقلبي، فقلتُ في بيت من بيوت الله تعالى يقولون الشِّعر، قال: فرأيتُ رسول الله صلَّى الله عليه/**84**/ وسلَّم في تلك اللَّيلة وهو جالس في تلك النَّاحية وإلى جانبه أبو بكر الصِّديق، رضي الله عنه، فإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنَّبي صلى الله عليه وسلم يسمع منه ويضع يده على صدره كالمُتَواجد بذلك، فقلتُ في نفسي ما كان ينبغي لي أن أُنكر على أولئك القوم الَّذين كانوا يُسمعون، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (يستمعُ)[5] وأبو بكر إلى جانبه يقول، فالتفت إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هذا حقٌّ بحقٍّ، أو قال: حقٌّ

(1) إحياء علوم الدين: 270/2، ومن قوله: «وكان أبو مروان»، إلى قوله: «أقدام العلماء». منقول منه.

(2) هو ممشاد الدينوري من كبار مشايخ الصوفية، توفي سنة 299 هـ. (الرسالة القشيرية: 52، والطبقات الكبرى، للشعراني: 101/1 - 102).

(3) في (ع): (كفاني)، والمثبت من: (و) و(د).

(4) إحياء علوم الدين: 270/2، والوارد فيه إلى قول ممشاد: «ويختمون بعده بالقرآن».

(5) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و)، وإحياء علوم الدين: 108/2.

من حقٍّ، شكَّ الرَّاوي في ذلك»[1].

وقال أبو طالب المكِّي رضي الله عنه في كتابه بإسناده أنَّ رجلا دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يَقرأون القرآن، وقوم يُنشدون الشِّعر، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله قرآن وشعر؟ فقال: "من هذا مرَّةً ومن هذا مَرَّة".

وقد روى القُشيري في "رسالته" عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن عائشة، رضي الله عنها، «أنَّها أنكحتْ ذا قرابتها، يعني امرأةً من الأنصار، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: أهديتم الفتاة؟ فقالت: نعم، قال: ألا فأرسلْتِ من يغنِّي؟ فقالت: لا. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الأنصار فيهم غَزَلٌ ولو أرسلتم من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيَّانا وحيَّاكم»[2].

ورُوي أنَّ رجلا أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

أَقْبَلَتْ فَلَاحَ لَهَا عَارِضَاً كَالسَّبَجِ /85/
أَدْبَرَتْ فَقُلْتُ لَهَا وَالفُؤَادُ فِي وَهَجِ:
هَلْ عَلَيَّ، وَيْحَكُمَا، إنْ عَشِقْتُ مِنْ حَرَجِ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حرج إن شاء الله»[3].

❁❁❁

فصل

واعلم أنَّ السَّماع إنَّما هو عبارةٌ عن الأصوات الحسنة والنَّغمات المُطربة يصدر عنها كلام موزون ومفهوم، فالوصف الأهمُّ في السَّماع إنَّما هو الصَّوت الحسن والنَّغمة الطَّيِّبة، وهو مُنقسم إلى قسمَيْن: مفهوم كالأشعار، وغير مفهوم كأصوات الجمادات، وهي المزَاميرُ كالشَّبابة وغيرها من أصوات الطُّيور المُطربة، ولا قائل بتحريم الصَّوت الطَّيِّب المُطرب من حيث هو صوت إلَّا ما جاء النَّصُّ بتحريم سماعه كالأوتار والملاهي.

---

(1) إحياء علوم الدين: 270/2.
(2) الرسالة القشيرية: 330.
(3) الرسالة القشيرية: 330.

وأمَّا الصَّوت المطرب بالشِّعر المَوْزون المفهوم، فقد صحَّت الأخبار، وتواترت الآثار بإنشاد الأَشعار بالأصوات الطَّيِّبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يضع لحسَّان[1] مِنبراً في المسجد يقوم عليه ويُفاخر عن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إنَّ اللهَ يُؤيِّدُ حسَّاناً بروح القُدُس ما نافح وفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**"[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسَّم، ولمَّا أنشده النَّابغة[3] شعرَه قال: "**لا يَفْضُضِ اللهُ فَاكَ**"[4].

وأُنشد بين يدي رسول الله صلَّى الله/86/ عليه وسلَّم مائة قافية من قول أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ[5] يقول في كلِّ ذلك: هِيه هِيه[6]، ثمَّ قال: "**إنَّه كاد في شعره**

---

(1) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، مخضرم متقدم الإسلام. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: 305/1 - 308، وأسد الغابة: 7/2 - 11، والإصابة لابن حجر العسقلاني: 62/2 - 64،).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، الحديث: 6058، "عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسانَ مِنبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(3) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة، أبو ليلى نابغة بني جعدة شاعر قديم مخضرم مفلق، صنفه ابن سلام الجُمَحي في الطبقة الثالثة من طبقات الجاهليين، عَمَّر طويلا وبلغ فتنة ابن الزُّبير وتوفي بأصفهان. (طبقات فحول الشُّعراء: 123/1، والشعر والشعراء لابن قتيبة: 289/1 - 296).

(4) الشِّعر والشُّعراء لابن قتيبة: 298/1، والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: (460/6)، وابن حجر في الإصابة: 588/5، 394/6، وقال ابن حجر عقبه: «فأتت عليه عشرون ومائة سنة كلما سقطت له سن نبتت له أخرى» (588/5). وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم.

(5) هو أمية بن أبي الصَّلت الشَّاعر الجاهلي، أدرك الإسلام ولم يسلم، كان قرأ الكتب السَّماوية ويُخبر بمَبْعَثِ النَّبي ويؤمل أن يكون هو، إلا أنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر به حسدا له. (الشعر والشعراء، لابن قتيبة: 459/1 - 462).

(6) **هِيه هِيه**: بالكسر يقال لشيء يَطَّرِدُ، وهي كلمة استزادة بمعنى زد. (القاموس المحيط: 1/ 1622).

أن يُسلِم"[1].

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يُحْدَى له في السَّفر، وأنَّ أَنْجَشَةَ كان يَحْدُو بالنِّساء، و(البَرَّاء)[2] بن مالك كان يَحْدُو بالرِّجال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يَا أَنْجَشَةُ كُفَّ صَوْتَكَ رِفْقاً بِالقَوَارِير**"[3].

فلا يجوز أن يكون الصَّوت الطَّيِّب بالشِّعر الموزون والمعنى المفهوم حراما، إذ الأصوات الطَّيِّبة غير مُنْكرة ولا مُحدثة، وقد ثبت ذلك بالنَّصِ والقياس.

❁❁❁

فصل

وأمَّا الضَّربُ بالدُّفِ والرَّقصُ فقد جاءت الرُّخصة بإباحته للفرح والسُّرور في أيَّام الأعياد والأعراس، وقدوم الغائب والوليمة والعقيقة، وقد ثبت جواز ذلكَ بالنَّص، فمن ذلك إنشادهم وضربهم بالدُّفِ عند قدوم رسول الله صلى الله عليه

---

(1) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أصدق كلمة قالها الشَّاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم». (الشمائل المحمدية للترمذي: 201، و205).

وقال الإمام أحمد: "حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا إبراهيم ابن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يقول: قال الشريد: كنت ردفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: أمعك من شعر أمية بن أبي الصَّلْت شيئا؟ قلت نعم قال: فأنشدني فأنشدته بيتا فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتا: هيه حتى أنشدته مائة بيت قال: ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم وسكت".

وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي تميم بن ميسرة به ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات فقال رسول الله: "**إن كاد يسلم**".

والقصيدة المذكورة أولها قول أمية:

الحمد لله مُمْسانا ومصبحنا ... بالخير صَبحنا ربِّي ومَسّانا

(الوافي بالوفيات: 228/9).

(2) في (خ): (أنس)، والمثبت من: (و).

(3) في: (و) و(ب): (كف سوقك).

وسلم وقولهم:

[مجزوء الرمل]

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ

وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلهِ دَاعِ[1]

ولقد ضَمَمْتُ لهذين البيتين أبياتاً أخر وهي:

قُمْ فَقَدْ طَابَ سَمَاعِي ... أَوْ فَدَعْنِي وَاسْتِمَاعِي

مَا يَطِيبُ الوَقْتُ إِلَّا ... بِخَلِيعٍ كَانْخِلَاعِي

أَنَا عَبْدٌ لِحَبِيبٍ ... سِرُّهُ غَيْرُ مُذَاعِ

أَنَا رَاضٍ فِي هَوَاهُ ... بِهَوَانِي وَاتِّضَاعِي /87/

قُمْ فَهَاتِ الرَّاحَ صِرْفاً ... وَاسْقِنِيهَا لانْتِفَاعِي

قَدْ رَضَعْنَاهَا قَدِيماً ... قَبْلَ أَيَّامِ الرَّضَاعِ

مِنْ يَدِي سَاقٍ تُجْلَى ... وَهُوَ لِلعُشَّاقِ دَاعِ

وَمُغَنِّي الوَقْتِ غَنَّى ... لَكَ فِي خَيْرِ البِقَاعِ:

"طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ"

"وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلهِ دَاعِ"

فأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ذلك لإظهار السُّرور بقدومه صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم رضي الله عنهما **"عن عُروةَ عن عائشة رضي اللهُ عنها، أنَّ أبا بكر رضي اللهُ عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أَيَّام مِنىً يُدفِّفان ويضربان، والنَّبي صلى الله عليه وسلم مُتغشٍّ في ثَوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه الكريم وقال: دعهما يا أبا بكر، فإنَّها أيَّامُ عيد"**[2].

(1) دلائل النبوة، للبيهقي: 507/2، والخصائص الكبرى، للسيوطي: 313/1.

(2) صحيح البخاري، الحديثان: 934، و3266. صحيح مسلم، الحديث: 1480.

وفي حديث آخر قالت عائشة، رضي الله عنها، "دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان يُغنِّيان بغناء ودِفاف، فاضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشَّيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: دعهما، فلمَّا غفل غمزتهما فخرجتا. وكان يوم عيد/88/ يلعب فيه السُّودانُ بالدَّرَقِ[1] والحِراب[2]، فإمَّا سألت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وإمَّا قال: أتشتهين أن تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه وخدِّي على خدِّه، ويقول: دونكم يا بني أَرْفِدَةَ[3] حتَّى إذا مللتُ قال: حسبُكِ؟ قالت: نعم، قال: فاذهبي"[4].

فهذه الأحاديث كلُّها نصٌّ صريح في الصَّحيح على أنَّ الغناء واللَّعب ليس بحرام، ويدلُّ أيضاً على كثير من الرُّخص منها اللَّعب وإباحة ذلك في المسجد، ووقوفه مع عائشة رضي الله عنها حتَّى ملَّت مع صغر سنِّها، وإنكاره على أبي بكر، ومنعه له على انتهار الجاريتين، وكان يقرع سمعَه صلى الله عليه وسلم صوتُ الدُّفِ وصوتُ الجاريتين ولو كان في موضع يُضرب فيه الأوتار لما جوَّز الجلوسَ فيه. ففيه دليل على أنَّ صوت النِّساء أخفُّ تحريما من صوت الأوتار والمزامير.

وأمَّا الشَّبابةُ فاحتجَّ أهل التَّحريم بحديث نافع مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين وضع أُصْبُعَيْهِ في أُذُنيه، وقد سمع زمَّارة راع وعدل عن الطَّريق ولم يزل يقول: يا نافع أتسمع؟ حتَّى قلتُ: لا، فأخرج أُصْبُعَيْهِ من أُذُنيه، وقال: هكذا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صنع، فهذا ليس فيه دلالة على التَّحريم (بل فيه دليل قويٌّ على إباحة الشَّبابة بدليل)[5] أنَّه لم يأمر نافعاً بسدِّ أذنيه، ولم يُنكر عليه. وكذلك فعله صلَّى/89/ الله عليه وسلَّم لا يدلُّ على التَّحريم لأنَّه لم يأمر عبدَ الله بسدِّ أُذُنيه،

(1) الدرق: درق وأدراق ودراق، ضرب من الدُّروع تتخذ من الجلود. (لسان العرب: 95/10).

(2) الحِراب: مفردها حَرْبَة آلة وهي دون الرُّمح. (لسان العرب: 306/1).

(3) بنو أرفدة: بفتح الفاء وكسرها ورواية الكسر أشهر، وهو لقب للحبشة، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "دونكم" وهو من ألفاظ الإغراء، أي بمعنى: عليكم بهذا اللَّعب الَّذي أنتم فيه.

(4) صحيح البخاري، الحديثان: 897، و2691، وصحيح مسلم، الحديث: 1482.

(5) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

ولـم يُنكر على الرَّاعي فعله، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يمرَّ بمنكر ولم يُنكرْه، أو بباطل ولـم يُبطلْه، إذ لـم يُعرَف الحلالُ والحرامُ إلَّا من جهته، ولـو كـان حراما لأخبر به أصحابه.

وأمَّا سدُّ أُذُنيه صلى الله عليه وسلم فيحتمل معنيَيْن:

أحدهما: أنَّه كان سالكاً أتمَّ الأحوالِ وأفضلِها، ونحن نقول إنَّ الأَوْلى تركه في أكثر الأحوال بل أكثرُ مباحات الدُّنيا الأَوْلى تركها.

الثَّاني: أنَّه صلى الله عليه وسلم قلَّما يخلو من فكر أو ذكر أو حال مع الله تعالى واشتغال به، فلعلَّه كان في حالة تشغلُه زمَّارةُ الرَّاعي عن تلك الحالة لتأثيرها في القلب، كما أنَّه خَلَعَ ثوبَ أبي جَهْمٍ بعد الفراغِ من الصَّلاة لأنَّه كان عليه السَّلام شغلته عن حالته ووقته، فلا نقول إنَّ ذلك يدلُّ على تحريم أعلام الثَّوب بل إنَّه استشعر أنَّها شغلت قلبه فخلعها، فلذلك سدَّ أذنيه.

وأمَّا احتجاجُهم بقول ابن مَسعود: «الغناء يُنبث في القلب النِّفاق كما يُنبث الماء البَقْل»[1]، وبقول الفُضيل[2]: «الغناء رُقية الزِّنى»[3]، وبقوله صلى الله عليه وسلم: "**ما رفَع أحدٌ صوتَه بغناءٍ إلَّا بعثَ اللهُ إليه شيطانَيْن على مَنْكبَيْهِ يضربان بأعقابهما على صدره حتَّى يُمسك**"[4].

وبِقولِ عثمان بن عفَّان/**90**/ رضي الله عنه: «منذ أسلمتُ ما تغنَّيتُ ولا

---

(1) إحياء علوم الدين: 286/2، والمنسوب إلى ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «الغناء يُنبث في القلب النِّفاق» بينما زاد بعضهم الباقي كما قال الغزالي.

(2) هو أبو علي الفضيل بن عياض من أكابر الصوفية، خرساني ولد بسمرقند وتوفي بمكة سنة 187 هـ. (الرسالة القشيرية: 19 - 20، وحلية الأولياء: 84/8 - 139).

(3) قال الغزالي في الإحياء: «وأما قول الفضيل: هو رقية الزِّنى. وكذلك ما عداه من الأقاويل القريبة منه. فهو منزل على سماع الفسَّاق والمغتلين من الشبان. ولو كان ذلك عاماً لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم». (123/2).

(4) إحياء علوم الدين: (121/2) وقال بعده: «هو منزل على بعض أنواع الغناء الَّذي قدَّمناه وهو الَّذي يُحرِّك من القلب وما هو مراد الشَّيطان من الشَّهوة وعشق المخلوقين، فأمَّا ما يُحرِّكُ الشَّوقَ إلى الله أو السُّرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يُضاد مراد الشَّيطان. بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصِّحاح».

تمنَّيتُ ولا لمستُ ذَكَري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وبقول رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**كان إبليسُ أوَّل من ناح وأوَّل من تغنَّى**"[1].

وقول عائشة رضي الله عنها: "**إنَّ اللهَ حرَّم القِينة وبَيعَها وثمنَها وتعليمَها**"[2].

وبقوله تعالى: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾[3]. قال ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: «هو الغناء بلغة حِمْيَر»[4].

فيلزم من هذا إذا قلنا بتحريمه أن يُحرَّم الضَّحكُ أيضاً وعدم البكاء قياسا، ويُحرَّم في حديث عثمان مسُّ الذَّكر باليمين قياسا، ويلزم من هذه الأحاديث إذا قلنا بإطلاق التَّحريم فيها أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل حراماً أَو أمر بحرام أو رضي حراما، ومن ظنَّ ذلك بنبيِّه فقد كفر.

وقد ثبتت النُّصوصُ بالغناء في بيته، وضربِ الدُّفِ في حضرته، ورقصِ الحُبوش في مسجده، وإنشادِ الشِّعر بالأَصوات الطَّيِّبة بين يديه، فلا يجوز أن نقولَ بتحريم الغناء واستماعه على الإطلاق ولا بإباحته على الإطلاق، بل يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، وأرباب الرِّياء والإخلاص.

واعلم أنَّ السَّماع ينقسم على ثلاثة أقسام:

منه ما هو حرامٌ مَحضٌ/**91**/، لأكثر النَّاس من الشُّبَّان ومن غلبت عليهم شهواتُهم ولَذَّاتُهم، وملكهم حبُّ الدُّنيا، وتكدَّرت بواطنُهم وفسدت مقاصدُهم فلا يُحرِّك السَّماع منهم إلَّا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصِّفات المذمومة ولا سيَّما في زماننا هذا وتكدُّرِ أحوالنا وفسادِ أعمالنا.

وقد رُوي عن الجُنيد رضي الله عنه أنَّه ترك السَّماع في آخر أمره فقيل له:

---

(1) أخرجه الغزالي في إحياء علوم الدين: 121/2، عن جابر.

(2) إحياء علوم الدين: 121/2.

(3) النجم: 59، 60.

(4) في تأويل لفظة: ﴿**سامدون**﴾ تسع تأويلات، المذكور أحدها، يراجع: تفسير القرطبي: 17/ 123، وتفسير ابن كثير: 468/7.

كنت تسمع أفلا تسمع؟ فقال: مع من؟ فقيل له: تسمع أنت لنفسك، قال: ممَّن والسَّماعُ لا يَحسن إلَّا بأهله، ومع أهله، ومن أهله فإذا عُدم أهلُه واندرس محلُّه، فيجب على العارف تركُه[1].

القسم الثَّاني منه ما هو مباح وهو لمن لا حظَّ له إلَّا التَّلذُّذ بالصَّوت الحسن واستدعاء السُّرور والفرح أو يتذكَّر به غائباً أو ميِّتا، فيستثير به حزنه فيستروح بما يسمعُه.

القسم الثَّالث منه: ما هو مندوب، وهو لمن غلب عليه حبُّ الله تعالى والشَّوق إليه، فلا يُحرِّك السَّماع منه إلَّا الصِّفاتِ المحمودة، وتُضاعف الشَّوق إلى الله تعالى واستدعاء الأحوال الشَّريفة والمقامات العليَّة، والكرامات السَّنيَّة والمواهب الإلهيَّة.

ومُحصّلُ القول في ذلك أنَّ من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وذكر به حُظوظَ دنياه، واستثار بسماعه وَساوِسَ هواه فالسَّماع عليه حرام مَحْض.

ومن سمع فظهر له ذكر ربِّه، وخوَّفه/92/ من ذنبه، وتذكَّر آخرته فأَنتج له ذلك الذِّكرُ شوقاً إلى الله تعالى، وخوفا منه ورجاءه لوعده وحذراً من وعيده، فسماعُه ذكرٌ من الأذكار، مكتوبٌ في صحائف الأبرار.

ولقد أشرتُ إلى هذا المعنى في هذه الأبيات:

[الوافر]

إِذَا مَا كُنْتَ مُسْتَمِعاً لِقَوْلٍ ... فَبِالقَلْبِ اسْتَمِعْ مِنْ قَبْلِ أُذْنِ

وَأَلْقِ السَّمْعَ تَشْهَدُ كُلَّ مَعْنىً ... وَتَسْمَعُ فِي شُهُودِكَ كُلَّ فَنِّ

وَمَنْ يَكُنْ وَجْدُهُ وَجْداً صَحِيحاً ... فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى قَوْلِ المُغَنِّي

لَهُ مِنْ ذَاتِهِ طَرَبٌ قَدِيمٌ ... وَسُكْرٌ دَائِمٌ مِنْ غَيْرِ دَنِّ

فَدَعْنِي مِنْ تَغَزُّلِ قَيْسٍ لِيَلَى ... وَمِنْ أَبْيَاتَ شِعْرِ جَمِيلِ بُثَيْنِ

فَبِي شَغَفٌ عَنِ الأَشْعَارِ يُلِهِي ... وَبِي طَرَبٌ عَنِ الأَوْتَارِ يُغْنِي

---

(1) المدخل: 212/3.

وَفِـي إِيَّـايَ كُـلُّ مَعْنـىً لَطِـيفٌ (فَمِنِّـي) إِنْ سَـمِعْتُ سَـمِعْتُ عَنِّـي[1]
وَمَـا وَجْـدِي بِمُـنْقَطِعٍ وَلَكِـنْ بِحَـيْثُ يَكُـونُ مَحْبُوبِـي تَجِدْنِـي
فَـإِنْ لَـمْ تُـدْرِكِ المَعْنَـى وَتَـدْرِي خَفَايَـا مَـا أَقُـولُ فَـلَا تَلُمْنِـي
وَمَـنْ حَـضَرَ الـسَّمَاعَ بِغَيْـرِ قَلْـبٍ وَلَـمْ يُطْـرَبْ فَـلَا يَلُـمِ المُغَنِّـي
وَإِنْ تَـكُ يَـا عَذُولِـي جَهِلْـتَ أَمْـرِي فَـدَعْ عَـنْكَ المَـلَامَ وَخَـلِّ عَنِّـي
أُغَنِّـي بِاسْـمِ حِبِّـي لا أُكَنِّـي وَإِنْ كَنَّـيْتُ عَـنْهُ فَـذَاكَ أَغْنِـي
وَرَاحِـي إِنْ شَـرِبْتُ فَـصَفْوَ وُدِّي وَزَادِي إِنْ قَـصَدْتُ فَحُـسْنَ ظَنِّـي
وَلا أَرْضَـى إِذَا لَـمْ تَـرْضَ عَنِّـي نَعِـيماً لا وَلا جَـنَّاتِ عَـدْنِ
وَمَـا نَفْـسِي بِـدَارٍ لَـسْتَ فِـيهَا وَأَنْـتَ القَـصْدُ يَـا أَقْـصَى التَّمَنِّـي

❁ ❁ ❁

فصل

اعلم أنَّ القلوبَ أَوْعية[2]، والآذانَ أَوْكِية[3]، والنَّغماتِ/93/ أشربةٌ مَزْوِيَّة؛ لأنَّ الأصواتَ جِمال تحمل النَّغماتِ من الأغاني إلى الأواني، ولولا صَفوةُ الأواني ما راقت الأغاني، ولولا صحَّةُ المعاني ما طابت المَثاني، فإذا وصلت الأشربة إلى أوانيها فإن كانت صافيةً صفَّته ولطَّفته، وإن كانت كَدِرَةً خبيثةً خبَّثته[4]، ولقد قلتُ

---

(1) في (ع): (فمتى) وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (و).

(2) تشبيه القلوب بالأوعية مأخوذ من حديث أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" الحديث: 6655، قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حسن حدثنا بن لهيعة حدثنا بكر بن عمرو عن أبي الرحمان الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**القلوبُ أوْعِيَةٌ وَبعضُها أَوْعى من بعض فإذا سَألتم الله عَزَّ وجلَّ أيُّها النَّاسُ فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإنَّ الله لا يستجيبُ لعبدٍ دعاه عن ظهر قلب غافل**".

(3) **أوكية**: مفردها وكاء وهو خيط يشد به فم السقاء والوعاء، أو رباط القربة. (لسان العرب: 15/ 405).

(4) ونظير هذا أيضا قول المؤلف: «وَيْحَكَ وهل إلَّا جِمال تحملِ النَّغمات من المغاني إلى المعاني؟ ولولا صَفْوُ الأواني ما راقت الأغاني، ولولا صِحَّةُ المباني ما طابت المَثاني، فالقلوبُ أَوْعِية، والآذانُ أَوْكِية، والنَّغماتُ أشربة مَزوية، فإن كانت الأَوْعِية صافيةً صفَّته ولطَّفته، وإن كدرت كدَّرته وكثَّفته وخبَّثته». (الفتوحات الغيبية: 38 - 39).

في ذلك شعرا:

[الرجز]

مَـا حِـيلَةُ الـسَّاقِي إِذَا طَـافَ عَلَـى نُدْمَانِـــهِ بِالخَمْـــرَةِ المُحَلَّلَـــهْ
فَـــوَاحِدٌ قَـــدْ زَادَهَـــا بِـــصَفْوِهِ صَـــفْواً وَهَـــذَا رَدَّهَـــا مُخَلَّلَـــهْ
قُلُوبُـــــنَا أَوْعِـــــيَةٌ فَكُلَّمَـــــا طَـابَ الـوِعَاءُ طَـابَ مَـا قَـدْ حَـصَّلَهْ
قَلْـبٌ بِذِكْـرِ اللهِ أَضْـحَى رَوْضَـةً وَآخَـــرُ بِاللَّهْـــوِ صَـــارَ مَـــزْبَلَهْ
مَــا مَنْـبَتُ الـوَرْدِ كَمَنْـبَتِ غَيْـرِهِ وَلا شَــذَا المِــسْكِ كَـرِيحِ البَـصَلَهْ
وَلَـوْ سُـقِي الحَـنْظَلُ شَـهْداً دَائِمـاً مَـــا أَنْــبَتَ الحَــنْظَلُ إِلَّا حَــنْظَلَهْ

❁❁❁

فصل

اعلم أنَّ الخلق كلُّهم أطفال في حِجر تربيَّة الحَقّ سبحانه وتعالى يُغذِّي كُلَّ واحد من خلقه على (قدر)[1] احتمال مَعِدة معرفته.

فغذاءُ الرِّجال لا يصلح للأطفال، ومَراكبُ الأبطال لا تصلح للبَطَّال، ألا ترى أنَّ الطِّفل لمَّا لم يُطق/94/ تناولَ الخبز واللَّحم أُطعم ذلك بواسطة اللَّبن ولو أُطعم ذلك مُجرَّدا لمات، ومن هاهنا يقال: من لا شيخَ له لا قِبلةَ له ومن لا شيخَ له فالشَّيطانُ شيخُه.

هذا أبو بكر الصِّدِّيق، رضي الله عنه، لمَّا كان في حِجر تربيَّة النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يُلقمه ممَّا كان يتلقَّمه من لُقم الغيب بواسطة: "**مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي شَيْئاً إِلَّا صَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ**"[2] فما أطاق ذلك الغِذاءَ إلَّا بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: "**أَنا مدينةُ العلم وعلي بابُها**"[3] لم

---

(1) غير وارد في: (ع)، ويقتضيها المعنى.

(2) المنار المنيف، لابن القيم: 240/2، وكشف الخفاء: 419/2.

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية: عن مجاهد عن ابن عباس بزيادة: "**فَمَنْ أَتَى العِلْمَ فَلْيَأْتِ البَاب**"، والحديث حَسَّنه الحافظ أبو سعيد العلائي باعتبار طرقه، وكذا قال شيخ الإسلام ابن حجر.

يكن علي يحتمل ما تحتمله المدينة، وإنَّما كان بمنزلة الباب من المدينة ما يخرج من المدينة شيء حتَّى يمرَّ بالباب، ومن سرِّ هذا الكشف كان يقول كرَّم الله وجهه: «**لو كُشف الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً**»[1]، معناه أنَّه لو كُشف غطاء المخلوقات حتَّى أشاهدها بعين البصر ما ازددتُ يقيناً على ما شاهدت بعين البصيرة ممَّا ورِثتُه من علم الأوَّلين (والآخِرين عن سيِّد الأوَّلين والآخرين)[2].

فما أراد بكشف الغطاء إلَّا عن المخلوقات لا عن الخالق، فإنَّ الخالق لا يُوصفُ بذلك، فإذا كنتَ طفلا في حِجْر عاداتِك، محصوراً برباط مألوفاتك، فلا تتطاول إلى تناول طعام الرِّجال، فإنَّ طعام الأصحَّاء يضرُّ بذَوي الاعتلَال، وإشراق الشَّمس المنيرة يضرُّ بذوي البصائر الضَّعيفة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تودعوا الحكمةَ غيرَ أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلَها فَتظلموهم**"[3].

فما كلُّ قلب يصلح للسِّرِّ، ولا كلُّ صَدَف ينطبق على الدُّرِّ، فلكلِّ قوم/**95**/ مقال[4]، وما كلُّ ما يُعلمُ يقال.

قال قائل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: «ما لنا لا نفقه كثيراً ممَّا تقول؟ قال: لأنَّ كلامَ الأخرس لا تفهمه إلَّا أمُّه». شعر:

=

(الدرر المنتثرة: 3/1).

(1) شرح نهج البلاغة: 245/7، 136/10، 165/11، 188، 5/13.وفي هذا الكلام بيان لمقامه كرم الله وجهه، فهو من شدة اليقين والمكاشفة بمنزلة من رأى، ولا ريب أن من كان في مقام المشاهدة يكون على قدم عظيم من العبادة والخوف والرجاء.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(3) أخرجه أبو طالب المكي في القوت (220/1) برواية: "**لا تضيعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم**"، وأبو نعيم في الحلية: (1/ 492)عن ابن عباس برواية: "**لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها**، وقال مرة: **فتظلموهم**"، والعجلوني في كشف الخفاء، الحديث: 3124، برواية: "لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم".

(4) فيه تلميح إلى مثل تمامه: «لكل مقام مقال ولكل دهر رجال». (مجمع الأمثال، للميداني: 2/ 202)، ويراد منه «أنَّ لكلِّ أمر أو فعل أو كلامٍ موضعاً لا يُوضع في غيرِه» (198/2). وصرفه من المقام إلى القوم.

[الخفيف]

فَــإِذَا كُــنْتَ بالمــدرَاكِ غِــرًّا ... ثُــمَّ أَبْــصَرْتَ صَــادِقاً لا تُمَــارِي

وَإِذَا لَــمْ تَــرَ الهِــلَالَ فَــسَلِّمْ ... لِأُنَــاسٍ رَأَوْهُ بِالأَبْــصَارِ

هذا تُرْجُمانُ القرآن عبد الله بن عبَّاس، رضي الله تعالى عنه، يقول: «إنِّي لأَعلم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[1] ما لو قلتُه لكفَّرتموني»[2].

وهذا أبو هريرة، رضي الله عنه يقول: «أخذتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جِرابَيْن من العلم جِراباً ألقيتُه إليكم، وجِراباً لو أبديتُه لكم لرجمتموني»[3].

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «إنَّ بين جَنْبي علماً لو قلتُه لخضَّبتم هذه من هذه» يعني لِحْيَتَه من جبهته.

وقال أيضا، رضي الله عنه:

[البسيط]

إِنِّــي لَأَعْلَــمُ عِلْمــاً لَــوْ أَبُــوحُ بِــهِ ... لَقِيلَ لِـي أَنْـتَ مِمَّـنْ يَعْبُدُ الوَثَـنَا

وَلَاسْــتَحَلَّ رِجَــالٌ مُــسْلِمُونَ دَمِــي ... يَــرَوْنَ أَقْــبَحَ مَــا يَأْتُــونَهُ حَــسَنَا

إِنِّــي لَأَكْــتُمُ مِــنْ عِلْمِــي جَوَاهِــرَهُ ... كَيْ لا يَرَى الحَقَّ ذُو جَهْلٍ فَيُفْتَنَا[4]

فأمَّا أهلُ التَّمكين فإنَّهم علموا وكتموا ما علموا لما يعلمون من ضعف احتمال عقول أطفال العقول؛ فلهذا إنَّ الحلَّاجَ[5] لمَّا علم شيئا من هذا العلم وتفوَّه به فَمُه، أُبيحَ دَمُه، وكان خطؤه من حيث إظهارُه ما يُكتم وإعلانُه بما يُسَرُّ، فكان

---

(1) الطلاق: 12.

(2) قوت القلوب: 352/1.

(3) في حلية الأولياء: «عن أبي هريرة، قال، حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة جرب، فأخرجت منها جرابين، ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة» (1/ 381).

(4) نسبها ابن حديد في شرح نهج البلاغة للحلاج: 208/11، ونسب الأول والثاني من المقطوعة ابن عربي في فتوحاته (الباب الثلاثون) لزين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ويبدو أن الصواب النسبة الثانية.

(5) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج صحب الجنيد والنوري وغيرهما، قتل ببغداد سنة 309 هـ. (طبقات الأولياء: 31/1، والطبقات الكبرى، للشعراني: 107/1 - 109).

حُكم من باح، أنَّ دمه مباح.

وقد رُوي عنه أنَّه لمَّا أُتي به ليصلب/96/ فرأى الخشب والمسامير، فضحك ضحكا عاليا ثمَّ نظر في الجماعة فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر أما معك سَجَّادة؟ فقال: بلى، قال: أفرشها لي، ففرشها له، فتقدَّم فصلَّى ركعتين فقرأ في الرَّكعة الأولى بفاتحة الكتاب وبعدها ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾[1] إلى آخر الآية، وقرأ في الثَّانية فاتحة الكتاب ومن بعدها ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2] إلى آخر الآية، ثمَّ ذكر أشياء فكان ممَّا حُفظ منها: «اللَّهمَّ بحقِّ قيامك بحقِّي وقيامي بحقِّك، وقيامي بحقِّك يخالف قيامك بحقِّي؛ لأنَّ قيامي بحقِّك ناسوتية وِقيامك بحقِّي لاهوتيَّة مع أنَّ ناسوتيتي مُستهلَك في لاهوتيَّتك غير ممازج إيَّاها، ولاهوتيَّتك مستولية على ناسوتيتي غير مُماسَّة لها، أسألك أن توفِّقني لشكر هذه النِّعمة الَّتي أنعمت بها عليَّ حيث كشفتَ لي عن مطالع وجهك، وحرَّمتَ على غيري ما أبحتَ لي من النَّظر في مكنونات سرِّك، وهؤلاء عبادك اجتمعوا لقتلي تعصُّبا لدينك، وتقرُّبا إليك فاغفر لهم، فإنَّك لو كشفتَ لهم ما كشفتَ لي ما فعلوا ما فعلوا، ولو سترتَ عنِّي ما سترتَ عنهم ما ابتليتُ بما ابتليت، فلك الحمد في ما تفعل ولك الحمد في ما تريد.

ثمَّ تقدَّم أبو الحارث السَّيَّاف ولطمه لطمة هشم بها وجهه وأنفه، وصاح الشبلي ومزَّق جُبَّته وغُشي عليه وعلى ابن الحسن الواسطي وعلى جماعة من المشايخ المشهورين»[3].

وقال عبد الكريم/97/ بن عبد الواحد[4]: «دخلتُ على الحسين بن منصور في مسجد وحوله جماعة فكان أوَّل ما قال في كلامه: لو يُلقى ممَّا في قلبي ذرَّة على الجبال لذابت، وإنِّي لو كنت يوم القيامة في النَّار لأحرقت النَّار، ولو كنت في

---

(1) البقرة: 155.

(2) آل عمران: 185، والأنبياء: 35، والعنكبوت: 57.

(3) أخبار الحلاج: 1.

(4) هو عبد الكريم بن عبد الواحد الزعفراني.

الجنَّة لهُدمت الجنَّة»[1].

ودخل يوما إلى جامع المنصور ببغداد وقال: «يا أيُّها النَّاس اجتمعوا واستمعوا منِّي حديثا، فاجتمع عليه خلق كثير فمنهم محبٌّ ومنهم منكر، فقال: اعلموا أنَّ الله تعالى قد أباح لكم دمي فاقتلوني، فبكى القوم، فتقدَّم إليه عبد الودود بن سعد الزَّاهد وقال: يا شيخ كيف نقتل رجلا يصلِّي ويصوم ويقرأُ القرآن؟ فقال: يا شيخ، المعنى الَّذي يحقن الدِّماء خارج عن الصَّلاة والصِّيام وقراءة القرآن، فاقتلوني تُؤْجروا، وأستريح فتكونون أنتم مجاهدين وأنا شهيد، ثمَّ ذهب فتبعته إلى باب داره، وقلتُ: يا شيخ ما معنى هذا؟ فقال: يا بنيَّ ليس للمسلمين شغل أهمُّ من قتلي، فاعلم أنَّ قتلي قيام بالحدود ووقوف مع الشَّريعة، فإنَّ من تجاوز الحدود، أقيمت عليه الحدود»[2].

وفي معنى ذلك أقول شعرا:

[الطويل]

أَبَاحَتْ دَمِي مُذْ بَاحَ قَلْبِي بِحُبِّهَا ... وَحَلَّ لَهَا فِي حُكْمِهَا مَا اسْتَحَلَّتِ

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يُظْهِرُ السِّرَّ إِنَّمَا ... عَرُوسُ هَوَاهَا فِي ضَمِيرِي تَجَلَّتِ

فَأَلْقَتْ عَلَى سِرِّي أَشِعَّةَ نُورِهَا ... فَلَاحَ لِجُلَّاسِي خَبَايَا طَوِيَّتِي

وَشَاهَدْتُهَا فَاسْتَغْرَقَتْنِي فِكْرَةٌ ... فَغِبْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ كُلِّي وَجُمْلَتِي/98/

وَحَلَّتْ مَحَلَّ الكُلِّ مِنِّي بِكُلِّهَا ... فَإِيَّايَ إِيَّاهَا إِذَا مَا تَبَدَّتِ

وَنِمْتُ عَلَى سِرِّي فَكَانَتْ هِيَ الَّتِي ... عَلَيَّ بِهَا بَيْنَ البَرِيَّةِ نَمَّتِ

إِذَا سَأَلْتَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا الَّذِي ... بَقَائِي إِذَا أَفْنَيْتُ فِيكَ هُوِيَّتِي

أَنَا الحَقُّ فِي عِشْقِي كَمَا أَنَّ سَيِّدِي ... هُوَ الحَقُّ فِي حُسْنٍ بِغَيْرِ مَعِيَّةِ

فَإِنْ أَكُ مِنْ سُكْرِي شَطَحْتُ فَإِنَّنِي ... حَكَمْتُ بِتَمْزِيقِ الفُؤَادِ المُفَتَّتِ

وَلا غَرْوَ أَنْ أُصْلِيتُ نَارَ تَحَرُّقِي ... وَنَارُ الهَوَى لِلْعَاشِقِينَ أُعِدَّتِ

(1) أخبار الحلاج: 11.

(2) نفسه: 50.

وَمِــنْ عَجَبِــي أَنَّ الَّــذِينَ أُحِــبُّهُم وَقَـدْ أَغْلَقُـوا أَيْـدِي الهَـوَى بِأَعِنَّتِـي
"سَـقَوْنِي وَقَالُـوا لا تُغَنِّـي وَلَـوْ سَـقَوْا جِـبَالَ حُنَـيْنٍ مَـا سَـقَوْنِي لَغَـنَّـتِ"[1]

فناداه لسان الحال: يا حلَّاج كيف رأيت المحبَّة؟ قال: رأيتُ حبَّة قد نُصبت على فخِّ جمالية المحبوب، فطارت إليها عصافير القلوب، فلمَّا سقطوا ليلتقطوا، انقلبت عليهم حبَّة الفخِّ فاختبطوا، فحذَّقوا إلى حقيقة تلك الحبَّة، فإذا هي نقطة باء المحبَّة قد قلَّبتها يد الفتنة فانقلبت إليه المحبَّة محنة[2]، يا حلَّاج فأنت تحت رقِّه تحترق، وبحبل عشقه تختنق، فمتى تتفرَّغ من الخنق، حتَّى تقول: «أَنَا الحَقُّ»، فلو كان لك في البقاء نيَّة، ما شربتَ بكأْس الأنانيَّة، فقال: يا قوم، أنتم اليوم في النَّوم، لمَّا أخذني منِّي، وسلبني عنِّي، تلاشت أوصاف حدثي، لمَّا ظهر سلطان قدمه فكان الحدث كأن لم يكن، وبقي القديم كأن لم يزل، ثمَّ فنيَت أنانيَّتي في أنانيَّته، وذهبت هويَّتي في هويَّته، وتلاشت ناسوتيَّتي في لاهوتيَّته، ثمَّ نظرتُ منه إليه فلم أر إلَّا هو، وسمِعتُ منه عنه فلم أسمع إلَّا هو، ونطقتُ به له فلم أذكر إلَّا هو/**99**/، فعلمتُ أن ليس هو إلَّا هو، فقلتُ: «أَنَا هُوَ»، ولئن قلتُ: «أَنَا الحَقُّ»، فما عدلتُ عن الحقِّ، أنا الحقُّ في محبَّته، وهو الحقُّ في مملكته، ولئن كان سكري نمَّ على سرِّي، فقد عربد وَجْدي على وجودي، وجعل حدِّي محق حدودي.

ولقد قلت:

[مجزوء الرمل]

اقْتُلُونِــــي يَــــا ثِقَاتِــــي إِنَّ فــــي قَتْلِــــي حَيَاتِــــي
فَمَمَاتِــــي فــــي حَيَاتِــــي وَحَيَاتِــــي فــــي مَمَاتِــــي
أَنَــــا عِــــنْدِي مَحْــــوُ ذَاتِــــي مِــــنْ أَجَــــلِّ المَكْــــرُمَاتِ

---

(1) البيت مضمن ينسب غلطا للحلاج، والصواب أنه لشاعر قديم، وقد روى عجزه الأصمعي: بـ"جبال شروری".

(2) ومما لمحه أيضا أبو القاسم النصرآبادي في نقطتي المحبة والمحنة بشفوف بصيرته قوله: «في المحبة والمحنة نقطتان مقرونتان (...)، فينبغي للمحب أن ينظر إلى المحنة بعين المحبة» (المقدمة في التصوف: 11).

وَبَقَائِــــــي بِــــــصِفَاتِي مِــــنْ قَبِــــيحِ الــــسَّيِّئَاتِ
سَــــئِمَتْ نَفْــــسِي حَيَاتِــــي فِــــي الرُّسُــــومِ الفَانِــــيَاتِ
فَاقْتُلُونِــــــي وَاحْرِقُونِــــــي بِعِظَامِــــــي البَالِــــــيَاتِ
ثُــــمَّ مُــــرُّوا بِرُفَاتِــــي فِــــي القُــــبُورِ الدَّارِسَــــاتِ
تَجِــــدُوا سِــــرَّ حَبِيبِــــي فِــــي طَــــوَايَا البَاقِــــيَاتِ[1]

فقيل يا حلَّاج أنت شربت بين ندماء لا يحتملون عربدتك، ولقد صنعنا لك دعوة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، ففارق ووافق فثمَّ ندماء ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾[2]، شرابُهم: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾[3]، سماعُهم: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾[4]، مشاهدتُهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[5]. فقتلوه وصلبوه، وما قتلوه وما صلبوه، ولكن غار عليه أحبابه فغيَّبوه[6]، (شعر)[7]

[المجتث]

هَــــيْهَاتَ مَــــا قَــــتَلُوهُ كَــــلَّا وَلا صَــــلَبُوهُ
لَكِــــنَّهُمْ حِــــينَ غَــــارُوا عَــــنْ وَجْــــدِهِ غَيَّــــبُوهُ
سَــــقَوْهُ صِــــرْفاً وَرَامُــــوا كِــــتْمَانَ مَــــا أَوْدَعُــــوهُ
فَمَــــا أَطَــــاقَ ثُــــبُوتاً لِــــثِقْلِ مَــــا حَمَّلُــــوهُ
فَــــتَاهَ سُــــكْراً/100/ وَنَــــادَى: أَنَّ الَّــــذِي تَعْــــرِفُوهُ
يَــــا لائِمِــــي كَــــيْفَ أُخْفِــــي فِــــي الحُــــبِّ مَــــا أَظْهَــــرُوهُ

(1) ديوان الحلاج: 133.
(2) الطور: 23.
(3) الإنسان: 21.
(4) الواقعة: 26.
(5) القيامة: 22 - 23.
(6) قوله: وما قتلوه، يراجع: ذكر مقتل الحلاج، لابن زنجي: 98، قال: «وزعم بعض أصحاب الحلاج أن المضروب عدو الحلاج».
(7) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب).

أَمْ كَيْفَ يَكْتُمُ قَلْبٌ بالشَّوْقِ قَدْ مَزَّقُوهُ

❁❁❁

فصل

واعلم أنَّ الأجساد تنمو بنموِّ الأقوات، كذلك الأحوال تصفو بصفاء الأوقات، فقوت جسدك ما غذَّيته به من الطَّيِّبات، وقوت روحك بما ربَّيته به من أقوات الطَّاعات في أوقات الخلوات، وكلَّما صفت الأواني جلت ما فيها من جواهر المعاني، فإذا كانت عين بصيرتك منطمسة، ومنابع فكرك مُنْدَمِسَة[1]، ومعالم علومك مندرسة[2]، وأعلام عزيمتك منتكسة، وخيول همَّتك عن اللِّحاق بالقوم محتبسة، فما بالك والتَّطاول إلى منازل قوم عيون قلوبهم منبجسة[3]، وسرائرهم لأنوار معارفهم من جَذوة الغيب مقتبسة، فلا تدَّع ما ليس فيك، ولا تتمدَّغ بفيك ما ليس فيك، وحسبك ما يعلمه الله منك ويكفيك.

فينبغي لك أن تقف مواقف الأصاغر، وتتأدَّب بآداب الأكابر. هذا موسى كليم الله صلى الله عليه وسلم لمَّا كان طفلا في حجر تربية الحقِّ سبحانه وتعالى ما تجاوز حدَّه، ولا تعدَّى قصده، بل قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4]، فلمَّا كبر وترعرع وبلغ مبلغ الرِّجال، ما رضي بطعام الأطفال، بل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُر إِلَيْكَ﴾[5]، فكان غاية طلبه في طفوليَّة بدايته طعام وشراب، وكانَ منتهى أربه في رجوليَّة نهايته/**101**/ رفع الحجاب ومشاهدة الأحباب.

فإذا تأدَّبتَ بهذه الآداب، تيسَّرت لك الأسباب، وفُتحت لك الأبواب، وإذا وجدتَ من وجد ما لم تكن واجدا، وشهدتَ ما لم تكن مشاهدا، ورأيتَ من ورد ما لم تكن واردا، وسمِعتَ بأرباب الأحوال والموارد، فلا تكن لآيات ربِّك جاحدا،

---

(1) مندمسة: مستورة أو مظلمة. (لسان العرب: 87/6).

(2) مندرسة: مطموسة ومندثرة.

(3) منبجسة: متدفقة.

(4) الأعراف: 143.

(5) القصص: 24.

ولا في تأويلها لاحدا[1]، وسل من أعطاهم أن يعطيك، فإنَّ مولاك ومولاهم واحد.

وقد أشرتُ في هذه الأبيات إلى ما يرشد كلَّ قاصد:

[البسيط]

أَهْدِي إِلَى الشَّذَا مِنْ عَرْفِهِ خَبَراً
فَهِمْتُ بِالسِّرِّ لَمَّا أَنْ إِلَيَّ سَرَى

وَطِبْتُ بَيْنَ أَصْحَابِي وَمَا عَلِمُوا
مَا قَدْ جَرَى مِنْ حَدِيثِ العِشْقِ كَيْفَ جَرَى

تَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سُكْرِي وَلَوْ شَرِبُوا
بِكَأْسِ شُرْبِي لَمَا لامُوا لِمَنْ سَكَرَا

فِي خَمْرَةِ العِشْقِ مَعْنىً لَيْسَ يُدْرِكُهُ
إِلَّا فَتىً مَزَّقَ الأَطْمَارَ وَاشْتَهَرَا

عِنْدِي رُمُوزُ كُنُوزٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا
مِنْ أُمَّةِ العِشْقِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ قَرَا

فَاشْرَبْ بِكَأْسِ صَفَاءٍ قَدْ شَرِبْتُ بِهَا
وَانْظُرْ تَرَى عَلَمَ العِرْفَانِ قَدْ ظَهَرَا

دَعْ مَنْ سَعَى وَدَعَا أَوْ طَافَ مُجْتَهِداً
وَمَنْ أَتَى البَيْتَ وَالأَرْكَانَ وَالحَجَرَا

وَلُذْ بِحَانَةِ ذِكْرِي وَاجْتَلِي قِدْحِي
فِي صَفْوِ حَالِي وَدَعْ مَنْ صَدَّ أَوْ هَجَرَا

طُفْ حَوْلَ كَعْبَةِ قَلْبِي إِنْ عَزَمْتَ عَلَى
وَصْلِ الحَبِيبِ وَدَعْ مَنْ لامَ أَوْ عَذَرَا

(1) لحد: حاد وجار، قال ابن السكيت: المُلْحِدُ العادِلُ عن الحق المُدْخِلُ فيه ما ليس فيه. (لسان العرب: 388/3).

قَـدْ أَوْجَـبَ الحُـبُّ حَجِّـي وَالوُقُـوف عَلَـى
عَـــرَفَاتِ مَعْرِفَتِـــي إِنْ كُـــنْتَ مُقْـــتَدِرَا
فَـــامْحُ العُلُـــومَ وَلا تُبْقِـــي الرُّسُـــومَ وَلا
تَنْظُـــرْ لِإِيَّـــاكَ لا عَيْـــناً وَلا أَثَـــرَا
وَغِـــبْ عَـــنِ الاِسْـــمِ تَـــشْهَدْ عِـــنْدَ غَيْبَـــتِهِ
ذَاكَ المُـسَمَّى فَمِـنْكَ الـسَّمْع وَالبَـصَرَا /103/
هُـــنَاكَ تَـــشْهَدُ أَهْـــلَ العِـــشْقِ كُلِّهِـــمُ
فِـي خِدْمَـةِ الحُـبِّ فِـي حُكْـمِ الهَـوَى أَسَـرَى

فأيُّها الغائب عن حضرة الحبائب إن طلبتَ ما طلبوا وجدتَ ما وجدوا، وإن وردتَ ما وردوا شهدتَ ما شهدوا، فالباب مفتوح للطُّلَّاب لا حاجب عليه ولا بوَّاب، وإنَّما المحجوب عن المسبِّب، من وقف مع الأسباب، وعلى قدر الخطاب يرد الجواب، والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشَّراب، والمحبوب ناظر والمطرود من وقف وراء الحجاب.

فمن أنِس بسواه فهو (مستوحش)[1] منه، ومن ذكر غيره فهو غافل عنه، ومن عوَّل على سواه فهو مشرك به، فإذا لم تجد إليه سبيلا ولا في (ظلِّه)[2] مَقيلا، ثمَّ رأيتَ من أولاه الله جميلا، وأعطاه جزيلا، واتَّخذه صفيا أو خليلا، وألقى إليه من أسرار معرفته قولاً ثقيلا[3]، وباح بما لم يقم لك عليه دليلا، ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[4]، فأحسن النَّاس من أسلم، وأسلمهم من سلَّم، وأحبَّهم إلى الله من استسلم، ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[5].

---

(1) في (ع): (متوحش)، ولا تستقيم معنى، والمثبت من: (ب) و(و) و(س) و(د).
(2) في (ع): (طلبه)، ولا تستقيم معنى، والمثبت من: (و) و(د).
(3) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً**﴾ [المزمل: 5].
(4) الإسراء: 36.
(5) النساء: 59، والإسراء: 35.

ولقد أنصف الإمام أبو حامد الغزالي، رضي الله عنه، حيث أجرى ذكر هذه الطَّائفة في كتابه المنعوت بـ"إِحْيَاء عُلُومِ الدِّين" فقال عند ذكرهم: «هؤلاء غلبت عليهم الأحوال حتَّى قال قائلهم: «سُبْحَانِي»، وقال الآخر: «مَا أَعْظَمَ شَأْنِي»، وقال الآخر: «أَنَا اللهُ»، وقال الآخر: «مَا في الجُبَّةِ إِلَّا اللهُ»، فهؤلاء قوم سكارى ومجالس السُّكر تُطوى ولا تُحكى معناه، تسلَّم/**104**/ إليهم أحوالهم، ولا تردُّ عليهم أقوالهم، لأنَّ كلامهم نطق عن ذوق وشوق، فمن ذاق عرف، ومن لم يذق لا حرج عليه إذا سلَّم واعترف»[1].

❁❁❁

فصل

واعلم أنَّ طائفة ممَّن عدموا العقل وخالفوا النَّقل عدلوا عن الحقِّ فصدُّوه، وعمدوا إلى هذا الباب فسدُّوه، وقالوا بإبطال كرامة الأولياء، ومكاشفات الأصفياء، كالمعتزلة في اعتزالهم ومن وافقهم على ضلالهم، وقالوا: لا تكون هذه الكرامات والمعجزات إلَّا للأنبياء ومن ادَّعى ذلك سواهم فهو محال[2]، نكذِّبهم في ما أنكروه وجحدوه بالعقل والنَّقل[3].

فأمَّا العقل فمن وجهين:

أحدهما: أنَّه لا معنى للكرامة إلَّا ما يكشف الله تعالى لعبده ويطلعه عليه من حقائق الأشياء، وهذا من مقدور الله تعالى داخل تحت مشيئة الله تعالى، فيجب وصف الله تعالى به، وبالقدرة على إيجاده، فكيف يستحيل وجوده مع قدرة الله تعالى عليه.

وكما لا معنى للنَّبي إلَّا أنَّه عبد اختصَّه الله تعالى وأطلعه على غيبه وكاشفه بحقائق الأشياء، كذلك الولي عبد كاشفه الله بما شاء من غيبه ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ**

---

(1) لم نقف عليه.

(2) احتج المعتزلة في إنكارهم للكرامة بسبعة أمور تراجع في: الكواكب الدرية: 1/64 - 65، ورد عليها الشيخ المناوي يراجع رده في: الكواكب الدرية: 1/ 66 - 68.

(3) للمؤلف كتاب في الموضوع سمَّاه: " شرح أحوال الأولياء ومناقب الأتقياء".

مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]، وهي في حقِّ النَّبي معجزة، وفي حقِّ الولي كرامة، ثمَّ إنَّها ملحقة بمعجزات نبيِّه منسوبة إليه؛ لأنَّ الكرامة لا تظهر إلَّا على من صدق في إيمانه وإسلامه، وإيمانه وإسلامه مستفاد من ذلك النَّبي ومن بركته/**105**/، فكلُّ ما (ظهر)[2] على هذا الولي من كرامة كانت ملحقة بمعجزات نبيِّه ولا تكون في رتبة النُّبوُّة.

والفرق بين المعجزة والكرامة، أنَّ المعجزة يدَّعيها النَّبي لنفسه ويستدعيها متى أراد، والكرامة لا يدَّعيها الولي لنفسه ولا هي بحكمه، بحيث يستدعيها حيث أراد، بل تارة تظهر عليه اختيارا، وتارة تظهر عليه اضطرارا، وتارة لا تظهر، وليس من شرط الولي أن تكون له كرامة ولا يؤثِّر ذلك في ولايته، ولا كذلك النَّبي، فإنَّه يجب أن تكون له معجزة لأنَّ الرُّسل والأنبياء بعثوا حجَّة على النَّاس، يدعونهم إلى الله سبحانه وتعالى، فلابدَّ لهم من المعجزة لإقامة البرهان.

وقد سُئل أبو يزيد[3]، عن هذه المسألة فقال: «ما مثل ما حصل للأنبياء عليهم السَّلام إلا كمثل زِقٍّ فيه عسل يترشَّح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما حصل لسائر الأولياء، وما في الزِقِّ مثل ما حصل لنبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم»[4].

ثمَّ الخلائق مفتقرون إلى ظهور معجزة النَّبي لأنَّه مبعوث إليهم ليصدِّقوه، وأمَّا الولي فلا يفتقر إلى ذلك ولا يبالي صدَّقوه أو كذَّبوه.

وقد اختلف أهل العلم في الولي هل من شرطه أن يعلم أنَّه ولي أم لا، فكان الإمام أبو بكر بن فورك[5] يقول: «لا يجوز أن يعلم أنَّه ولي لأنَّ ذلك يسلبه

---

(1) الحديد: 21، والجمعة: 4.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) (و) و(س).

(3) هو أبو يزيد البسطامي، سبقت ترجمته.

(4) الرسالة القشيرية: 159.

(5) هو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأنصاري الأصبهاني، إمام فقيه أصولي متكلم واعظ، توفي مسموما شهيدا. (طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: 1/ 127 - 135، وسير أعلام النبلاء: 214/17 - 216).

الخوف ويوجب له الأمن»[1].

وأمَّا الَّذي يؤثره أهل التَّحقيق، وهو الحقُّ، أنَّه يجوز[2]، وليس بواجب أنَّ الولي لا يعلم نفسه بل يجوز أن يعلم بعضهم، فمن علم أنَّه ولي كانت كرامة[3] في حقِّه، إذ أطلعه الله على ما وهبه/**106**/ وكشف له ما كان حجبه.

ومن قال: «إنَّ ذلك يَسلُبه الخوفَ»[4]، فهو ضعيف لأنَّ من كان بالله أعرف، كان من الله أخوف، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "**أَنا أعرفكم بالله وأشدُّكم خوفاً منه**"[5]، فمن عرَّفه الله نفسه اشتدَّت مهابتُه وتعظيمُه لله، وتلك الهيبة من معرفة الله تزيد على أضعاف من مخافات الخائفِين.

ومن شرط الولي، وإن علم نفسه أنَّه ولي، أن يستصحبَ الخوفَ ولا يفارقه ولا يسكن إلى تلك الكرامات ولا يلاحظها، ولا يُساكنها بقلبه مخافة أن يكون ذلك

---

(1) والرسالة القشيرية: 158.

(2) هذا مذهب أبي علي الدَّقاق والقشيري صاحب الرسالة والسبكي صاحب طبقات الشافعية وغيرهم، وقد انتصر لرأي أبي القاسم السبكي بقوله: «وما ذكره أبو القاسم هو الحق الذي لا مِرية فيه والعلم بالولاية لا ينافي الخوف بل ولا النبوة ألا ترى أن الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام أكثر النَّاس خوفا لربهم تعالى وهم يعلمون أنهم أنبياء». (طبقات الشافعية الكبرى: 135/4).

(3) ونحو هذا قول ابن شرف: «وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون لكل ولي يعلم أنه ولي واجبا ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما لا يجوز أن يعلم بعضهم فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له». (بستان العارفين: 1/ 22).

(4) القول لابن فورك.

(5) المقاصد الحسنة: 53/1، وأخرج البخاري في صحيحه: الحديث: 19 من حديث عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: "**كان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إذَا أمرهم من الأعمال بما يُطيقون قالوا إنَّا لسنا كهيئتك يا رسولَ الله إنَّ الله قد غفر لك ما تقدَّم من ذنبكَ وما تأخَّر، فيغضب حتَّى يُعرفَ الغضبُ في وجهه ثمَّ يقول إنَّ أتقاكم وأعلَمَكم بالله أنا**"، وبهذا الحديث استدل الحافظ السَّخاوي وشيخه على صحَّة الحديث المذكور وذلك حملا على ترادف اللفظتين: "**أعرفكم**" و"**أعلمكم**"، ويقوي صحَّته أيضا الحديث الَّذي أخرجه الحاكم في مستدركه، الحديث: 1742، عن جابر ابن عبد الله قوله صلى الله عليه وسلم: "**فأنا، والله أعلمكم بالله وأتقاكم له**".

استدراجا، فهو في سائر حالاته يكون خائفاً راجيا.

قال السَّري السَّقطي رضي الله عليه: «لو أنَّ رجلاً دخل بستاناً فيه أشجارٌ كثيرةٌ على كلِّ شجرة طائرٌ يقولُ له بلسانٍ فصيح: عليك السَّلام يا ولي الله، فلو لم يخف أنَّه مكر فهو ممكور به»[1].

وأمَّا الوجه الثَّاني من العقل فهو عجائب ما يراه النَّائم من عجائب الرُّؤيا الصَّادقة والكشوفات الخارقة وذلك بمشاهدة روحه للمَلَكوتيات الغَيْبيات ثمَّ يظهر صدق ذلك في اليقظة.

ولا معنى للرُّؤيا إلَّا رُكونُ الحواسِّ وخُمودها، وخُنوسها عن الإحساس وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكأنَّ الولي إذا مَنع نفسه عن الشَّهوات ضعفت قُوى الحواسِّ حتَّى صارت كالمعدومة؛ لأنَّها هي الَّتي تشغل عن الاطِّلاع على المَلَكوتيات الغَيْبيَّة لأنَّ الرُّوح من هناك أُقْتُنِصت/**107**/، وفي هذه الهياكل حُبِست، فإذا ضَعُفَت القُوى النَّفْسانية الجُثْمانية، قَوِيَت القُوى الرُّوحانية النُّورانية، فتصفو الرُّوح وتتلطَّف النَّفس بالرِّياضات فتشاهد في اليَقظة ما تشاهده أنت في نومك عند خُمود إحساسك، وكم من مستيقظ لا يبصر من يُحاذيه، ولا يسمع من يُناديه، **﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾**[2].

فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون الوليُّ معصوما أم لا؟

فنقول: لا يجب أن يكون معصوما، لأَنَّ العصمة لا تكون إلَّا للأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، **أمَّا** الأولياء فجائز أن تبدوا منهم الهفوات والزَّلَّات، وإنَّما من الجائز أن يكون محفوظا من الإصرار على الزَّلَّات والأوزار، ولا يمتنع أن تبدو منه زلَّة أو هفوة.

وقد سُئل الجُنيد رضي الله عنه عن العارف هل يزني؟ فأطرق مَلِيّاً ثمَّ رفع رأْسه وقال: **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾**[3].

(1) الرسالة القشيرية: 159، وبستان العارفين، لابن شرف النووي: 23/1.
(2) الأعراف: 198.
(3) الأحزاب: 38.

واعلـم أنَّ أجـلَّ الكـرامات الَّتـي تكـون للأولـياء دوام التَّوفـيق للطَّاعـات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات.

وأمَّـا مـا يكـذِّبهم مـن الـنَّقل، فكـتاب الله تعالـى وسُـنَّة رسـوله صـلَّى الله علـيه وسلَّم.

فأمَّا الكتاب ما أظهره الله سبحانه وتعالى من الكرامة في قصَّة مريم عليها السَّلام، وليست بنبي في قصَّتها مع زكريَّا عليه السَّلام: **﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا/108/ زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾**[1] الآية، وهذه كرامة ظاهرة. وكذلك قصَّتها في النَّخلة، **﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾** [2]الآية.

وكذلك قصَّة أهل الكهف[3] وما ظهر من عجائب كلام الكلب، ومن قصَّة الخَضِرِ عليه السَّلام مع موسى صلى الله عليه وسلم[4]، وما فيها من الكرامات، وليس بنبي. ومن ذلك قصَّة صاحب سليمان عليه السَّلام الَّذي أتاه بعرش بَلْقِيس قبل أن يرتدَّ إليه طرفه[5]، وما خصَّه الله به ممَّا لا يدخل تحت قدرة سليمان عليه السَّلام.

وأمَّا الأخبارُ في ذلك فمنها ما ورد في الصَّحِيح من حديث جُرَيج الرَّاهب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لم يتكلَّم في المهد إلَّا ثَلاثَة عيسى ابن مريم، وصبي جُريج وصبي آخر، فأمَّا عيسى فقد عرفتموه، وأمَّا جُرَيْجٌ فكان عابداً في بني إسرائيل وكانت له أمٌّ فكان يوماً يُصلِّي إذا اشتاقت إليه أمُّه فقالت: يا جُريج، فقال: يا ربِّ الصَّلاةُ خيرٌ لي أم إجابتُها؟ ثـمَّ صلَّى، ودعته فقال مثل ذلك وصلَّى، فَدعته**

(1) آل عمران: 37.

(2) مريم: 25.

(3) تراجع قصة أهل الكهف في سورة الكهف: 9 - 26.

(4) تراجع القصة في سورة الكهف: 65 - 82.

(5) فيه تلميح إلى قوله تعالى: **﴿قال يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قال عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قال الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** [النمل: 38 - 40]، وأما المراد بصاحب سليمان عليه السلام ففي اسمه أقوال أحدها آصف بن برخيا قاله ابن عباس رضي الله عنه. (تفسير ابن كثير: 378/22).

فقال مثل ذلك، فاشتدَّ على أُمِّه، فقالت: اللَّهمَّ لا تُمته حتَّى تُرِيَه المُومِسات، وكانت زانية في بني إسرائيل، فقالت لهم أنا أَفْتِنُ لكم جُرَيْجاً حتَّى يزني، فلم تقدر منه على شيء، وكان راعٍ يأْوي باللَّيل إلى صومعته، فلمَّا أَعْياها راودت الرَّاعي على نفسها فأتاها فولدَتْ ثمَّ إنَّها قالت: ولدي هذا من جُرَيْج، فأتاه بنو إسرائيل فكسَّروا صومعته وشتموه ثمَّ صلَّى ودعا، ثمَّ نَخَس الغلام. فقال أبو هريرة، وهو الرَّاوي، فكأنِّي أنظر إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم حيث قال/109/ بيده: يا غلامُ من أبوك؟ فقال: الرَّاعي، فندموا على ما كان منهم فاعتذروا إليه، وقالوا: نبني لك صومعتَك من ذهبٍ أو من فضَّة، فأبى عليهم، فبناها كما كانت.

وأمَّا الصَّبي الآخر فإنَّ امرأةً كان معها صبي تُرضعه إذ مرَّ عليها شابٌّ جميل ذو شارة، فقالت: اللَّهمَّ اجعل ولدي مثل هذا، فقال الصَّبي: اللَّهمَّ لا تجعلني مثله، قال أبو هريرة: كأنِّي أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يحكي الغلام وهو رضيع، ثمَّ مرَّت بها امرأةٌ ذكروا أنَّها سرقتْ وزنتْ وعوقبت فقالت: اللَّهمَّ لا تجعل ابني مثل هذه فقال الغلام: اللَّهمَّ اجعلني مثلَها، فقالت له أمُّه في ذلك، فقال: إنَّ الشَّابَّ جبَّارٌ من الجبابرة، وإنَّ هذه قيل: إنَّها زنت ولم تَزْن، وقيل سرقتْ ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله". وهو حديث صحيح[1].

ومن ذلك حديث الغار وهو صحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلق ثَلاثَةُ رَهْطٍ ممَّن كان قبلكم فَآوَاهم المَبيتُ إلى غار، فَدخلوا فَانحدرتْ عليهم صخرةٌ من الجبل فسدَّتْ عليهم الغار فقالوا: والله لا يُنجيكم من هذه إلَّا أن تدعوا اللهَ بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللَّهُمَّ إنَّه كان لي أبوان شيخان كبيران لا أُغْبِقُ قبلهما أهلا ولا مالا، فبينما أنا في ظلِّ شجرة نائم يوماً فلم أَرُح إليهما حتَّى ناما، فحلبتُ لهما غَبُوقَهما فجئتهما به، فوجدتهما نائمَيْن فتحرَّجتُ أن أُوقِظهما، وكَرِهتُ أَن أَغْبِقَ قبلَهما أهلاً ومالا، فقمتُ والقِدْحُ في يدي أنتظر استيقاظهما/110/ حتَّى برق الفجرُ فاستيقظا فشربا غَبُوقَهما. اللَّهُمَّ إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فأفرج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصَّخرة، فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون

(1) صحيح البخاري، الحديث: 3181، وصحيح مسلم، الحديث: 4626.

الخروج منه".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**وقال الآخرُ اللَّهُمَّ إنِّي كانت لي ابنة عمٍّ، وكانت أحبَّ النَّاس إليَّ فراودتها عن نفسها، فامتنعتْ منِّي حتَّى ألَمَّت بها سنة من السِّنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومِائة دينار على أن تُخلي بيني وبين نفسها ففعلتْ حتَّى إذا قدرتُ عليها قالت: اتَّق اللهَ ولا تفضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحقِّه، فتحرَّجتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ النَّاس إليَّ وتركتُ الَّذي أعطيتها. اللَّهُمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرة غير أنَّهم لا يستطيعون الخروج منها**".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ثمَّ قال الثَّالثُ اللَّهُمَّ إنِّي استأجرتُ أُجَراءَ فأعطيتهم أجورَهم غير رجل واحد منهم ترك الَّذي له عندي وذهب، فثمَّرتُ أُجرته حتَّى كثرت منها الأموال، فجاء بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إليَّ أُجرتي، فقلتُ له: كلُّ ما ترى ها هنا من أُجرتك من الإبل والبقر والغنم والرَّقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت: إنِّي لا أستهزئ بك، فأخذ ذلك كلَّه فاستاقه فلم يترك منه شيئا. اللَّهُمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء لوجهك الكريم، فأفرج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرةُ وخرجوا من الغار يمشون**".

وهذا حديث صحيح متَّفق على صحَّته[1].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: "**بينما رجل يمشي يسوقُ بقرةً وقد حَمَلَ عليها فالتفتت/111/ البقرةُ وقالت: إنِّي لم أخلق لهذا وإنَّما خلقتُ للحرث، فقال النَّاس سبحان الله بقرةٌ تتكلَّم، فَقال رسولُ الله**

(1) صحيح البخاري، الحديث: 2111، عن عبد الرحمان بن عوف عن أبي هريرة، وصحيح مسلم، الحديث: 4229، عن سعيد بن المُسيب وأبو سَلَمة عن أبي هريرة، وتمام حديث مسلم: "**قال أبو هريرة قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "بينا راعٍ في غنمه عَدَا عليه الذِّئبُ فأخذ منها شاةً فطلبه الرَّاعي حتَّى استنقذها منه فالتفتَ إليه الذِّئبُ فقال له من لها يومَ السَّبُعِ يومَ ليس لها راعٍ غيري؟ فقال النَّاس: سبحان الله، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: فإنِّي أومنُ بذلك أنا وأبو بكر وعمر**".

صلى الله عليه وسلم: آمنتُ بهذا، وآمن أبو بكر وعمر"، وهذا خبر صحيح[1].

ومن ذَلك ما رُوي عن ابن عمر، رضي الله عنهما، كان في بعض الأسفار فلقيَ جماعة قد وقفوا على الطَّريق من خوف السَّبُع، فطرد السَّبُعَ من طريقهم حين نزل إليه وأمسك بأذُنيْه، ثمَّ قال: "**إنَّما يُسلِّطُ على ابن آدم ما يخافُه، فلو لم يخف غيرَ الله لما سلَّطَ عليه شيئا**"، وهذا خبر مشهور.

ومن ذلك الحديث الصَّحيح: "**فَإنْ يكن من أمَّتي مُكلَّمون فَأنت منهم يا عمر**"[2].

ومن ذلك قصَّة سَارِيَة مع عمر رضي الله عنه وهو يُناديه على مِنبره: "**يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ**"[3]، وساريَةُ[4] حينئذ في نَهَاوَنْد في قتال أعداء الله تعالى، فأسمعه الله صوته.

ومن ذَلك ما رُوي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء ابن الحَضْرَمي[5] في غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله تعالى باسمه الأعظم فمشوْا على الماء[6].

---

(1) صحيح البخاري، الحديث: 3390، عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر، وصحيح مسلم، الحديث: 4229، عن نافع عن عبد الله بن عمر.

(2) طرح التثريب، للعراقي: 188، عن أبي هريرة، وفيه برواية: "**كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ مُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمَّتي أَحدٌ فعمر**".

(3) أي الزم الجبل، أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة، 140/2، "**عن نافع أن عمر بعث سرية استعمل عليها رجلا يقال له: سارية. فبينا عمر رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة فقال: يا سارية الجبل يا سارية الجبل فوجدوا سارية قد انحاز إلى الجبل في تلك الساعة يوم الجمعة وبينهما مسيرة شهر**".

(4) هو سارية بن زُنيم بن عمرو الصحابي الشاعر. (أسد الغابة: 364/2 - 365، والإصابة: 3/ 4 - 6).

(5) هو العلاء بن عبد الله بن عمار الحضرمي من الصدف من حضرموت، كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وتوفي وهو عليها. (الاستيعاب: 1085/3 - 1087، والإصابة: 541/3).

(6) كان الحضرمي رضي الله عنه مستجاب الدعوة، ودعاؤه الذي دعا به في ما رواه أنس =

ومن ذلك الحديث الصَّحيح: "**ربَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرَيْن لا يُؤبه به لو أقسم على الله لأبرَّه**"[1].

وهذه الأخبار حذفنا أسانيدها لشهرتها وصحَّتها والاستقصاء على ما جاء وصحَّ من كرامات الأولياء وعجائب أحوالهم وغرائب مواهبهم يؤدِّي إلى الإكثار والإطناب وليس هو القصد ها هنا. وإنَّما القصد إقامة الدَّليل على صحَّة كراماتهم ووجود مُكاشفاتهم، إرغاماً للجاحدِين وإبطالا لقول اللَّاحدين، وكيف لا يمكن إبطال ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اتَّقوا فِراسةَ/112/ المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله تعالى**"[2]، وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[3]، قال أهل التَّفسير: أي المُتَفَرِّسين[4].

وقد صحَّ عن عثمان بن عفَّان، رضي الله تعالى عنه، أنَّه دخل عليه إنسان وقد نظر إلى امرأَة في السُّوق فقال عثمان رضي الله عنه: يدخل عليَّ أحدكم وآثار الزِّنى في وجهه، فقال الرَّجل: أَوَحْيٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، ولكنَّه ميزة وفراسة صادقة

فلا يُنكر ذلك إلَّا طاعن في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم والمُتكاشِفين من الصَّحابة والتَّابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

❁❁❁

وأبو هريرة وسهم بن منجاب عن منجاب بن راشد رضي الله عنهم أنهم غزوا مع العلاء الحضرمي على البحرين، فقال: يا أرحم الراحمين، يا عليم يا حكيم، يا علي، يا عظيم، يا عزيز يا كريم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اجعل لنا سبيلا إلى عدوك، ثم قال: أجيزوا بسم الله، قال: فأجزنا. (سبل الهدى والرشاد، للشامي الصالحي: 241/10).

(1) سبق تخريجه.

(2) سنن الترمذي، الحديث: 3052، عن أبي سعيد الخدري.

(3) الحجر: 75.

(4) تفسير الطبري: 120/17، قاله ابن مجاهد، والدر المنثور، للسيوطي: 91/5، قاله أبو سعيد الخدري.

فصل

واعلم أنَّ هذه الأوصاف الشَّريفة لا تكون إلَّا لمن شَرُفت أوصافه، وصفت أحواله، وخلُصت أعماله، وصدقت أقواله، وقصُرت آماله وقام بما عليه وترك ما له، ولا يتشوَّف إلى ذلك ولا يستدعيه، ولا يتعاطاه ولا يدَّعيه، ولا يُظهر من الخير ما ليس فيه، ولا يكتم من حاله ما الله مُبديه، فإنَّ المعالي لا تثبت بالدَّعاوى، والأَمانِي لا تُنال بالتَّوانِي، وإنَّما المعالِي تحصل بالتَّقوى، والصَّبر على البلوى، والتَّوكُّل على الله في السِّرِ والنَّجْوى، فمن اتَّقى ارتقى بالتُّقى، وإلَّا هبط في مهاوِي الشَّقا.

وأمَّا من ظهر من جُهَّالِ الطَّريق، وبرز بالعُدول عن التَّحقيق، وتقشَّف تَقَشُّف أهل التَّجريد والتَّمزيق، حتَّى أوقع عقول العامَّة في الحرج والضِّيق، وهَوَوْا بأهوائهم في مكان سحيق، فأُولئك، والله، هم الأسوءون حالا، الأخسرون أعمالا، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1].

ولقد سئلتُ عن الفقير[2] وما صفته، فقلتُ/113/: أيُّها المُرائي باللِّباس، المُساوي بين الحقِّ والباطل بالالتباس، أتظنُّ أنَّ التَّكحُّل كالكَحَل[3] في القياس، أو تعتقد أنَّ من أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان كمن بنى بلا أَساس[4]، تبّاً لقوم

---

(1) الكهف: 104.

(2) قال عم المؤلف عبد الله بن غانم في الفقير:

فاء الفقير فناؤه عن ذاته	وفراغُه من نفسه وصفاتِه
والقافُ قوَّة قلبه بحبيبه	وقيامُه بالصِّدق في مَرضاته
والياءُ يرجو ربَّه ويخافه	ويقوم في التَّقوى بحق تقاته
والرَّاءُ رقَّة قلبه وصِياؤه	ورجوعُه لله عن شهواته

(ذيل مرآة الزمان: 1/ 360).

(3) **الكَحَلُ**: أن يعلو منابت الأشفار سوادٌ خلقةً، **والتكحل**: أن تسود مواضع الكحل. وفيه تلميح إلى المثل: "ليس التَّكَحُّل في العينين كالكَحَل" زهر الأكم لليوسي: (305/2)، ونحوه المثل: "إنَّ التخلق يأتي دونه الخلُقُ". زهر الأكم: (148/1)، ويراد منه أن الشيء إن كان طبعا أفضل مما يأتي بالطَّلب والتَّكلُّف.

(4) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ =

صرفتهم النُّفوس عن المنفوس، وقلبهم المحسوس إلى الرَّأي المعكوس، ورضوا من الفقر بحلق الرُّؤوس وترقيع الملبوس، واقتصروا في العبادة على حمل السَّجَّادة، وفي الزَّهادة على تخشين الوِسادة. أقرُّوا بالتَّوبة، وأصرُّوا على الحَوْبة، حملوا السُّبحة للمدحة، ولبِسوا (الطَّاقيَّة)[1] للبقية، واعتمدوا على العكَّازِ ليقال إنَّه قد فاز، سبَّحوا ليحمدوا، وذكروا ليذكروا، وصلوا ليوصلوا، وصاموا ليسالموا، واجتمعوا للبدعة، واستمعوا للسُّمعة، وخشعوا للرِّفعة، فتطوُّعهم للطَّمع، لا للورع، وتخشُّعهم للرِّئاسة، لا للسِّياسة، إن صحبوا ملُّوا، وإن وُهبوا غلَوا، وإن (**خوِّفوا قلُّوا**)[2]، وإن نوقشوا ذلُّوا، إن أعطوا كتموا، وإن مُنعوا شتموا، وإن أخذوا المال بغير حقِّه قالوا: تمتَّعنا برزقه، وإن صالوا على أحد من خلقه قالوا: صولة لحقِّه.

اعتقدوا أنَّ الرِّيبة مُثيبة، واعتمدوا أنَّ الغِيبة طيِّبة، إن جادلوا بغير علم قالوا فَتْحا، وإن خرجوا عن الشَّريعة قالوا شَطْحا.

فو الَّذي ذلَّ الملوك، وأعزَّ العبد المملوك، وهيَّأ السَّالك للسُّلوك، لا يُقبل فقرُك إن لم يكن إليه، ولا يُرفع قدرُك إن لم تتَّضع لديه، ولا تُفيد دُلُوقُك حتَّى تلوح من أفق التَّوفيق بُرُوقُك، ولا تُسمع دعواك حتَّى تقومَ بيِّنةُ معناك، ولا تُقبل طَوَاقيك مع وجود بَواقيك، ولا تنتفع بتسبيحك مع وجود تقبيحك، ولا يقوم تجريدُك بتبديدك/**114**/، ولا تزهيدُك بتقييدك، ولا تَمزيقُك بتزويقك، وعار عليك تُمزِّق الخِرق، قبل أن تُمزِّقك الحُرق. ظلمة نفسك تحجُبُ شمسَ قدسك، ومألوفُ حسِّك يوحشُك من حضرة أُنْسك، ودخَّان خيالك يُسَوِّدُ وجهَ خِلالك، وعواصف فخرك تنسِف جبال فقرك، تأكلُ أكل البهيم[3]، وتشرَب شرب الهِيم[4]، وتتخلَّق

بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 109].

(1) في (خ): (الطقية)، والمثبت من: (و).

(2) في (ع): (حوقفوا فلوا)، والمثبت من: (د)، والمراد إن اختبروا بامتحان المحن قلوا.

(3) كذا في: (خ) و(و) و(ب)، واستعملها طلبا للتسجيع، والصواب: البهائم.

(4) **الهيم**: جمع أهيم، وهي الإبل التي أصابها داء فلا تروى الماء، وفيه تلميح إلى قوله تعالى:

بالخلق الذَّميم، وليس هذا هو الأمرُ القويم، ولا الطَّريقُ المستقيم.

وإنَّما المراد من المريد صدقُ الطَّلب وحسنُ الأدب، وصحَّةُ التَّربيَّة، ولو لبِس الأقبية، والقيام بالأوامر ولو أنَّه أمير آمر، وتمزيق النُّفوس قبل تمزيق الملبوس، وتصفية القلوب قبل تنقية الجيوب، والشُّروع في الشَّريعة قبل الشُّروع في الشيعة، والتَّحقيق بالحقيقة قبل الجواز في الطَّريقة، فإنَّه لا يُنال الثَّوابُ بترقيع الأثواب، ولا يرتفعُ الحجاب لمن يَخْطُرُ في ثياب الإعجاب، ولا يجلِسُ على موائد الأحباب من لم يذق لُبَابَ أُولي الألباب، ولا يسلُكُ طريقَ الإيجاب إلَّا من أجاب، ولا يثبتُ المقام إلَّا لمن استقام، ولا يصحُّ الحالُ لمدَّعي المُحال، ولا يرتقي إلى ذلك الفناء إلَّا من فنى في الفنا، ولا تصحُّ الإرادة إلَّا بترك العادة، ولا يُعرَفُ المعروفُ إلَّا بترك المألوف، ولا يَعرِفُ التَّفرقةَ والجمعَ إلَّا من علم حقيقة الشَّرع، ولا ينال الكرامة، إلَّا من قال للكرى مه[1]، ولا تظهر الكشوف لمن أعماله زُيوف، ولا تصدق الفِراسة، لمن طلب الرِّياسة، ولا يحسب الحضور، لمرتكب المحظور، ولا يصحُّ الوجد والوجود إلَّا لمن جاد/**115**/ بالموجود.

كيف يُنسخ الضِّيا بالضَّباب؟

أم كيف يُغني السَّراب عن الشَّراب؟

أم كيف يعرف ذوق الشَّراب من قلبه خراب؟

أم كيف يصل إلى الأعتاب من هو إلى الآن ما تاب؟

كيف تقبل توبة الكذَّاب وهو من خوف العذاب ما ذاب؟

كيف يُفتح الباب لمن هو غائب ما آب؟

كيف يسمع الخطاب من هو من الخبث ما طاب؟

﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: 52 - 55].

(1) **مه**: أكفف، يقال: مهمهه قال له: مه مه. (القاموس المحيط: 387/3). وبين الكرامة والكرى مه جناس تركيب. (يراجع: خزانة الأدب، للحموي: 54/1 - 63، والصنيع البديع، لابن زاكور الفاسي: 75 - 76).

كيف يُشاهد الأحباب من هو محجوب محسوب مع الغياب؟

وقلتُ في معنى ذلك هذه القصيدة:

[البسيط]

بِالذَّوْقِ وَالشَّوْقِ نَالُوا عِزَّةَ الشَّرفِ ... لا بِالدُّلُوقِ وَلا بِالعُجْبِ وَالصَّلَفِ[1]

وَمَذْهَبُ القَوْمِ أَخْلَاقٌ مُطَهَّرَةٌ ... بِهَا تَخَلَّقَتِ الأَجْسَادُ فِي النُّطَفِ

صَبْرٌ وَشُكْرٌ وَإِيثَارٌ وَمَخْمَصَةٌ ... وَأَنْفُسٌ تَقْطَعُ الأَنْفَاسَ بِاللَّهَفِ

وَالزُّهْدُ فِي كُلِّ فَانٍ لا بَقَاءَ لَهُ ... كَمَا مَضَتْ سُنَّةُ الأَخْيَارِ وَالسَّلَفِ

قَوْمٌ لِتَصْفيةِ الأَرْوَاحِ قَدْ عَمَدُوا ... وَسَلَّمُوا عَرْضَ الأَشْبَاحِ لِلتَّلَفِ

لا بِالتَّخَلُّفِ فِي المَعْرُوفِ تَعْرِفُهُمْ ... وَلا التَّكَلُّفِ فِي شَيْءٍ مِنَ الكُلَفِ

مَا ضَرَّهُمْ رَثُّ أَطْمَارٍ وَلا خُلُقٍ ... كَالدُّرِّ مَا ضَرَّهُ مُخْلَوْلَقُ الصَّدَفِ

وَا شِقْوَتِي إِذْ تَوَلَّتْ أُمَّةٌ سَلَفَتِ ... حَتَّى تَخَلَّفَتْ فِي خَلْفٍ مِنَ الخَلَفِ[2]

يُنَمِّقُونَ تَزَاوِيقَ الغُرُورِ لَنَا ... بِالزُّورِ وَالبُهْتِ وَالبُهْتَانِ وَالحَلَفِ

لَيْسَ التَّصَوُّفُ عُكَّازاً وَمِسْبَحَةً ... كَلَّا وَلا الفَقْرُ رُؤْيَا ذَلِكَ التَّرَفِ

وَأَنْ تَرُوحَ وَتَغْدُو فِي مُرَقَّعَةٍ ... وَتَحْتَهَا مُوبِقَاتُ الكِبْرِ وَالسَّرَفِ

وَتُظْهِرُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ عَلَى ... عُكُوفِهَا كَعُكُوفِ الكَلْبِ فِي الجِيَفِ/116/

الفَقْرُ سِرٌّ وَعَنْكَ النَّفْسُ تَحْجُبُهُ ... فَارْفَعْ حِجَابَكَ تَجْلُو ظُلْمَةَ السَّرَفِ

وَفَارِقِ الحُسْنَ وَافْنِ النَّفْسَ فِي نَفْسٍ ... وَغِبْ عَنِ الحِسِّ وَاجْلُبْ دَمْعَةَ الأَسَفِ

وَاخْضَعْ لَهُ وَتَذَلَّلْ إِنْ دُعِيتَ لَهُ ... وَاعْرِفْ مَحَلَّكَ مِنْ إِيَّاكَ وَاعْتَرِفِ

وَقِفْ عَلَى عَرَفَاتِ الذُّلِّ مُنْكَسِراً ... وَحَوِّلْ كَعْبَةَ عَرَفَاتِ الصَّفَا فَطُفِ

وَادْخُلْ إِلَى خَلْوَةِ الأَفْكَارِ مُبْتَكِراً ... وَعُدْ إِلَى حَانَةِ الأَذْكَارِ بِالصُّحُفِ

وَاتْلُ المَثَانِي وَوَحِّدْ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى ... ذِكْرِ الحَبِيبِ وَصِفْ مَا شِئْتَ وَاتَّصِفِ

وَإِنْ سَقَاكَ مُدِيرُ الرَّاحِ مِنْ يَدِهِ ... كَأْيِ التَّجَلِّي فَخُذْ بِالطَّاسِ وَاغْتَرِفِ

---

(1) الصَّلف: التِّيه والكبر والتمدح بما ليس عندك. (القاموس المحيط: 400/2).

(2) عجز البيت مكسور.

وَاشْرَبْ وَغَنِّ وَلا تَمْنَعْ لِذِي ظَمَإٍ ... فَإِنْ رَجَعْتَ بِلَا رَيِّ فَوَا أَسَفِي

ولقد أضفتُ إلى الأبيات[1] أبياتاً أُخَرَ قلتهنَّ في معنى ذلك أختم بها هذا الكتاب، والله الموفِّق للصَّواب.

[الكامل]

ذَهَبَ الرِّجَالُ وَحَالَ دُونَ مَجَالِهِم ... زُمَرٌ مِنَ الأَوْبَاشِ وَالأَنْذَالِ[2]

زَعَمُوا بِأَنَّهُمْ عَلَى آثَارِهِم ... سَارُوا وَلَكِنَّ سِيرَةَ البَطَّالِ

لَبِسُوا الدُّلُوقَ مُرَقَّعاً وَتَقَشَّفُوا ... كَتَقَشُّفِ الأَقْطَابِ وَالأَبْدَالِ

قَطَعُوا طَرِيقَ السَّالِكِينَ وَأَظْلَمُوا ... سُبُلَ الهُدَى بِجَهَالَةٍ وَضَلالِ

عَمَّرُوا ظَوَاهِرَهُمْ بَأَثْوَابِ التُّقَى ... وَحَشَوْا بَوَاطِنَهُم مِنَ الأَدْغَالِ

إِنْ قُلْتَ: قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ ... هَمَزُوكَ هَمْزَ المُنْتَهِي المُتَغَالِي

وَيَقُولُ قَلْبِي قَالَ لِي عَنْ سِرِّهِ ... عَنْ سِرِّ سري عن (صَفا) أَحْوَالِي[3]

عَنْ حَضْرَتِي عَنْ فِكْرَتِي عَنْ خَلْوَتِي ... عَنْ جَلْوَتِي عَنْ شَاهِدِي عَنْ حَالِي

عَنْ صَفْوِ وَقْتِي عَنْ حَقِيقَةِ حِكْمَتِي ... عَنْ ذَاتِ ذَاتِي عَنْ صِفَاتِ فِعَالِي

دَعْوَى إِذَا حَقَّقْتَهَا أَلْفَيْتَهَا ... أَلْقَابَ زُورٍ لُفِّقَتْ بِمُحَالِ /117/

تَرَكُوا الشَّرَائِعَ وَالحَقَائِقَ وَاقْتَدَوْا ... بِطَرَائِقِ الضَّلَالِ وَالجُهَّالِ

جَعَلُوا المِرَا فَتْحاً (وَأَلْفَاظَ الخَنَا) ... شَطْحاً وَصَالُوا صَوْلَةَ الإِذْلالِ[4]

وَتَرَصَّدُوا أَكْلَ الحَرَامِ تَخَادُعاً ... كَتَخَادُعِ المُتَلَصِّصِ المُحْتَالِ

فَهُنَاكَ طَابَ المُخْلِصُونَ وَأَصْبَحُوا ... مُسْتَتِرِينَ بِصُورَةِ الأَشْكَالِ

---

(1) الأبيات الأولى (من البيت الأول إلى قوله: جعلوا المرا.) من قصيدة طويلة واردة في "إغاثة اللهفان": 231/1، للقيم ابن الجوزية بدون نسبة، وأوردها المؤلف في سياق ذم السماع.

(2) **الأوباش**: واحده وَبَش ووَبْش، وهم الأخلاط من الناس المتفرقون السفِلة والرعاع. (القاموس المحيط: 153/2).

(3) في (ع): (صفر)، والمثبت من: (س) و(د)، وأيضا في "إغاثة اللهفان": 23/1.

(4) في (ع): (أنواع الخطا)، وفي (س) و(د): (ألفاظ الخطا)، والمثبت من: إغاثة اللهفان: 232/1.

فَهُـمْ خَـوَاصُ اللهِ حَـيْثُ تَـيَمَّمُوا وَالذَّاكِـرُونَ اللهَ فـي الآصَـالِ

وَالقَانِـتُونَ المُخْبِـتُونَ لِـرَبِّهِم الـنَّاطِقُونَ بِأَصْـدَقِ الأَقْـوَالِ[1]

الـتَّارِكُونَ حُظُـوظَهُم وَنُفُوسَـهُم المُرْشِـدُونَ بِخَـالِصِ الأَمْـوَالِ

مَـا شَـأْنُهُم فـي شَـأْنِهِم دَعْـوَى وَلا عَمِلُـوا لِقَـصْدِ مِـرَا وَلا لِجِـدَالِ

عَمِلُـوا بِمَـا عَلِمُـوا وَجَـادُوا بِالَّـذِي وَجَـدُوا وَمَـا بَخِلُـوا بِفَـضْلِ نَـوَالِ

يَمْـشُونَ بَـيْنَ الـنَّاسِ هَـوْناً كُلَّمَـا صَـدَّ الجَهُـولُ بَـدَوْهُ بِالإِجْمَـالِ[2]

وَإِذَا بَـدَا لَـيْلٌ سَـمِعْتَ أَنِيـنَهُمْ وَحَنِيـنَهُمْ بِتَـضَرُّعٍ وَسُـؤَالِ

وَعُـيُونُهُمْ تَجْـرِي بِفَـيْضِ دُمُـوعِهِمْ مِـثْلَ انْهِمَـالِ الـوَابِلِ الهَطَّـالِ[3]

مُتَفَاوِتِـينَ بِقُـرْبِهِمْ وَبِحُـبِّهِمْ كَـتَفَاوُتِ العُمَّـالِ فـي الأَعْمَـالِ

فـي اللَّـيْلِ رُهْـبَانٌ لِخِدْمَـةِ رَبِّهِـمْ وَتَخَـالُهُمْ فـي الجُـودِ كَالأَبْطَـالِ

تَاهُـوا عَلَـى كُـلِّ المُلُـوكِ وَإِنَّهُـمْ لَهُـمُ المُلُـوكُ بِعِـزَّةِ الإِقْـبَالِ

وَلَـرُبَّ أَشْـعَثٍ حَقَـرَتْهُ دُلُـوقُهُ وَلَـدَى المَلِيكِ هُـوَ العَزِيـزُ الغَالِـي[4]

بِوُجُـوهِهِم أَثَـرُ الـسُّجُودِ لِـرَبِّهِمْ وَبِهَـا أَشِـعَّةُ نُـورِهِ المُتَلالِـي[5]

---

(1) **القانتون**: القنوت في الأصل الطاعة، ثم سمي القنوت الدعاء في آخر الوتر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، وقوله: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: 9]. (اللسان: 73/2، والصحاح: 90/2).

المخبتون: المتوقُّون للمآتم، وقيل المتخشعون والمطمئنون.

(2) في صدر البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ [الفرقان: 63].

(3) **الوابل**: والوبل؛ المطر الشديد الضخم المطر. (اللسان: 718/11، والقاموس المحيط: 17/3).

(4) في صدر البيت تلميح إلى الحديث: "ربَّ أشعث ذي طِمْرين لو اقسم على الله لأبره"صحيح ابن حبان، الحديث: 6483.

(5) في صدر البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29].

خُمْـصُ الـبُطُونِ لِمَـا بِهِـمْ مِـنْ فَاقَـةٍ ... شُـعْـثُ الـرُّؤوسِ لِـرَوْعَةِ الأَهْـوَالِ[1]

لَـمْ تَخْـلُ أَرْضٌ مِـنْهُمْ قَـدْ حَكَمُـوا ... ذَاتَ اليَمِـينِ بِهَـا وَذَاتَ الـشِّمَالِ

سَـوَّى لَهُـمْ بَـيْنَ الثُّـرَيَّا وَالثَّـرَى ... وَالفُـرْشِ وَالعَـرْشِ الرَّفيعِ العَالِـي/118/

لا يَنْظُـرُونَ إِلَـى سِـوَى مَحْـبُوبِهِمْ ... شُـغِلُوا بِـهِ عَـنْ سَـائِرِ الأَشْـغَالِ

فَـبِهِمْ إِلَـيْكَ وَسِـيلَتِي يَـا سَـيِّدِي ... إِلَّا وَصَـلْتَ حِـبَالَهُمْ بِحِبَالِـي

وَا خَيْـبَةَ الآمَـالِ إِنْ أَقْـصَيْتَنِي ... عَـنْ بَـابِهِمْ وَا خَيْـبَةَ الآمَـالِ[2]

❁❁❁

تمَّ حلُّ الرُّموز و(مفاتيح)[3] الكنوز، بحمد الله تعالى وحُسن عونه وتوفيقه الجليل، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

انتهى. /119/.

---

(1) **خمص**: الهضم والضمور، وهو مما تمدح به العرب، لأن كثرة الأكل وعظم البطن معيب، وتُكَنِّي به أيضا عن العَفاف، ففي الحديث الَّذي أخرجه الحاكم في "مستدركه": "**خفاف البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم**"؛ أي أعفَّة عن أموال الناس فهم ضامروا البطون من أكلها.

(2) ورد بعده في: (ع) بيتان وهما:

ثُـمَّ الـصَّلَاةُ عَلَـى النَّبِـيِّ مُحَمَّـدٍ ... وَكَـذَا الـسَّلَامُ عَلَـيْهِ ثُـمَّ الآلِ

وَارْضَ عَنِ الصَّحْبِ الكَرِيمِ جَمِيعِهِمْ ... وَالتَّابِعِـينَ وَاعْطِنِـي مِـنْوَالِ

ولم يردا في: (و)، و(س) و(د)، وهما من إضافة الناسخ، وقد كانت عادة النُّساخ المغاربة، كما لاحظناه في مخطوطات كثيرة أخرى، إضافة بيتين في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في آخر الأشعار.

(3) في (ع): (مفتاح)، والصواب ما أثبتناه.

الفهارس العامة

1 - فهرس الآيات القرآنية.

2 - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

3 - فهرس القوافي.

4 - فهرس المصطلحات الصوفية.

5 - فهرس الأعلام.

6 - فهرس مصادر ومراجع التقديم والتحقيق.

7 - فهرس المحتويات.

1 - فهرس الآيات القرآنية

﴿ البقرة (1) ﴾

﴿ آل عمران (2) ﴾

﴿ النساء (4) ﴾

﴿ المائدة (5) ﴾

﴿ الأعراف (7) ﴾

﴿ التوبة (9) ﴾

2 - فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

﴿ أ ﴾

﴿ ب ﴾

﴿ ي ﴾

3 - فهرس القوافي

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
		﴿ الهمزة ﴾		
- كالأنواء	الكامل	ابن غانم المقدسي	4	.78
		﴿ الباء ﴾		
- المحبوب	الكامل ابن غانم	المقدسي	3	.57
- في شرب	الطويل	ابن غانم المقدسي	4	.75
- ومغرب	الكامل	؟	1	.130
- الخطاب	الوافر	ابن غانم المقدسي	3	.133
- نسيب	الطويل	امرؤ القيس	1	.132
- تلهبي	الطويل	ابن غانم المقدسي	3	.95
		﴿ التاء ﴾		
- استحلت	الطويل	ابن غانم المقدسي	13	.160
- حياتي	مجزوء الرمل	الحلاج	8	.162 - 161
		﴿ الدال ﴾		
- العباذ	السريع	ابن غانم المقدسي	9	.118
- رشادي	الخفيف	ابن غانم المقدسي	6	.100 - 17
- واحد	الكامل	ابن غانم المقدسي	5	.96
- وجدا	الخفيف	ابن غانم المقدسي	25	.131 - 130
- محامدا	الطويل	؟	3	.134

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
﴿ الجيم ﴾				
- السبج	-	-	3	147.
﴿ الميم ﴾				
- المعظما	الطويل	ابن غانم المقدسي	2	22 - 86.
﴿ النون ﴾				
- يخطبنا	الرمل	ابن غانم المقدسي	7	22 - 79.
- الحزن	مجزوء الكامل	؟	2	91.
- تجدني	الوافر	ابن غانم المقدسي	10	98 - 155.
- إعلانا	البسيط	ابن غانم المقدسي	33	122 - 123.
- المعاني	الخفيف	ابن غانم المقدسي	17	144.
- قبل أذن	الوافر	ابن غانم المقدسي	15	154.
- الغضبان	الكامل	ابن غانم المقدسي	11	136.
- الوثنا	البسيط	علي بن أبي طالب	3	158.
﴿ السين ﴾				
- على الراس	البسيط	ابن غانم المقدسي	7	139.
﴿ الراء ﴾				
- أسطر	المتقارب	ابن غانم المقدسي	30	109.
- لا تماري	الخفيف	ابن غانم المقدسي	2	158.
- إليَّ سرى	البسيط	ابن غانم المقدسي	13	164.
﴿ الفاء ﴾				
- الصلف	البسيط	ابن غانم المقدسي	20	178.

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
﴿ اللام ﴾				
- الأنذال	الكامل	ابن غانم المقدسي	33	.179
- يطول	الرمل	ابن غانم المقدسي	17	.113
﴿ العين ﴾				
- الوداع	مجزوء الرمل	نساء المدينة	2	.150
- استماعي	مجزوء الرمل	ابن غانم المقدسي	10	.150
﴿ الهاء ﴾				
- إلفها	المتقارب	ابن غانم المقدسي	5	.80
- تاهوا	مخلع البسيط	ابن غانم المقدسي	9	.84
- المحلله	الرجز	ابن غانم المقدسي	6	.156
- صلبوه	المجتث	ابن غانم المقدسي	7	.162
﴿ الواو ﴾				
- يروى	الطويل	ابن غانم المقدسي	10	.106

4 - فهرس المصطلحات الصوفية

« الهمزة »

« الباء »

« التاء »

﴿ الراء ﴾

﴿ الزاي ﴾

﴿ السين ﴾

﴿ الشين ﴾

﴿ الطاء ﴾

﴿ الميم ﴾

﴿ النون ﴾

﴿ الهاء ﴾

﴿ الواو ﴾

5 - فهرس الأعلام

﴿ ء ﴾

﴿ ب ﴾

﴿ ل ﴾

﴿ م ﴾

﴿ ن ﴾

﴿ ي ﴾

6 - فهرس مصادر ومراجع التقديم والتحقيق

- القرآن الكريم.

﴿ حرف الهمزة ﴾

1 - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب، لعبد الرَّحمان الفاسي(ت: 1096هـ). رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة بخزانة كلية الأدب بالرباط، المغرب.

2 - إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت: 505هـ). دار المعرفة، بيروت.

3 - أخبار الحلاج، طبع مع ديوانه. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

4 - أزهار الرياض، في أخبار القاضي عياض، لأبي العباس المقري التلمساني (ت: 1041هـ).

5 - الأزهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). تحقيق: د. علي حسين البواب، المكتب الإسلامي، 1991م.

6 - أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري (ت: 538هـ). دار الفكر، بيروت، 1979م.

7 - الاستقامة، لابن تيمية (ت: 728هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، 1403هـ.

8 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت: 463هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.

9 - أسد الغابة، في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (ت: 630هـ). تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.

10 - **الإصابة، في تمييز الصَّحابة**، لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م.

11 - **اصطلاحات الصوفية**، لابن عربي (ت: 638هـ)، ويليه: رشح الزلال **في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال**. لعبد الرزاق القاشاني (ت: 730هـ). تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

12 - **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب**، لخير الدين الزركلي (ت: 1396هـ). ط3.

13 - **أعيان العصر وأعوان النصر**، للصفدي (ت: 764هـ).

14 - **إغاثة اللهفان**، للقيم ابن الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، 1975م.

15 - **الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع**، لابن حجر للعسقلاني (ت: 852 هـ). تحقيق: أبو عبد الله محمد الحسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

16 - **الأنس الجليل، بتاريخ القدس والخليل**، لمجير الدين الحنبلي العليمي (ت: 927هـ). تحقيق: عدنان يوسف عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، 1999م.

17 - **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، لإسماعيل باشا البغدادي (ت: 1339هـ). دار الفكر، بيروت، 1982م.

18 - **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، لابن عجيبة التطواني (ت: 1224هـ). ضبط وتصحيح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

« حرف الباء »

19 - **بحر الفوائد، المسمى بمعاني الأخيار**، لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت: 384هـ). تحقيق: محمد حسن محمد، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

20 - **البداية والنهاية**، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ). مكتبة

المعارف، بيروت.

21 - **بستان الواعظين، ورياض السَّامعين**، لابن الجوزي (ت: 597هـ). تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

« حرف التاء »

22 - **تاريخ إربل**، لشرف الدين الإربلي (ت: 937هـ). تحقيق: سامي الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م.

23 - **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.

24 تاريخ ابن الوردي (ت: **749هـ**). دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

25 - **تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشَّاذلية**، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) تحقيق: د. عاصة إبراهيم الكيلاني، ط، 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

26 - **التذكرة في الأحاديث المشتهرة، أو اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة**، لبدر الدين الزركشي (ت: 794هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

27 - **التَّعرف لمذهب التصوف**، لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت: 380هـ). تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

28 - **التَّعريفات**، للشريف الجرجاني (ت: 816هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

29 - **تفسير الطبري** (ت: **310هـ**)، **المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001م.

30 - **تفسير القرطبي** (ت: **671هـ**)، **المسمى: الجامع لأحكام القرآن**. دار الشعب، القاهرة.

31 - **تفسير ابن كثير** (ت: **774هـ**). دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

32 - **تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي (ت: 678هـ). تحقيق: د. خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

33 - **تهذيب الأسرار في أصول التَّصوف**، للخركوشي (ت: 407هـ). اعتنى به: إمام سيد محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

34 - **تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكرياء محيي الدين النووي (ت: 676هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

« حرف الجيم »

35 - **جمهرة الأمثال**، لأبي هلال العسكري (ت بعد: 395هـ). دار الفكر، بيروت، 1988م.

« حرف الحاء »

36 - **الحقائق الإلهية في التائيات الصوفية**. جمع وإعداد: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

37 - **الحكم العطائية الكبرى والصغرى**، لابن عطاء الله السكندري (ت: 709هـ). بعناية د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

38 - **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي (ت: 678هـ). تحقيق: أحمد علي الشاذلي، وحسين فهمي، مطبعة جريدة الإسلام، مصر، 1317هـ /1899م.

- **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. نسخة خاصة مخطوطة، مصورة من خزانة الفقيه العلامة سيدي عبد الحي العمراوي بفاس.

- **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. نسخة خاصة مخطوطة، مصورة عن نسخة أحمد بن قاسم البادشي بفاس.

- **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود، (قسم المخطوطات)، الرياض، رقم: 4802 ف

أول مجموع (اللوحة: 1 - اللوحة: 66).

- **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود، (قسم المخطوطات)، الرياض، رقم: 5509 ف.

- **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 74د/1. (اللوحة: 1 - اللوحة: 39).

39 - حلية الأولياء وطبقات الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ). دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

40 - حياة الحيوان الكبرى، للدميري (ت: 808هـ).

« حرف الخاء »

41 - خبيئة الكون (شرح الصَّلاة الأنموذجية في المعارف الإلهية الأحمدية). لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (ت: 1327هـ). تحقيق: محمد حمزة الكتاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م.

42 - خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (ت: 837هـ). شرح: عصام شعيتو، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987م.

43 - الخصائص الكبرى، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

44 - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (ت: 1111هـ). دار صادر، بيروت.

« حرف الدال »

45 - درر الحجال في مناقب سبعة رجال، لأبي عبد الله محمد الإفراني المراكشي. تحقيق: د. حسن جلاب، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2000م.

46 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ). تحقيق: محمد عيد، دار المعارف العثمانية، الهند، 1972م.

47 - الدر المنثور في التأويل بالمأثور، لجلال الدين السيوطي

(ت: 911هـ). دار الفكر، بيروت، 1993م.

48 - الدر النَّفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس، لعبد الحي الحلبي(ت: 1120هـ). طبعة حجرية، فاس، 1300هـ.

49 - دلائل النبوة، للبيهقي (ت: 458هـ).

50 - دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ).

51 - ديوان الحلاج (ت: 309هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

52 - ديوان الصبابة، لابن أبي حجلة التلمساني (ت: 776هـ). تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة العارف، الإسكندرية.

53 - ديوان امرئ القيس. شرح وضبط: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت.

« حرف الذال »

54 - ذكر مقتل الحلاج، طبع مع ديوانه.

تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م

55 - ذيل مرآة الزمان للسبط ابن الجوزي، لموسى بن محمد اليونيني (ت: 727هـ).

« حرف الراء »

56 - الرِّسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري (ت: 456هـ)، وبهامشه شرح شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي. ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، 2000م.

57 - رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال. لعبد الرزاق القاشاني (ت: 730هـ). تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

« حرف الزاي »

58 - زبدة خلاصة التصوف، المسمى: **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، للعز بن عبد السلام (ت: 660هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمان الشاغولي.

59 - زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي (ت: 1102هـ). تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، ط1، الدار البيضاء، (منشورات معهد الأبحاث والدراسات للعريب) دار الثقافة، 1981م.

60 - الزُّهد، لابن المبارك (ت: 181هـ). تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

« حرف السين »

61 - سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي (ت: 942هـ).

62 - سنن أبي داود (ت: 275هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

63 - السنن الكبرى، للبيهقي (ت: 458هـ). دار المعارف النظامية، ط1، الهند، 1344هـ.

64 - السنن الكبرى، للنسائي (ت: 303هـ). تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

65 - سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت: 748هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ.

« حرف الشين »

66 - الشَّجرة، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي (ت: 678هـ).

طبع مع كتاب: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأعمال والأقوال، لعز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ). تحقيق: أحمد فريد المزيدي. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

67 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (ت: 1089هـ). تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار بن كثير، دمشق، 1406هـ.

68 - شرح حزب البحر، لأحمد زروق (ت: 899هـ). تحقيق: أحمد فريد المزيدي. دار جوامع الكلم، القاهرة (بدون تاريخ).

69 - **شرح منازل السائرين**، لمحمد عبد الرءوف المناوي (ت: 1031هـ). تحقيق: د.محمد عبد القادر نصار، وأحمد إبراهيم عبد الحميد. ط1، الدار الجورية، 2010م.

70 - **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد البغدادي (ت: 656هـ).

71 - **الشَّمائل المحمدية والخصائص المصطفوية**، لمحمد بن عيسى الترمذي (ت: 279هـ). تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1412هـ.

72 - **شمامة العنبر والزهر المعنبر**، لمحمد بن مصطفى الغُلامي (ت: 1186هـ).

73 - **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة (ت: 276هـ). تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط3، دار الحديث، 2001م.

﴿ حرف الصاد ﴾

74 - **صحيح البخاري (الجامع الصحيح)**، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ). تحقيق: مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407 /1987م.

75 - **صحيح ابن حبان** (ت: **354هـ**). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

76 - **صحيح ابن خزيمة** (ت: **311هـ**). تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970م.

77 - **صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري** (ت: **261هـ**). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

78 - **صفة الصفوة**، لابن الجوزي (ت: 597هـ). تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، 1979م.

79 - **الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع**، لابن زاكور الفاسي (ت: 1120هـ). تقديم وتحقيق: بشرى البداوي، منشورات كلية الآداب الرباط، 2002م.

﴿ حرف الطاء ﴾

80 - طبقات الأولياء، لابن الملقن (ت: 804هـ). تحقيق: نور الدين شربيه، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي 1993م.

81 - طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي (ت: 771هـ). تحقيق: محمود محمد الطناحي، ود.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.

82 - طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمان محمد الأزدي (ت: 412هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

83 - طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت: 231هـ). تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

84 - الطبقات الكبرى، المسماة: **لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، للشعراني (ت: 973هـ). تحقيق: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

85 - طرح التثريب، في شرح التقريب، لزين الدين عبد الرحيم العراقي (ت: 806هـ). تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

﴿ حرف العين ﴾

86 - العبر في خبر من غبر، لشهاب الدين محمد الذهبي (ت: 748هـ). تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م.

87 - عقد الجمان، في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني (ت: 855هـ). (المجلد الرابع)

﴿ حرف الفاء ﴾

88 - الفتح المبين، والدر الثمين، في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لعبد الله محمد الخياط الهاروشي (ت: 1175هـ)، طبع مع كنوز الأسرار، بتحقيقنا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م.

89 - الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، لابن عجيبة

(ت: 1224هـ). طبع بهامش إيقاظ الهمم، دار الفكر.

90 - الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية، لعز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي (ت: 678هـ) تحقيق: د. ماجد مصطفى الصعيدي، ط1، دار الكرز، مصر، 2010م.

91 - الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه الديلمي (ت: 509هـ). تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

92 - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي الثعالبي الفاسي (ت: 1376هـ). ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

﴿ حرف القاف ﴾

93 - القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ). مؤسسة الرِّسالة، بيروت.

94 - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التَّوحيد. لأبي طالب المكي (ت: 386هـ).

﴿ حرف الكاف ﴾

95 - كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، لعز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي(ت: 678هـ). تحقيق: محمد مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

96 - الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق الثعلبي (ت: 427هـ). تحقيق: الإمام ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.

97 - كشف الخفاء، ومزيل الالتباس لما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت: 1162هـ). تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ.

98 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت: 1067هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

99 - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى)، لمحمد عبد الرءوف المُناوي (ت: 1031هـ). تحقيق: محمد فتحي أبوبكر، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2009م.

﴿ حرف اللام ﴾

100 - الآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، للزركشي (ت: 794هـ). المكتبة الإسلامية.

101 - لسان العرب، لابن منظور المصري (ت: 711هـ). ط1، بيروت، دار صادر.

102 - اللُّمع، لأبي نصر عبد الله علي السراج الطوسي (ت: 378هـ). تحقيق: د. عبد الرحيم محمود طه وطه سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م.

﴿ حرف الميم ﴾

103 - المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ت: 458هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

104 - المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

105 - مجاني الأدب في حدائق العرب، للويس شيخو (ت: 1346هـ).

106 - مجمع الأمثال، لأحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت: 518هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، .

107 - مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

108 - المدخل، إلى تنمة الأعمال بتحسين النيات والتَّنبيه على بعض البدع، لابن الحاج الفاسي (ت: 737هـ). دار الفكر، بيروت، 1981م.

109 - مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد القاري (ت: 1014هـ). تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

110 - مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان. لأبي محمد عبد الله اليافعي (ت: 768هـ). القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1993م.

111 - مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: **241هـ**). مؤسسة قرطبة، مصر.

112 - مسند البزار، (البحر الزخار)، لأبي بكر أحمد البزار (ت: 292هـ). تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله، مؤسسة القرآن، مكتبة العلوم والحكم، 1409هـ.

113 - مسند الشافعي (ت: **204هـ**). دار الكتب العلمية، بيروت.

114 - مسند الشهاب القضاعي (ت: **454هـ**). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

115 - مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي (ت: 741هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، 1985م.

116 - المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، لأحمد المقري الفيومي (ت: 770هـ). دار الكتب العلمية، بيروت.

117 - مصنف ابن أبي شيبة (ت: **235هـ**). تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ.

118 - معجم المؤلفين، تراجم الكتب العربية، لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، بيروت.

119 - معجم المطبوعات، لسركيس (ت: 1351هـ) مكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2005م،

120 - المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر. تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

121 - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت: 902هـ). تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م.

122 - مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت: 395هـ). تحقيق: محمد عبد السلام هارون، إتحاد كتاب العرب، 2002م.

123 - **المقدمة في التَّصوف**، لابن عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي (ت: 412هـ). تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

124 - **المنار المنيف، في الصَّحيح والضَّعيف**، لابن القيم الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط3، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1983م.

125 - **منازل السَّائرين إلى الحق عز شأنه**، للهروي (ت: 481هـ). ط3، شركة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، 1966م.

126 - **المنثور** لابن الجوزي.

127 - **المنهل الصافي في المستوفي بعد الوافي**، لابن تغري بردي (ت: 874هـ).

﴿ حرف النون ﴾

128 - **النُّجوم الزَّاهرة، في ملوك مصر والقاهرة**، لابن تغري بردي (ت: 874هـ). وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

129 - **نوادر الأصول، في أحاديث الرسول**، للحكيم الترمذي (ت: 360هـ). تحقيق: عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، 1992م.

130 - **النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر**، لعبد القادر العيدروسي (ت: 1037هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

﴿ حرف الهاء ﴾

131 - **هدية العارفين، في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين**، لإسماعيل باشا البغدادي (ت: 1139هـ). مكتبة المثنى، بغداد، 1955م.

132 - **الهم والحزن**، لابن أبي الدنيا (ت: 281هـ). **تحقيق: مجدي فتحي السيد**، دار السَّلام، القاهرة، 1991م.

﴿ حرف الواو ﴾

133 - **الوافي بالوفيات**، للصفدي (ت: 764هـ). تحقيق: أحمد الأرناؤوط

ومصطفى تركي، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

134 - وصية ابن عربي الحاتمي (ت: 638هـ). مخطوطة خاصة، أمدني بصورة منها العلامة الحاج عمر بناني.

﴿ حرف الياء ﴾

135 - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، لعبد الوهاب الشعراني (ت: 973هـ). ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

7 - فهرس المحتويات

الفهارس العامة